مجلة جامعة شبرة

للعلوم الإنسانية والتطبيقية

(دوريّة علميّة مُحكّمة نصف سنويّة)

المجلد الأول، العدد الأول، يونيو 2023م

جـــامعـــة شـبـوة

مجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية

(دوريَّة علميَّة محكَّمة نصف سنويَّة)

المجلد الأول العدد الأول

يونيو 2023 م

رئيس هيئة التحرير

أ.د. توفيق سريع باسردة

رئيس الجامعة

نائب رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد ناصر المطهري

نائب رئيس الجامعة

للبحث العلمي

مدير التحرير

أ.د. حسين علي حبتور

هيئة التحرير

أ.د. أحمد علي عتش

أ.د. ناصر سعيد العيشي

د. محمد مسعد صالح

د. عمر صالح باحميد

د. عوض عاتق ناصر

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد رضوان خان، جامعة اليجار، الهند

أ. د. علي فرحان منيفي، جامعة آل البيت، الاردن

أ. د. فضل علي النزيلي، جامعة صنعاء

أ. د. خالد عبد السلام الحداد، جامعة صنعاء

أ. د. أحمد محمد سميح، جامعة عدن

أ. د. عبد الله سعيد الجعيدي، جامعة حضرموت

أ. د. عمر محمد الشجاع، جامعة ذمار

د. عبد المحسن صالح العمري، جامعة شبوة

سكرتير التحرير

عبد الرحمن سعيد جعول

جميع المراسلات باسم مدير التحرير
مجلة جامعة شبوة، مبنى ديوان رئاسة الجامعة، عتق، م/ شبوة، الجمهورية اليمنية
haahabtoor@gmail.com
WhatsApp: 00967 776023286
Mobile phone: 00967 734403188

النـــاشـــر

نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي

جامعة شبوة

©جميع الحقوق محفوظة لمجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية 2023

لا يسمح بإعادة نشر المواد العلمية المنشورة على صفحات المجلة، أو النقل منها بأي وسيلة كانت، بدون أخذ إذن خطي من الناشر.

معايير النشر بمجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية

ترحب *مجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية* بنشر البحوث الجديدة، والمتميزة والمبتكرة، وتقبل **البحوث باللغتين العربية والإنجليزية** على أن يلتزم الباحث **بالشروط والقواعد الآتية**:

1. أن يكون البحث المقدم للمجلة بحثا أصيلا، ولم يسبق تقديمه للنشر في أي مجلة علمية أو نشر في مؤتمر أو أي وعاء نشر آخر من قبل.
2. تقبل المجلة البحوث العلمية المبتكرة باللغتين العربية والانجليزية.
3. تخضع البحوث المقدمة للمجلة للتحكيم لبيان مدى صلاحيتها للنشر.
4. لا تعاد البحوث لإصحابها إذا لم تقبل للنشر ولا تبدي المجلة الأسباب الخاصة بعدم النشر.
5. تقدم البحوث مطبوعة، على شكل ملف إلكتروني بصيغة (MS Word)، أو ملف (Latex و Word) للأبحاث في المجالات العلمية كالرياضيات والحاسوب والهندسة. ويجب ألا يزيد عدد الصفحات عن 35 صفحة، بما في ذلك الخرائط والأشكال التوضيحية.
6. يقدم البحث بصيغة الكترونية، كما هو مبين أعلاه، على أن يكون البحث بعنوانه وملخصه في ملف، واسم الباحث وعنوان البحث ومعلوماته في الملف الاخر.
7. يرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة من (200) كلمة، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد عن خمس كلمات مفتاحية، تبرز أهم المواضيع التي يتطرق لها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث، والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية، والعنوان والبريد الإلكتروني، وأرقام الوتساب والتلفون.
8. ينبغي أن تكون الصور والأشكال التوضيحية والجداول ذات جودة عالية ومتناسبة مع حجم الصفحة النموذجية وأبعادها كما هي موضحة في البند 9 أدناه.
9. الهوامش الجانبية تكون على ورق A4: من جميع الجهات 2.5 سم، ونوع الخط (Simplified Arabic) للغة العربية وبمقاس الخط 13 وبالإنجليزية يكون نوع الخط (Times New Roman) ومقاس 12.
10. تكون الحواشي أسفل كل صفحة (Footnotes) كما يلي:
    - يوضع رقم الحاشية في النص بعد المعلومة التي يريد الباحث أن يحيل القارئ لحاشيتها.
    - يوضع رقم الحاشية أعلى خط النص.
    - ترقم الحواشي ترقيما متسلسلا من بداية البحث وحتى نهايته.
11. يكون التوثيق في المتن (نظام الاسم، التاريخ، رقم الصفحة)، على النحو الآتي:
    - إذا كان المرجع لمؤلف منفرد، يذكر الاسم الأخير للمؤلف متبوعا بتاريخ النشر ثم الصفحات، مثال: (السعدي، 2023)، وإذا كان المرجع لمؤلفين يذكر الاسم الأخير لكليهما، مثال: (المحمود وعبد النور، 2022)، وإذا كان المرجع من تأليف ثلاثة أو أربعة أو خمسة أشخاص، فيتم ذكر أسمائهم الأخيرة في أول مرة يشار إليهم فيها في المتن، وبعدها يذكر فقط المؤلف الأول متبوعاً بكملة "وآخرون". أما إذا كان المرجع لأكثر من خمسة مؤلفين فيذكر الاسم الأخير للمؤلف الأول ويكتب بعده، وآخرون مثل: (البعلبكي وآخرون، 1998). وتذكر أرقام الصفحات فقط في حال الاقتباس المباشر.
12. المراجع: تتبع المجلة ترتيب المراجع وفق دليل الجمعية النفسية الأمريكية (American Psychological Association **APA**)، وهذا يشمل المراجع العربية والأجنبية.
13. ترقم الجداول والأشكال ترقيما مسلسلا خلال المتن، ويكون لكل منها عنوانه أعلاه، ومصدره أسفله.
14. يلتزم الباحث بعرض ما يقدمه للمجلة على مختص في اللغة التي كتب بها للتأكد من سلامتها.
15. لا يلزم الباحث بدفع أي رسوم مقابل النشر أو التحكيم.
16. حقوق النشر لكل ما يتم نشره تؤول إلى *مجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية*.
17. المواد التي تنشر لا تعبر عن وجهة نظر المجلة.
18. يعطى الباحث نسخة ورقية في حال صدور المجلة ورقيا.
19. يقدم الباحث اقرار خطي بعدم نشر بحثه من قبل.

محتويات العدد

القسم العربي

م	عنوان البحث	الصفحة
1	**تشخيص واقع أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن** د. مرام محمد حسين	1
2	**التناص مع القصة القرآنية في الشعر اليمني في عصر الدولة الرسولية (626-858هـ)** حسين علي سعيد صويلح	32
3	**أثر التغيرات المناخية في ساحل مدينة المكلا محافظة حضرموت** د. أمين عبد القادر حسين هشلة	60
4	**تأثير الحرارة والرطوبة وفترة الخزن في بعض أصناف الذرة الرفيعة Sorghum Bicolour (L) Moench والفطريات المصاحبة لها في بعض مديريات محافظة أبين** د. هدى أحمد محسن عبدالله، د. سالم محمد علي الصملة، د. ياسر الخضر ناصر حسين	88
5	**القيود الفونولوجية على بنية الكلمة في النظرية اللسانية: من البنيوية إلى التوليدية** سفيان وعكي، أ. د. محمد مرزوق	102
6	**النظرية من وراء التطبيق: تدريب المترجمين أم تعليم المترجمين؟** **The theory behind the practice: Translator training or translator education** Silvia Bernardini (ترجمة أ.د. حسين علي حبتور)	117

تشخيص واقع أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن

د. مرام محمد حسين

أستاذ التسويق المساعد

قسم الإدارة الصحية، كلية العلوم الإدارية، جامعة عدن

maram_alyafee86@yahoo.com

الملخص

هدفت الدراسة إلى تشخيص واقع أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، في حين تمثلت أبعاد التسويق المستدام بـ (المنتج المستدام، السعر المستدام، الترويج المستدام، التوزيع المستدام)، ولتحقيق أهداف الدراسة صُمِّمت استبانة وطُوِّرت؛ لغرض جمع البيانات ميدانيًا، في حين كان مجتمع الدراسة القيادات الإدارية المتمثلة بـ (المديرون، ونواب المديرون، ومديرو العموم، ورؤساء الأقسام)، البالغ عددهم 395 فرداً، وتمثلت عينة الدراسة بالعينة القصدية والتي بلغ عددها 195 فرداً، في حين استُرجِعت 187 استبانة، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي، في حين اعتمدت على حزمة البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) للتحليل الإحصائي، وخرجت الدراسة بعدد من النتائج، كان أهمها: أن هناك توافرًا عاليًا لأبعاد التسويق المستدام من وجهة نظر القيادات الإدارية في الشركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن؛ إذ كان أعلى بُعد هو بُعد المنتج المستدام، وأدنى بُعد هو بُعد الترويج المستدام، وفي ضوء النتائج أوصت الدراسة بعدد من التوصيات، أهمها: ينبغي على شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن أن تحسن مستوى تطبيقها للمنتج المستدام؛ وذلك بالتزامها التام المستمر بجودة منتجاتها، وسلامتها وعدم ضررها بصحة الزبائن.

معلومات البحث

تاريخ الاستلام:
2023.03.15
تاريخ القبول:
2023.05.21

الكلمات المفتاحية

التسويق المستدام،
المنتج المستدام،
السعر المستدام،
التوزيع المستدام،
الترويج المستدام

المقدمة:

يرى كثير من الباحثين في مجال التسويق أن تحقيق علاقات طويلة الأجل مع الزبون تعدُّ أول الأهداف وأهمها، التي يسعى لتحقيقها التسويق، فالنشاط التسويقي بوصفه عنصرًا فاعلًا في التأثير في الزبائن أو الأطراف الذين تتعامل معهم المنظمة من حيث سلوكياتهم، وقراراتهم، وحتى توجهاتهم الشرائية، فإنه يمثل المخرج الذي يؤمن للمنظمة إمكانيات البقاء في بيئة، تتميز بعدم الاستقرار، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن المتتبع لنشأة التسويق يلاحظ مروره بعدد من مراحل التطور، بدأت بالمفهوم الإنتاجي للتسويق، وتوالت وصولًا إلى المفهوم الاجتماعي للتسويق (بن جروة، 2017م:1)، والذي يشكل الميثاق الأخلاقي الذي يدفع بالمنظمة لاتخاذ قرارات تسويقية، تأخذ بعين الاعتبار ثلاث ركائز رئيسة: (رضا الزبون، وربحية المنظمة، ورفاهية المجتمع)؛ لإدراكها العميق بأن بقاءها وتنافسيتها وريادتها للأعمال لن يتم ويكتمل إلا بتحقيقها العلاقة الثلاثية السابق ذكرها؛ وضمان استدامتها.

وانطلاقًا من ذلك سعت عدد من المنظمات إلى انتهاج مداخل وممارسات حديثة، تمكنها من تحقيق تلك العلاقة، ومنها التسويق المستدام، وهو مدخل للأعمال والممارسات التسويقية، التي تلبي ثلاثة معايير أساسية، هي: "حاجات

©2023 SHABWAH UNIVERSITY JOURNAL

الزبائن الملباة، وأهداف منظمية منجزة، وعملية توافق مع الأنظمة البيئية". (الياسري وكامل، 2017م:96). ويعرفه (Schmidt & Riedier,2018:23) بأنه: "إقامة علاقات دائمة، ومتينة مع الزبائن، وتكامل للفكر التسويقي، مع القضايا البيئية".

المبحث الأول: منهجية الدراسة والدراسات السابقة:

أولًا: منهجية الدراسة:

1.1 مشكلة الدراسة وتساؤلاتها: يشهد العالم كثيرًا من التغييرات والتحولات الفكرية المعاصرة للقضايا المجتمعية على اختلافها وتباين متغيراتها، ويَعزُو كثير من الباحثين ذلك إلى الكونية وثورة الاتصالات والمعلومات، التي أصبح معها الإنسان قادرًا على فهم ما يدور حوله واستيعابه، وفرض آرائه في عدد من القضايا التي تمس مصالحه؛ إذ إنه مع ازدياد وعي الزبون بالقضايا البيئية والاجتماعية أصبح أكثر تطلبًا وانتقائيًا للخيارات المتاحة أمامه؛ مما شكل تحديات جديدة أمام منظمات الأعمال، ومنها: المنظمات اليمنية إذ ألزمها بضرورة اتباع السبل كافة، في محاولة لتقديم ما يلبي تطلب الزبون وانتقياءته، وتتمثل تلك المحاولة في تقديم منتج ذي قيمة له، لا تلزم الزبون باتخاذ القرار الشرائي لما تقدمه فحسب، بل معاودة الشراء – أيضًا–، والأكثر من ذلك إدامته، مع ضرورة اهتمام المنظمات بعدم إضرار نتائج تلك المحاولة بالبيئة المجتمعية، بمعنى تلبية احتياجات الزبون الحالية من دون الإضرار بالبيئة واحتياجات الأجيال المستقبلية؛ الأمر الذي حمَّل المنظمات أعباء والتزامات إضافية، عليها مواجهتها والتغلب عليها باستخدام طرائق واستراتيجيات جديدة، منها: التسويق المستدام، الذي أكدت كثير من الدراسات أهميته في تعزيز تنافسية المنظمات وتحقيقها للريادة في بيئة الأعمال، فلقد أشارت دراسات (ياسين،2011: 83) و(الياسري وكامل، 2017: 102) و(أنجشايري، 144:2017) إلى أهمية التسويق المستدام في تحقيق الميزة التنافسية، وبناءً على ما سبق فإن مشكلة الدراسة تتمحور في الأسئلة الآتية:

1) ما واقع أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن؟

ومنه تتفرع الأسئلة الآتية:

أ) ما مستوى توافر المنتج المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن؟

ب) ما مستوى توافر السعر المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن؟

ت) ما مستوى توافر الترويج المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن؟

ث) ما مستوى توافر التوزيع المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن؟

2) هل توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد العينة تعزى للخصائص الديمغرافية تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن؟

2.1 أهمية الدراسة: ترجع أهمية الدراسة إلى الاعتبارات الآتية:

1.2.1 تقديم إطار مفاهيمي لبعض المتغيرات التسويقية الحديثة في بيئة الأعمال اليمنية – إلى حد ما –، كالتسويق المستدام، وتوضيح فوائد تطبيقها للقيادات الإدارية في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، في التعامل مع التحديات التنافسية في السوق اليمنية، التي تجعل من الاستدامة في التسويق ضرورة ملحة، تضمن بها شركات صناعة وتجارة الأدوية البقاء في السوق، وتعزيز مكانتها فيه.

2.2.1 تقديم معلومات ميدانية تطبيقية، من شأنها أن تعطي نظرة كافية عن اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق المستدام والعوامل المؤثرة في عملية التطبيق؛ الأمر الذي يسهم في تعزيز قدرة صناع القرار لاتخاذ الإجراءات اللازمة؛ لمعالجة السلبيات التي تخفض من إمكانية الاستفادة من نتائج التطبيق، فتنعكس نتائجها على الأداء الكلي للمنظمة.

3.1 أهداف الدراسة:

1.3.1 التعرف على مستوى توافر التسويق المستدام بأبعاده المختلفة شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

2.3.1 قياس فروق ذات دلالة معنوية لإجابات أفراد العينة تجاه توافر أبعاد لتسويق المستدام الدراسة في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن تعزى للخصائص الديمغرافية.

3.3.1 تقديم مجموعة من التوصيات لقيادات شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن بما يسهم في رفع كفاءة ممارسات التسويق المستدام في هذه الشركات.

4.1 فرضيات الدراسة: انطلاقًا من مشكلة الدراسة وتساؤلاتها، وتحقيقاً لأهدافها بالاعتماد على الإطار النظري للأدبيات السابقة فيما يتعلق بمتغير الدراسة وأبعاده، تم صياغة فرضيات الدراسة على النحو الآتي:

- **الفرضية الرئيسة الأولى HO_1:** لا يوجد توافر للتسويق المستدام بأبعاده في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن. وتتفرع منها الفرضيات الفرعية الآتية:

أ) الفرضية الفرعية الأولى: لا يوجد توافر للمنتج المستدام كبُعد من أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

ب) الفرضية الفرعية الثانية: لا يوجد توافر للسعر المستدام كبُعد من أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

ت) الفرضية الفرعية الثالثة: لا يوجد توافر للترويج المستدام كبُعد من أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

ث) الفرضية الفرعية الرابعة: لا يوجد توافر للتوزيع المستدام كبُعد من أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

- **الفرضية الرئيسة الثانية HO_2:** لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى للخصائص الشخصية: (النوع، المؤهل العلمي، والخبرة العملية، والوظيفة الحالية) في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

وتتفرع منها الفرضيات الآتية:

أ) الفرضية الفرعية الأولى: لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى لخاصية النوع للمبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

ب) الفرضية الفرعية الثانية: لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى لخاصية المؤهل العلمي للمبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

ت) الفرضية الفرعية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى لخاصية الخبرة العملية للمبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

ث) الفرضية الفرعية الرابعة: لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى لخاصية الوظيفة الحالية للمبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

5.1 مجتمع الدراسة وعينتها: يتكون مجتمع الدراسة من القيادات الإدارية في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن كافة، والبالغ عددها (9) شركات، ممثلة بـ (8) إدارات – شركة العالمية وشركة الحديثة إدارة واحدة – ومثلت تلك الشركات مجتمع الدراسة؛ فقد اختيرت عينة الدراسة عن طريق العينة (القصدية)، وهي إحدى العينات غير الاحتمالية، التي يختارها الباحث للحصول على آراء أو معلومات من مفردات محددة من المجتمع موضع الدراسة؛ إذ اقتصرت العينة على المستويات القيادية العليا والوسطى والدنيا، والمتمثلة بـ (مدير عام، ومدير ادارة، ونائب مدير إدارة، ورئيس قسم)، والبالغ عددهم (395) قياديًا في الشركات المبحوثة، وقد حدد حجم العينة باستخدام معادلة ستيفن ثامبسون الآتية:

$$n=\frac{N\times p(1-p)}{\left[\left[N-1\times\left(d^2\div z^2\right)\right]+p(1-p)\right]}$$

إذ إن:

N: حجم المجتمع

Z: الدرجة المعيارية المقابلة لمستوى الدلالة 0.95 وتساوي 1.96

d: نسبة الخطأ وتساوي 0.05

p: نسبة توفر الخاصية والمحايدة = 0.50

على وفق طريقة ستيفن ثامبسون فإن حجم العينة التي تمثل المجتمع تمثيلًا صادقًا هي (195) مفردة، وتمثل نسبة (49.4%) من حجم المجتمع؛ إذ تم توزيع (195) استبانة، واستعيدت (187) استبانة، وبنسبة استجابة بلغت 96%، وكانت هناك (6) استبانات غير صالحة للتحليل الإحصائي، ومن ثم فإن نسبة الاستبانات التي حللت من إجمالي الاستبانات هي 93% وهي نسبة عالية جدًا، والجدول الآتي يبين الشركات التي وزعت الاستبانة عليها، والاستبانات المعادة، والاستبانات الصالحة للتحليل الإحصائي.

جدول (1) مجتمع الدراسة وعينتها والاستبانات الموزعة والاستبانات المعادة

م	اسم الشركة	القيادات الإدارية	العينة بنسبة 49.4%	الاستبانات الموزعة	الاستبانات المعادة	غير صالحة للتحليل	الاستبانات الصالحة للتحليل
1	الشركة اليمنية لصناعة وتجارة الأدوية	51	25	25	25	1	24
2	شركة سبأ فارم لصناعة الأدوية والكيماويات	51	25	25	23	1	22
3	الشركة الدولية لصناعة الأدوية	45	22	22	22	0	22
4	الشركة العالمية والشركة الحديثة الدوائية	61	30	30	28	0	28
5	شركة شفاكو لصناعات الدوائية	49	24	24	24	2	22
6	الشركة اليمنية المصرية لصناعة وتجارة الأدوية	47	23	23	22	1	21
7	شركة بيو فارم للصناعات الدوائية	51	25	25	23	0	23
8	شركة رفأ الدوائية	43	21	21	20	1	19
	الإجمـالـي	395	195	195	187	6	181

المصدر: من بيانات الدراسة الميدانية لعام 2022م

6.1 منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي لوصف متغير الدراسة وأبعاده، والمنهج التحليلي لتحليل توافر أبعاد التسويق المستدام وتفسيره في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

7.1 حدود الدراسة: تتمثل في الآتي:

- **الحدود البشرية:** شملت الحدود البشرية لهذه الدراسة قيادات الإدارة العليا والمتوسطة، وهم (المديرون، ونواب المديرين، والمديرون العموم، ورؤساء الأقسام) لدى شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.
- **الحدود المكانية:** تتمثل في أماكن وجود الشركات المبحوثة المتمثلة بشركات صناعة الأدوية في اليمن، وعددها (9) شركات، يوجد منها (8) في صنعاء، وواحدة في حضرموت.
- **الحدود الزمانية:** العام الجامعي نوفمبر 2021م- مارس 2022م.
- **الحدود الموضوعية:** تضمنت متغير التسويق المستدام، بأبعاده المتمثلة بـ (المنتج المستدام، السعر المستدام، الترويج المستدام، التوزيع المستدام).

8.1 أساليب جمع البيانات: اعتمدت الدراسة في جمع البيانات في جانبي الدراسة النظري والميداني على الآتي:

1.8.1 البيانات الثانوية: مراجعة الأدبيات السابقة العربية والإنجليزية من كتب ودوريات وأبحاث ورسائل وأطاريح علمية، والتي لها علاقة بموضوع الدراسة، بما أسهم في إثراء الجانب النظري وبنائه، ودعم الجانب الميداني له.

2.8.1 البيانات الأولية: صممت أداة الدراسة كأداة رئيسة لجمع البيانات من مجتمع الدراسة.

9.1 الوسائل الإحصائية المستخدمة:

لغرض تحليل البيانات المجمعة ميدانيًا، ثم استخدام برنامج التحليل الإحصائي (SPSS) وبغرض إدخال البيانات إلى الحاسوب رمز على وفق مقياس (ليكارد الخماسي)، فقد أعطي الرقم (5) للإجابة بـ أتفق تمامًا، وهي أعلى درجات المقياس، وأعطي الرقم (4) للإجابة بـ (أتفق)، وأعطي الرقم (3) للإجابة بـ (أتفق نوعًا ما)، وأعطي الرقم (2) للإجابة بـ (لا أتفق)، والرقم (1) للإجابة بـ (لا أتفق إطلاقًا)، وهي أدنى درجات المقياس، واستخدم الرقم (3) بوصفه متوسط فرض للدراسة، ويحتسب من الصيغة:

$$M= [1+2+3+4+5]/5=15/5=3$$

وقد وجد المدى للمقياس، وهو الفرق بين أكبر قيمة وأصغر قيمة في المقياس؛ أي: إن المدى (5−1 = 4)، ووجد طول الخلية، وهو عبارة عن قسمة المدى على عدد فقرات المقياس، ويساوي (0.80)، أي: إن طول الخلية = 5/4=0.80)، ولمعرفة الحدود الحقيقية للمقياس أضف طول الخلية إلى أدنى درجة في المقياس فتحصل على الآتي:

1) إذا وقع الوسط الحسابي المحتسب من البيانات في المدى (1−1.79)، فهذا يشير إلى عدم توافر الفقرة تمامًا (لا أتفق إطلاقًا).

2) إذا وقع الوسط الحسابي المحتسب من البيانات في المدى (1.80−2.59)، فهذا يشير إلى توافر ضعيف للفقرة (لا أتفق).

3) إذا وقع الوسط الحسابي المحتسب من البيانات في المدى (2.60−3.39)، فهذا يشير إلى توافر متوسط للفقرة (أتفق نوعًا ما).

4) إذا وقع الوسط الحسابي المحتسب من البيانات في المدى (3.40–4.19)، فهذا يشير إلى توافر عال للفقرة (أتفق).

5) إذا وقع الوسط الحسابي المحتسب من البيانات في المدى (4.20–5.00)، فهذا يشير إلى توافر عال جدًا للفقرة (أتفق تمامًا).

وكما تم الاعتماد على الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) وعلى برنامج التحليل التوكيدي Amos في التحليل، كذلك استخدمت الدراسة مجموعة من الأساليب الإحصائية الآتية:

1. مقاييس الإحصاء الوصفي (Descriptive Statistic Measures)؛ وذلك لوصف خصائص عينة الدراسة؛ اعتمادًا على النسب المئوية والتكرارات، والإجابة عن أسئلة الدراسة، وترتيب أبعاد الدراسة بحسب أهميتها النسبية بالاعتماد على المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية.
2. اختبار ألفا كرونباخ (Alpha cronbach)؛ لقياس ثبات أداة الدراسة، واختبار التجزئة النصفية لقياس صدق الأداة.
3. اختبار ويلكوكسن؛ لاختبار اتجاه آراء أفراد عينة الدراسة عن فقرات الدراسة (اختبار اتساق الإجابات عن الفقرة الواحدة)، وهو اختبار لمتوسط الإجابات عند الوسط الفرضي للدراسة، ويساوي (3).
4. اختبار ويلكوكسن لعينتين مستقلتين لاختبار الفروق بين إجابات الذكور والإناث حول محاور الدراسة.
5. اختبار كروسكال واليس؛ لاختبار معنوية الفروق حول محاور الدراسة باختلاف الخصائص الشخصية لأفراد عينة الدراسة (المؤهل العلمي، والخبرة، والوظيفة الحالية).

10.1 اختبار ثبات وصدق الاستبانة:

1.10.1 صدق أداة الدراسة: ولغرض معرفة صدق الأداة التي استخدمت في جمع البيانات الأولية عرضت الاستبانة في صورتها الأولية على مجموعة من المحكمين؛ وذلك للتحقق من مدى صدق محتوى الاستبانة وملاءمتها، ومناسبة كل فقرة للمجال الذي تنتمي له، وأجريت التعديلات بحذف بعض الفقرات، وإعادة صياغة بعضها، في ضوء آرائهم وملاحظاتهم القيمة؛ وذلك من أجل الحكم على صحة العبارات الواردة في فقرات الاستبانة ودقتها ووضوحها، قبل أن تأخذ شكلها النهائي.

2.10.1 ثبات أداة الدراسة: أجرت الدراسة اختبار الثبات بعد جمع البيانات، باستخدام معامل (ألفا كرونباخ) للاتساق الداخلي، وبلغت قيمته لمحور أبعاد التسويق المستدام (0.91)، وهي معاملات قوية جدًا، تجعل من الاستبانة أداة مناسبة لجمع البيانات المتعلقة بالدراسة، ويشير معامل الصدق (معامل سبيرمان للتجزئة النصفية) إلى أنه لو أعيد توزيع الاستبانة بعد فترة من الزمن لحصلنا على النتائج نفسها بمعامل صدق كلي للأداة بلغت قيمته (0.89)، وهو معامل قوي، يجعل الأداة تتمتع بالصدق لما أعدت له، وكما هو موضح في الجدول الآتي:

جدول (2) معاملي الصدق والثبات لأداة الدراسة

المحاور	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ	معامل سبيرمان للتجزئة النصفية
المنتج المستدام	7	0.86	0.83
السعر المستدام	6	0.88	0.86

الترويج المستدام	5	0.82	0.80
التوزيع المستدام	6	0.89	0.86
التسويق المستدام	24	0.91	0.89

المصدر: من بيانات الدراسة الميدانية 2022م

ثانيًا: الدراسات السابقة:

تُعد الدراسات السابقة إحدى أهم الأجزاء التي يشملها البحث العلمي، التي تجنب الباحث الوقوع في الأخطاء، التي قد يقع فيها عدد من الباحثين السابقين، وتجنبه الوقوع في خطر تكرار الأبحاث التي تمت دراستها بالكامل، وتساعده على تطوير الأسئلة المتعلقة بدراسته، والاطلاع على الجوانب، ذات الصلة بموضوع دراسته، التي لم تنل حقها الكامل من الدراسة وتطويرها؛ وذلك بتوسيع مداركه، وزيادة خبرته عن طريق قراءة غالب النقاط التي عرضتها الدراسات السابقة عن الموضوع. وتأسيسًا على ذلك عرضت الدراسة عددًا من الدراسات والأبحاث السابقة التي ناقشت التسويق المستدام، كما هي موضحة في الجدول الآتي:

جدول (3) يوضح الدراسات السابقة للتسويق المستدام

الدراسات السابقة للتسويق المستدام	
الدراسات العربية	
دراسة	خليل، ويعقوب، 2021م
عنوان الدراسة	التسويق المستدام ودوره في الاحتفاظ بالزبون دراسة ميدانية في معمل ألبان الموصل.
هدف الدراسة	إلى تحديد طبيعة العلاقة والتأثير بين التسويق المستدام في أبعاده.
منهج الدراسة	وصفي تحليلي.
أداة الدراسة	الاستبانة.
مجتمع الدراسة	العاملون في معمل ألبان الموصل وزعت 50 استبانة.
أبعاد الدراسة	التسويق المستدام (المنتج المستدام، والسعر المستدام، والترويج المستدام، والتوزيع المستدام).
نتائج الدراسة	وجود علاقة بين التسويق المستدام والاحتفاظ بالزبائن.
أوجه الاتفاق	منهج الدراسة، وأداة الدراسة، وأبعاد التسويق المستدام.
أوجه الاختلاف	مجال تطبيق الدراسة، ومكان الدراسة في العراق والدراسة الحالية في اليمن.
أوجه الاستفادة	جهد معرفي سابق، والمساعدة في بناء بعض فقرات الاستبانة.
دراسة	براهيمي وشباح، 2019م
عنوان الدراسة	دور التسويق المستدام في تحقيق الميزة التنافسية: دراسة حالة مؤسسة مطاحن بني هارون قرارم قوقة.
هدف الدراسة	إلى التعرف إلى دور التسويق المستدام في تحقيق الميزة التنافسية.
منهج الدراسة	وصفي تحليلي.
أداة الدراسة	الاستبانة.
مجتمع الدراسة	وزعت 70 استبيان على عينة من العاملين في المؤسسة واسترجعت 44 استبانة.
أبعاد الدراسة	التسويق المستدام (المنتج المستدام، والسعر المستدام، والترويج المستدام، والتوزيع المستدام).
نتائج الدراسة	وجود أثر وعلاقة لأبعاد التسويق في تحقيق الميزة التنافسية.
أوجه الاتفاق	أداة الدراسة، ومنهج الدراسة، وأبعاد التسويق المستدام.

أوجه الاختلاف	مجال تطبيق الدراسة، ومكان الدراسة في الجزائر والدراسة الحالية في اليمن.
أوجه الاستفادة	جهد معرفي سابق، المساعدة في بناء بعض فقرات الاستبانة.
الدراسات الأجنبية	
دراسة	(Tollin, Christensen,2019)
عنوان الدراسة	Sustainability Marketing Commitment: Empirical Insights About Its Drivers at the Corporate and Functional Level of Marketing الالتزام بتطبيق التسويق المستدام: رؤى تجريبية حول دوافعها على مستوى الشركة والوظيفة التسويقية.
هدف الدراسة	تقديم رؤية لالتزام الشركات بتطبيق التسويق المستدام من خلال التوجه بالسوق وتحديد العمليات المرتبطة به.
منهج الدراسة	وصفي تحليلي.
أداة الدراسة	الاستبانة.
مجتمع الدراسة	269 مديرًا في مجال التسويق بالشركات الصناعية في السويد والدنمارك.
أبعاد الدراسة	التسويق المستدام (التوجه بالسوق، تحديد العمليات المرتبطة به).
نتائج الدراسة	القدرات التسويقية المرتبطة بالاستدامة تشمل ابتكار منتجات وخدمات وأعمال جديدة مستدامة بالإضافة إلى وجود اتجاه لدفع تلك الشركات لاعتماد نهج الاستدامة في أنشطتها.
أوجه الاتفاق	أداة الدراسة، ومنهج الدراسة.
أوجه الاختلاف	مجال تطبيق الدراسة، وأبعاد التسويق المستدام، مكان الدراسة في السويد والدنمارك والدراسة الحالية في اليمن.
أوجه الاستفادة	جهد معرفي سابق.
دراسة	(Taoketao, et al ,2018)
عنوان الدراسة	Does sustainability marketing strategy achieve payback profits? A signaling theory perspective
هدف الدراسة	لتحديد قدرة استراتيجية التسويق المستدام على تحقيق الأرباح ومن ثم أداء الشركة ككل.
منهج الدراسة	تحليلي وصفي.
أداة الدراسة	استبانة.
مجتمع الدراسة	264 شركة صينية.
أبعاد الدراسة	أبعاد استراتيجية التسويق المستدام (منتجات ملائمة البيئة، ونظم حديثة للتصنيع).
نتائج الدراسة	أن ولاء العميل يتوسط جزئيًا في العلاقة بين استراتيجية التسويق المستدام بأبعادها وأداء الشركة، بالإضافة إلى أن المركز التنافسي يؤثر تأثيرًا إيجابيًا على العلاقة بين استراتيجية التسويق المستدام وولاء الزبائن.
أوجه الاتفاق	منهج الدراسة، وأداة الدراسة.
أوجه الاختلاف	مجال تطبيق الدراسة، وأبعاد التسويق المستدام، ومكان الدراسة في الصين والدراسة الحالية في اليمن.
أوجه الاستفادة	جهد معرفي سابق.

المبحث الثاني: الإطار النظري: التسويق المستدام وأبعاده:

1. مفهوم التسويق المستدام:

ظهر التسويق المستدام نتيجة زيادة الوعي البيئي للمجتمع في كل المستويات، كما أن مفهوم التسويق المستدام اليوم ما هو إلا تطور ونضج لمفهوم التسويق التقليدي (أنجشايري, 2017م: 128). فقد كان (Sheth & Parvatiyar,1995;p5) أول من اقترح فكرة مفهوم التسويق المستدام؛ إذ أشارا بأن التسويق التقليدي

هو "المسؤول الأساس على الزيادة المستمرة في الاستهلاك، والهدف من التسويق المستدام هو تعزيز سلوك الزبون المستدام، وتقديم المنتجات من أجل تحقيق الاستدامة الاقتصادية والبيئية". في حين أن (Fuller,1999:p4)، عرف التسويق المستدام في الأدب التسويقي بأنه "عملية تخطيط وتنفيذ ورقابة تطوير المنتجات وتسعيرها وترويجها وتوزيعها بأسلوب يتقاطع مع المعايير الثلاثة الآتية:

1. إشباع حاجات الزبائن.
2. تحقيق الأهداف المنظمة.
3. ملاءمة العملية للنظم الأيكولوجية".

عرف التسويق المستدام (Gordon et al, 2011;152) بأنه: "تخطيط وتنظيم ومراقبة موارد وبرامج التسويق لتلبية احتياجات الزبائن واحتياجاتهم مع مراعاة المعايير الاجتماعية والبيئية وتحقيق الأهداف المنظمة". في حين رأى (Neha, 2014;330) بأنه: "هو طريقة تسويقية تجمع بين احتياجات الزبون والمنظمة والمجتمع بشكل عام على المدى الطويل".

في حين (أبو وردة, 2017: 79) عرفه بأنه "عملية التسويق المبنية على الالتزام بدمج أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية المستدامة في الاستراتيجيات التسويقية لتقديم المنتج المستدام (سلعة أو خدمة أو فكرة أو علامة أو حلول.. إلخ)، وتسعيره وتوزيعه وترويجه بطريقة مستدامة، بشكل يعمل على تحقيق التوازن في مصلحة الفرد والمنظمة والمجتمعات المحلية والأجيال القادمة بعمليات الابتكار وإيجاد القيمة بالمشاركة مع الزبون من أجل كسب ميزة تنافسية مستدامة في الأسواق".

وأشار كلٌّ من (Sun et al.,2020;618) و(Jung et al., 2020;399) بأن التسويق المستدام هو: "مفهوم مزدوج للإدارة يعني ذلك أنه يتم التعامل مع التسويق المستدام كـ وظيفة المنظمة كالشراء والإنتاج والتمويل من ناحية، ومبدأ إرشادي لإدارة المنظمة من الناحية الأخرى، علاوة على ذلك فإن هذا النوع من التسويق ليس موجهًا (للزبائن والمنافسين) فحسب، بل أيضًا يركز على بيئته (الاجتماعية/ البيئية)، يعني ذلك بالتالي أنه يهتم ويدمج العلاقات غير السوقية في مفهوم، جنبًا الى جنب العلاقات السوقية العامة". و(خليل ويعقوب، 2021: 210) عرَّفاه بأنه: "تحقيق التوازن بين حاجات ورغبات الزبائن ومتطلبات المنظمة البيئية وتحقيق هدف الربح". وأضاف (جعفر وآخرون، 2022: 55) بأنَّه "عملية استدامة نشاط المنظمة، من خلال العمل على التكامل بين أبعاد التنمية الاستدامة، اقتصادي بتحقيق الربح، واجتماعي بحماية الزبون والعمل على رفاهية المجتمع، وبيئي بالمحافظة على البيئة وحمايتها".

ولأغراض الدراسة الحالية يعرف التسويق المستدام إجرائيًا بما يخدم هذه الدارسة بأنه: "منهج ومدخل وفلسفة تسويقية للشركات اليمنية العاملة في التصنيع الدوائي؛ تضمن لها الاستمرارية في ظل البيئة المتقلبة، فالتسويق المستدام يعمل على الدمج والتكامل بين المحاور الثلاثة الأساسية لعمل المنظمات اليوم (الزبون، البيئة، والربحية)".

2. أبعاد التسويق المستدام:

تباينت الآراء حول أبعاد التسويق المستدام؛ وذلك بسبب اتجاهات الباحثين واهتماماتهم، فبعضهم مثل (لحول، 2014: 92)، و(Reutlinger, 2012:58)، و(Frank & Birte, 2014;13) رأوا أن أبعاد التسويق المستدام تمثلت في: (البعد البيئي، والبعد الاجتماعي، والبعد الاقتصادي) والبعض الآخر رأى أن الأبعاد تمثلت في: (بعد

التسويق المسؤول، وبعد التسويق الاجتماعي، وبعد التسويق الأخضر)، في حين رأى آخرون (خليل ويعقوب، 2021م: 68)، و(أبو النجا, 2018م: 103) أن أبعاد التسويق المستدام تمثلت في المزيج التسويقي المستدام، وهي (بُعد المنتج المستدام، وبُعد السعر المستدام، وبُعد التوزيع المستدام، وبُعد الترويج المستدام)، وهذا الاتجاه الذي اختارته أيضًا الدراسة؛ كونه سيخدم مجال تطبيق الدراسة.

وسنعرض الأبعاد الأربعة بشرح مفصل بعض الشيء، وذلك على النحو الآتي:

1.2 بُعد المنتج المستدام:

عرفته هيئة الأمم المتحدة في مؤتمر التجارة والبيئة بأنه ذلك المنتج الصناعي أو الاستهلاكي الذي يكون إنتاجه، والاستخدام النهائي له أو التخلص منه ذا أثر سلبي منخفض على البيئة أو ذا أثر إيجابي محتمل ويسهم في توفير سلعة بديلة الفائدة والوظيفة نفسها.(Nicola & Annie,2005:p3)، "فالمنتج المستدام ليس بالضرورة أن يكون جديدًا كليًا، بل يمكن إجراء مجموعة من التعديلات عليه، بحيث يقلل من الآثار السلبية على البيئة، وتعديل المنتج يكون بأكثر من طريقة، كاستعمال مواد أولية، أو مكونات غير ضارة بيئيًّا، واستخدام الحد الأدنى من الطاقة، أو التعديل في أسلوب التعبئة والتغليف، أو إعادة استعمال بعض المواد، كالعبوات عبر إعادة تدويرها". وأشار (Kotler, 2004;111) إلى المنتج بـ"أنه ذلك المنتج الذي يستخدم المواد الصديقة للبيئة والتي يمكن أن تحلل ذاتيًّا، ويعاد تدويرها مع ضرورة متابعته خلال مراحل دورة حياته لضمان بقائه ضمن الالتزام البيئي". وعبر كلٌّ من (البكري والنوري، 2009م:175) بأنه: "منتج مصمم ومصنع على وفق لمجموعة من المعايير، التي تهدف إلى حماية البيئة، وتقليل استنزاف الموارد الطبيعية، مع المحافظة على الأداء على الخصائص الأصلية". في حين أشار كلٌّ من (Yazdanifard & Mercy, 2011;638) إلى المنتج المستدام بأنه: "يمثل مجموعة متنوعة من الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، فهو سلعة أو خدمة، ذات تأثير سلبي منخفض على استخدام الموارد الطبيعية والبيئية وتعظم أثرها الإيجابي في المجتمع".

وأضاف كلٌّ من (الفقهاء والصيفي, 2015: 387) إلى تعريف المنتج المستدام "هو إشباع حاجات الزبون الحقيقية واستهلاك منخفض للطاقة والموارد الأخرى وإمكانية صناعته لموارد قابلة للتجديد وإعادة تدويرها". وعرف كلٌّ من (البكري والشراوية، 2015: 11) بأنه: "ذلك المنتج الذي لديه أقل أثر سلبي في البيئة أو أقل ضررًا على صحة الإنسان".

وبذلك يعرف المنتج المستدام إجرائيًّا بما يخدم أغراض هذه الدراسة بأنه: "ذلك المنتج الذي يضمن للشركات اليمنية العاملة في التصنيع الدوائي البقاء في هرم المنافسة، فهو المنتج الذي يحقق التوازي بين إشباع حاجات الزبون والحفاظ على البيئة؛ مما يجعل المنظمات المنتجة للمنتجات المستدامة هي المنظمات المتميزة في دنيا الأعمال، محققة الأهداف الثلاثية – الاقتصادية والاجتماعية والبيئية".

في حين عبر (ياسين, 2011م:88) عن خصائص المنتج المستدام في النقاط الآتية:

1. المنتج المستدام يركز على تصميم سلع، تحمي البيئة من التلوث، أي دون نفايات أو بأدنى حد من النفايات.

2. المنتج المستدام يقوم باستعمال المواد صديقة للبيئة، أي مواد سليمة من الناحية البيئية، أو ذات درجة أقل للضرر البيئي.
3. المنتج المستدام يستند إلى نظام دروة الحياة.
4. المنتج المستدام يعمل على التقليل من استعمال المواد الأولية والطاقة؛ إذ تلجأ عدد من المنظمات إلى تكثيف أنشطة البحث والتطوير؛ بغية تخفيض نسبة المواد المستخدمة لمنتجاتها والطاقة التي يحتاجها المنتج عند الاستعمال، ومنه العمل على تخفيض التكاليف وتحقيق السلامة البيئية.
5. المنتج المستدام يعمل على تدنية مخلفات الإنتاج وتقليلها عن طريق تدويرها.

وفي سياق متصل لما سبق فقد صاغ (أبو النجا، 2018م: 105) مقياسًا للمنتج المستدام، تمثل بالنقاط الآتية:

1. استخدام المنظمة للمواد الخام الأقل ضررًا بالبيئة، ويعاد تصنيعها.
2. وضع المنظمة بيانات تتعلق بالحفاظ على الموارد الطبيعية للبيئة على العبوة (البيان المستدام).
3. إعلان المنظمة عن تقليل الانبعاثات السامة أو الضارة بسبب عملية الإنتاج.
4. استخدام المنظمة عبوات يمكن (إعادة تدويرها، وتحلل عضويًا).

2.2 بُعد السعر المستدام:

يعدُّ السعر بمثابة القرار الاستراتيجي، الذي تتخذه المنظمة بشأن تحديد قيمته؛ ذلك أن له أهمية كبيرة في إيجاد تدفق نقدي للمنظمة، عن طريق بيع منتجاتها؛ للقيام بتغطية التكاليف، وتحقيق مستوى الأرباح المرغوب فيها. فقد عرف (Driss, 2011;114) بأنه: "مجموع كل القيم التي يستغني عنها الزبائن مقابل فوائد أو استخدام المنتج، في مفهومه الأوسع". وأشار (نجم, 2012م:253) إليه بأنه: "عملية فرض علاوة سعرية للمنتجات المستدامة على الزبائن جراء مراعاة المطالب البيئية والاجتماعية في استخراج موادها، عملية تصنيعها واستهلاك الطاقة الأنظف فيها، تغليفها، نقلها، عرضها، أو طرائق تدويرها أو التخلص منها... إلخ". كما أشار كلٌّ من (Frank & Birte, 2014;13) "العملية التي يتم فيها تحديد الأسعار على وفق العوامل المتمثلة بـ (تكاليف الإنتاج، والطلب، والمنافسين في السوق)". كما عرف السعر المستدام (عبد الظاهر وآخرون، 2017: 164–169) بأنه "تسعير للمنتجات، التي تتوافق مع رغبات وحاجات الزبون، الذي لديه وعي وإدراك وثقة كبيرة في المنتجات، التي تحافظ على حياته وسلامة بيئته، لذلك فأن وفق مدلول التنمية المستدامة وجب التركيز على وضع اسعار عادلة، وذلك كونها تساهم في تغطية بعض ضرائب حماية البيئة ومساعدة المنظمات في ممارسة أنشطة المسؤولية الاجتماعية وجمع الأموال للقضايا الأيكولوجيه".

وبذلك يعرف السعر المستدام إجرائيًا بما يخدم أغراض هذه الدراسة بأنه: "ذلك السعر الذي تحدده الشركات اليمنية العاملة في التصنيع الدوائي لمنتجاتها المستدامة والذي يحمل في مضمونه تكاليف إضافية عن سعر المنتجات التقليدية كون سعر المنتجات المستدامة أعلى لما فيه من تحقيق السلامة للزبون والحفاظ على البيئة وتحقيق الربحية للشركات".

فأسعار المنتجات المستدامة عادة ما تكون مرتفعة وذلك نتيجة التزام المنظمة بالعمل على حماية البيئة والمحافظة على صحة الزبون، وتولد عن هذا الالتزام إيجاد أنشطة بيئية جديدة، وعليه فالقيام بهذه الأنشطة سبب في نشأة عناصر تكاليف إضافية أو جديدة، تسمى بالتكاليف البيئية، وتعرف بأنها: تكاليف الإجراءات المتخذة أو

المطلوب اتخاذها لإدارة الآثار البيئية، التي تترتب عن نشاط منظمة ما بطريقة مؤولة بيئيًّا، فضلًا عن التكاليف الأخرى التي تتطلبها الأهداف والمتطلبات البيئية للمنظمة، كتكاليف التخلص من النفايات وتجنبها، وإجراء البحوث من أجل منتجات مناسبة بشكل أفضل للبيئة، وكذلك الغرامات التي تفرض على المنظمات نتيجة لمخالفتها لقوانين المحافظة على البيئة. (جربوع، 2004م: 272)، وتلخص أنواع تلك التكاليف في الجدول الآتي:

جدول (4) يوضح أنواع التكاليف السعر المستدام

م	نوع التكاليف	محتواها
1	تكاليف أنشطة المنع	تشمل تكاليف الانشطة التي تصممها المنظمة خصيصًا بغرض إزالة أو تخفيض الأسباب المحتملة، والتي لها آثار سلبية في البيئة، سواء في مراحل ما قبل الإنتاج والتعبئة والتسويق إلى غاية وصول المنتج إلى الزبون، مثل تكاليف التكوين والتدريب البيئي، تكاليف إعادة تصميم العمليات الانتاجية بحيث يتم استخدام مواد غير سامة وغير ضارة بالبيئة.
2	تكاليف أنشطة القياس والتقييم	تتمثل في تكاليف الانشطة التي تقوم بها المنظمة بغرض قياس ومتابعة المصادر المحتملة للأضرار البيئية، من ضمن هذه الأنشطة (متابعة مستويات المواد السامة داخل المنظمة، قياس ومتابعة مستويات المواد السامة المتعلقة بالأدخنة والأبخرة).
3	تكاليف الأنشطة الرقابية	الهدف من القيام بهذه الأنشطة هو الرقابة والتحكم في المواد المستخدمة والتي لها آثار سلبية على البيئة، ومن ضمن هذه الأنشطة (القيام بمعالجة المخلفات السائلة، قيام المنظمة بإنشاء خزان للمواد سريعة الالتهاب بمادة ضد التفاعلات مثلًا).
4	تكاليف الفشل في رقابة الأداء	تتمثل هذه التكاليف الأنشطة التي تقوم بها المنظمة بهدف إزالة وعلاج الأضرار البيئية التي سببتها والتي لم تستطيع منعها أو التحكم فيها، وهي تكاليف ناشئة عن قصور أنشطة الرقابة في أداء دورها ومن ضمن هذه التكاليف (تكاليف علاج وإزالة المخلفات البيئية التي سببتها المنظمة، وقيمة غرامات عدم الالتزام بالشروط والمتطلبات البيئية).

المصدر: بالاستناد على دراسة (جربوع, 2004م)

في حين صاغ (أبو النجا، 2018م: 106) عناصر يمكن للمنظمة قياس السعر المستدام، تمثلت بالآتي:

1. الحصول على علاوة سعرية بناء على أن عملية الإنتاج تعدُّ عملية مستدامة.
2. مراعاة المنظمة خفض أسعار المنتجات المستدامة عن منافسيها.
3. الأسعار الحالية تحقق وفورات تكاليف أكبر في المدى الطويل.
4. سعر المنتجات المستدامة ملائم مع جودتها.

3.2 بُعد الترويج المستدام:

يمثل الترويج أحد الأنشطة التسويقية، التي تؤدي دورًا مهمًّا وأساسيًّا في إعلام وإقناع الزبون وإقناعه وتذكرته بالسلع والخدمات، التي تنتجها المنظمة، والتأثير لقبولها واستخدامها. وعلى وفق مدخل التسويق المستدام نجد أن المنتجات المستدامة بكونها جديدة على الأسواق ومجال المعرفة بها ضيق إلى حد ما، فهي تحتاج إلى التعريف بها وعليها يتطلب من المنظمات المنتجة أن تبذل جهودًا من أجل حث الزبون وإقناعه باقتناء منتجاتها المستدامة، وهذا لا يتم إلا بوسيلة من وسائل المزيج التسويقي، ألا وهي الترويج المستدام. عرف كلٌّ من (النسور والصغير، 2014م: 158) الترويج المستدام بأنه: "السلوك الاستهلاكي الصديق للبيئة، إذ يتمثل في إقناع الزبون بشراء واستخدام المنتجات الخضراء، والتنسيق مع الجهات الرقابية الرسمية، مثل: المنظمات الحكومية الرسمية، والمنظمات غير

الرسمية كجمعيات حماية المستهلك، جمعيات المحافظة على البيئة، او المنظمات الدولية المعنية بالمحافظة على البيئة، فضلًا عن الالتزام بالخصائص التقليدية للإعلان كوضوح الفكرة والصراحة والنزاهة والمصداقية". وأشار كلٌّ من (الفقهاء والصيفي، 2015م: 387) إلى أنه: "الرسالة واضحة وصحيحة مع عدم استخدام معلومات مضللة، والتركيز على التزام المنظمة نحو حماية البيئة والقضايا الاجتماعية الأخرى، وأن تكون الفئة المستهدفة بجهود المنظمة الاتصالية ليست الزبائن فقط، وإنما لفئات أصحاب المصالح الآخرين كالمورِّدين، ومالكي الحصص، والمنظمات الإعلامية، والعاملين في مجال البيئة، والعاملين في المنظمة، والمنافسين، وأعضاء قنوات التوزيع والوكالات الحكومية، والجمهور العام، كما أن خصائص المنتج التي يُروَّج لها في الرسالة الترويجية يجب أن تفحص في الحياة الواقعية بواسطة أفراد من الجمهور المستهدف في السوق".

في حين عرفه (أنجشايري، 2017م: 146) بأنه "أحد عناصر المزيج التسويقي، الذي يهدف للتأثير في الاتجاهات والسلوك، ومن ثم المنظمات المطبقة للتسويق المستدام غالبًا ما تسعى إلى نقل أو إيصال توجهاتها ومبادئها البيئية والاجتماعية جنبًا إلى جنب، من خلال رسالتها الترويجية الخاصة بالمنتجات المستدامة إلى الجمهور المستهدف". وأضاف (أبو النجا، 2018م: 107) بأنه: "مجموعة الاتصالات التي تجريها المنظمة بالزبائن، سواء الحاليين والمتوقعين في المستقبل؛ بغرض تعريفهم وإقناعهم بالمنتجات المستدامة، ودفعهم للشراء".

وتأسيسًا على ذلك يعرف الترويج المستدام إجرائيًّا بما يخدم أغراض هذه الدراسة بأنه: "مجموعة من الوسائل الإعلانية والاتصالات التي تستخدمها الشركات اليمنية العاملة في التصنيع الدوائي لمنتجاتها المستدامة، والتي تسعى في مجملها إلى جذب الزبون وإقناعه باقتنائها، فهذه المنتجات المستدامة تحتاج إلى الإعلان عنها، والإشعار بها للزبائن؛ لما تتمتع به من خصائص عن غيرها من المنتجات التقليدية، وكونها جديدة في الأسواق، وهنا تبرز قدرة الشركات اليمنية العاملة في التصنيع الدوائي على مواكبة التغيرات والخوض في المنافسة الشرسة".

في حين عبر (Martin & Schouten,2012: 67) أن الترويج المستدام يسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. رفع وعي الكتلة التسويقية للمنتجات المستدامة: عن طريق التغطية الشاملة للاستدامة في الإعلام.
2. التعريف بالمنتج أو المنظمة: كلما كانت معلومات المنظمة واضحة عزّز من شفافية المنظمة وأدي إلى تجنب الحمل الزائد للمعلومات، الذي يعمل على المقارنة بين المنتجات.
3. تذكير الزبائن: يذكر الزبائن بالمنتج نفسه أو الاستخدام المستدام أو سلوك ما بعد الاستخدام، مثل إمكانية إعادة التدوير أو الاسترداد.
4. إقناع الزبائن: إقناعهم بشراء المنتجات والخدمات المستدامة، ويعني ذلك إقناع الزبون بتجربة منتج جديد، أو تغيير الماركة التي اعتاد عليها.
5. مكافأة الزبائن: بشراء منتج أو الارتباط بالشركة أو لأي سلوك آخر يساعد ويحث على بناء ولاء الزبون.

وحدد (أبو النجا، 2018م: 108) عناصر يتم بها قياس الترويج المستدام، تمثلت بالآتي:

1. توافر رجال بيع لتوجيه الزبائن لمنافع المنتج المستدام، وكيفية استخدامه.
2. قيام المنظمة بحملات ترويجية لإقناع الزبون بشراء المنتجات المستدامة.
3. وسائل تنشيط مبيعات للمنتجات المستدامة.
4. رسائل إعلانية موجهة للزبون بفوائد المنتجات المستدامة.

5. إسهام المنظمة في دعم مراكز البيئة ومؤتمراتها.

4.2 بُعد التوزيع المستدام:

إن جميع الجهود المبذولة في أنشطة المزيج التسويقي الأخرى على الرغم من نجاحها وسلامتها فإنها تتوقف على حلقة التوزيع، والكيفية التي يتم يُوصل المنتج إلى السوق؛ لذا فإن عملية إيصال المنتجات تستدعي رسم سياسة توزيعية محكمة وسليمة، تستند إلى حاجات الزبائن، ومنه تحديد كمية الطلب في السوق، وتحديد النقاط التوزيعية اللازمة، والكفيلة بإيصال المنتج إلى الزبون في الوقت والمكان المناسبَيْنِ. ويعرف كلٌّ من (البكري والنوري، 2009م: 249) التوزيع المستدام، فقالا: "التوزيع المادي يعد إحدى الادوات الفاعلة التي يمكن المنظمة الصناعية تحقيق أهداف التسويق المستدام بلجوئها إلى تبني مفهوم التوزيع المادي المستدام، ومن ثم دعم الأنشطة التي تساند هذا التوجه، مما يساعد على تحقيق التكامل بين عناصر المزيج التسويقي المختلفة؛ لتكون المحصلة النهائية: رضا الزبون، وتحقيق الأرباح، وحماية البيئة".

في حين أن (الفقهاء والصيفي، 2015م: 387) عبروا بأنه: "يجب أن يبنى على أساس مبدأ التجارة العادلة، وهذا يعني ضرورة بناء العمليات التجارية على أساس الشفافية، العدالة واحترام كل الأطراف؛ للإسهام في تحقيق التنمية المستدامة بين كل أعضاء قناة التوريد، ومن المهم أن تكون هناك شراكة قوية تهدف إلى إيجاد رؤية متماسكة ومنافع متبادلة، فعلى مسؤولي المنظمات العمل على الموازنة بين استدامة البيئة، المجتمع وبين تحقيق الأرباح". وأشار (عبدالظاهر وآخرون، 2017م: 163) إليه بأنه "الاعتماد على نظام التوزيع ذي الاتجاهين عوضًا عن النظام ذي الاتجاه الواحد؛ إذ يساعد هذا النظام على تحقيق المنفعة لتجار الجملة والتجزئة بتقوية علاقاتهم مع المنتجين والزبائن". كما أضاف (أبو النجا، 2018م: 106) إلى تعريف التوزيع المستدام بقوله: هو "مطالبة المنظمة بمراعاة الاضرار البيئية عند بناء اختيار مخازنها واعتماد وسائل نقل تعمل بوقود غير ضار بالبيئة وأقل استهلاكًا".

ويعرف التوزيع المستدام إجرائيًّا بما يخدم أغراض هذه الدراسة بأنه: "اعتماد الشركات اليمنية العاملة في التصنيع الدوائي على قنوات توزيع ذي اتجاهين، مع مراعاة اختيار مخازنها ووسائل النقل الأقل إضرارًا بالبيئة وبصحة الزبون، إضافة إلى أن التوزيع المستدام يجعل من الشركات المتبعة هذا النهج في هرم الاستدامة فهو يوازي بين الحفاظ على البيئة الفرد وصحته في آن واحد".

وضع (أبو النجا، 2018م: 107) العناصر الآتية لقياس التوزيع المستدام:

1. مراعاة المنظمة للأضرار البيئية عند بناء مخازنها واختيارها.
2. استخدام المنظمة وسائل نقل ومناولة تعمل بالغاز الطبيعي، وتستهلك أقل قدر من الطاقة.
3. قيام المنظمة بنقل مخلفاتها المادية عبر قنوات توزيع مستدامة.
4. حرص المنظمة على التعامل مع منافذ التوزيع المستدامة.

المبحث الثالث: الجانب العملي:

1.3 وصف عينة الدراسة: يوضح الجدول الآتي نبذة مختصرة عن شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

جدول (5) يوضح نبذة عن شركات تصنيع الأدوية في اليمن

	الشركة	عام التأسيس	عام الإنتاج	عدد العاملين	عدد الأصناف المنتجة
1	شركة رفا فارما للصناعات الدوائية	2007	2010	140	64
2	الشركة العالمية لصناعة الأدوية	2004	2008	463	132
3	شركة بيوفارم للصناعات الدوائية	2000	2003	130	84
4	الشركة اليمنية المصرية لصناعة وتجارة الأدوية	2000	2005	150	90
5	الشركة الدوائية الحديثة لصناعة الأدوية	1998	2002	517	185
6	الشركة الدولية لصناعة الأدوية – فارماكير	1995	2001	198	84
7	شركة شفاكو للصناعات الدوائية	1993	1998	400	99
8	شركة سبأ فارما لصناعة الأدوية والكيماويات	1993	1997	362	205
9	الشركة اليمنية لصناعة وتجارة الأدوية(يدكو)	1964	1983	370	50

المصدر: استنادًا على المعلومات من إدارات الشركات الدوائية

1.1.3 التحليل الوصفي لخصائص عينة الدراسة:

1.1.1.3 خاصية النوع لأفراد عينة الدراسة: وقد كانت النتائج كما يظهرها الجدول الآتي:

جدول (6) يوضح توزيع عينة الدراسة بحسب الجنس

الخاصية	فئات الجنس	العدد	النسبة المئوية %
النوع	ذكر	123	68.0
	أنثى	58	32.0
	الإجمالي	181	100.0

المصدر: بيانات الدراسة الميدانية 2022م

من نتائج الجدول أعلاه تبين أن نسبة (68%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة هم من الذكور، في حين أن نسبة (32%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة هم من الإناث، ويلاحظ بأن غالبية أفراد عينة الدراسة هم من الذكور، وهذا يعود إلى طبيعة العمل في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، وطبيعة المجتمع اليمني في تقلُّد المناصب القيادية والإدارية للذكور.

2.1.1.3 خاصية المؤهل العلمي لأفراد عينة الدراسة: سُئل المبحوثون عن المؤهل العلمي فأجابوا عن ذلك، وعرضت في الجدول الآتي:

جدول (7) يوضح توزيع عينة الدراسة بحسب المؤهل العلمي

الخاصية	الفئات	العدد	النسبة المئوية %
المؤهل العلمي	دبلوم بعد الثانوية	36	19.9
	بكالوريوس	123	68.0
	ماجستير	21	11.5
	دكتوراه	1	0.6
	الإجمالي	181	100

المصدر: بيانات الدراسة الميدانية 2022م

من الجدول أعلاه يلاحظ أن نسبة (68%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة مؤهلاتهم العلمية بكالوريوس، وأن نسبة (19.9%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة مؤهلاتهم العلمية دبلوم بعد الثانوية، وأن نسبة (11.5%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة مؤهلاتهم العلمية ماجستير؛ أما نسبة (0.6%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة فمؤهلاتهم العلمية دكتوراه، ويلاحظ أن غالبية أفراد عينة الدراسة يحملون مؤهلات جامعية وبنسبة (80.1%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة.

3.1.1.3 خاصية سنوات الخبرة لأفراد عينة الدراسة: سُئل المبحوثون عن سنوات خبرتهم العملية فأجابوا عن ذلك، ووضحت في الجدول الآتي:

جدول (8) يوضح توزيع عينة الدراسة بحسب سنوات الخبرة العملية

الخاصية	الفئات	العدد	النسبة المئوية %
سنوات الخدمة	أقل من 5 سنوات	38	21.0
	من 5 الى أقل من 10 سنوات	45	24.9
	من 10 الى أقل من 15 سنة	52	28.7
	15 سنة فأكثر	46	25.4
	الإجمالي	181	100

المصدر: بيانات الدراسة الميدانية 2022م

من الجدول أعلاه يلاحظ أن نسبة (28.7%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة تتراوح خبرتهم العملية ما بين (10-15 سنة)، وأن نسبة (25.4%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة تتراوح خبرتهم العملية ما بين (15 سنة - فأكثر)، وأن نسبة (24.9%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة تتراوح خبرتهم العملية ما بين (5-10 سنوات)، وأن نسبة (21%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة تقل خبراتهم العملية عن 5 سنوات، ولاحظ أن العينة توزعت بنسب متقاربة لتشمل فئات الخبرة كافة في الشركات محل الدراسة.

4.1.1.3 خاصية الوظيفة الحالية لأفراد عينة الدراسة: تم سُؤال المبحوثين عن مواقعهم الوظيفية فأجابوا عن ذلك، مبينة في الجدول الآتي:

جدول (9) يوضح توزيع عينة الدراسة بحسب الوظيفة الحالية

الخاصية	الفئات	العدد	النسبة المئوية %
الوظيفة الحالية	مدير عام	11	6.1
	نائب مدير	21	11.6
	مدير إدارة	63	34.8
	رئيس قسم	86	47.5
	الإجمالي	181	100

المصدر: بيانات الدراسة الميدانية 2022م

من الجدول أعلاه يلاحظ أن نسبة (47.5%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة يشغلون مركز/ وظيفة رئيس قسم، وأن نسبة (34.8%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة يشغلون موقعًا وظيفيًا مدير إدارة، وأن نسبة (11.6%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة يشغلون مركز نائب مدير عام، وأن نسبة (6.1%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة

يشغلون مركز مدير عام، ويلاحظ بأن العينة توزعت بنسب متفاوتة لتشمل المواقع الوظيفية القيادية المختلفة كافة في الشركات محل الدراسة.

1.1.3.1 ما مستوى توافر التسويق المستدام بأبعاده المختلفة في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن؟

للإجابة عن هذا التساؤل اعتمدت الدراسة على الأوساط الحسابية العامة والانحرافات المعيارية، كما أنه لتحديد طول خلايا مقياس ليكارد الخماسي (الحدود الدنيا والعليا) تم حساب المدى (1-5=4)، ثم قسمته على أكبر قيمة في المقياس للحصول على طول الخلية الصحيح، أي (4 ÷ 5 = 0.80)، بعد ذلك تم إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقياس (أو بداية المقياس وهو الواحد الصحيح)؛ وذلك لتحديد الحد الأعلى لهذه الخلية.

2.3 التحليل الوصفي لإجابات أفراد العينة عن فقرات بُعد المنتج المستدام:

تم التوصل إلى النتائج المتعلقة بفقرات بُعد المنتج المستدام؛ بوصفها أحد أبعاد التسويق المستدام، ومتوسط درجات التوافر لكل منها، ومعنوية الاتجاه العام لإجابات المبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، ومستوى هذا التوافر والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية لتلك الفقرات، وعرضت في الجدول الآتي:

جدول (10) التحليل الوصفي ونتائج اختبار ويلكوكسن لقياس معنوية الاتجاه العام لإجابات أفراد عينة الدراسة حول المنتج المستدام

م	الفقرة	الوسط الحسابي ن=181	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	مستوى التوافر	Wilcoxon (قيمة z)	مستوى الدلالة P. value
1	تحرص الشـــركة على تقديم منتجات أمنة الاستخدام وغير مضرة بالصحة لزبائنها.	4.33	0.73	86.6	عالٍ جدًّا	7.33	0.00
2	تجري الشركة عمليات تحسين جذرية لضـــمان كفاءة تكاليف المنتج وتقليلها في المدى الطويل.	4.06	0.86	81.2	عالٍ	7.49	0.00
3	تعتمد الشركة في شراء مواردها المختلفة واستخدامها على معايير محددة تضمن أن تكون منتجاتها صديقة للبيئة.	3.96	0.86	79.2	عالٍ	7.12	0.00
4	تستخدم الشركة أغلفة ذات مادة امنة وقابلة لإعادة التدوير.	3.83	0.95	76.6	عالٍ	6.00	0.00
5	تحرص الشركة على معالجة المخلفات والنفايات والانبعاثات الســـامة خلال مراحل الإنتاج.	3.85	0.89	77.0	عالٍ	6.23	0.00
6	تقوم الشـــركة بتقليل مقدار الفضـــلات نتيجة عملية الانتاج بكفاءة	3.84	0.90	76.8	عالٍ	5.93	0.00
7	تمتلك الشـــركة شـــهادات معتمدة تؤكد بأن منتجاتها صديقة للبيئة.	3.85	0.96	77.0	عالٍ	5.78	0.00
	ملخص المنتج المستدام	3.96	0.88	79.2	عالٍ	6.55	0.00

المصدر: التحليل الإحصائي لبيانات الدراسة الميدانية، المحور الثالث الوارد في قائمة الاستقصاء

ن = حجم العينـة مستوى الدلالة عند 0.05 (P=0.05)

ونلاحظ بالجدول (10) ما يلي:

- بلغ المتوسط الحسابي العام لإجابات أفراد عينة الدراسة عن توافر فقرات بُعد المنتج المستدام (3.96)، وهذا يعني أن مستوى إدراك أفراد عينة الدراسة عن توافر متغيرات المنتج المستدام مجتمعة معًا تقع عند المستوى "متوافر بدرجة عالية"؛ إذ تنتمي قيمة الوسط الحسابي العام إلى فئة المقياس (4.20-3.40)، ويشير إلى توافر عالٍ للمنتج المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، وتشير قيمة الانحراف المعياري العام إلى تقارب الآراء وتجانسها حول المنتج المستدام؛ إذ بلغت قيمته 0.88، ويشير إلى تقارب الآراء وتجانسها حول فقرات المنتج المستدام، ويشير الوزن النسبي العام إلى أن التوافر كان مقبولًا وبوزن نسبي عالٍ (79.2%)، أي إن (79.2%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة يرون أن المنتج المستدام متوافر في الشركات محل الدراسة.
- يبين تحليل إجابات أفراد عينة الدراسة عن درجة توافر فقرات بُعد المنتج المستدام أن متوسط درجات التوافر الفقرات السبع كافة جاءت أعلى من نقطة المنتصف في مقياس ليكارد الخماسي، وتراوحت ما بين 3.83، 4.33، وبذلك كانت في المستويين "متوافرة بدرجة عالية"، و"متوافرة بدرجة عالية جدًّا"؛ إذ كانت أدنى تلك الفقرات توافرًا هي الفقرة (تستخدم الشركة أغلفة ذات مادة آمنة وقابلة لإعادة التدوير) بوسط حسابي 3.83، ويشير إلى توافر عالٍ للفقرة، وانحراف معياري 0.95، ويشير إلى تقارب الآراء وتجانسها حول الفقرة، وبوزن نسبي عالٍ 76.6%، وكانت أعلى تلك الفقرات توافرًا الفقرة (تحرص الشركة على تقديم منتجات آمنة الاستخدام وغير مضرة بالصحة لزبائنها) بوسط حسابي 4.33، ويشير إلى توافر عالٍ جدًّا للفقرة وبانحراف معياري 0.73، ويشير إلى تقارب الآراء وتجانسها حول الفقرة وبوزن نسبي عالٍ جدًا بلغت قيمته 86.6%.، وبهذا تمت الإجابة عن السؤال الفرعي الأول من أسئلة الدراسة.
- عمومًا كانت قيم مستوى الدلالة معنوية وبدرجة كبيرة جدًا، وفي صورة واضحة ومتسقة من الناحية الإحصائية للفقرات السبع كافة ($P<0.05$) فيما يتعلق باتجاه إجابات أفراد عينة الدراسة نحو المنتج المستدام في الشركات محل الدراسة، وهذا ما أظهرته قيم اختبار ويلكوكسن ومستوى الدلالة الإحصائية؛ إذ كانت قيم مستوى الدلالة أقل من 0.05 للفقرات السبع كافة، مما يشير إلى معنوية الاتجاه عن قيمة الوسط الفرضي لمقياس ليكارد الخماسي، والذي يساوي (3). وبهذا يتم رفض الفرضية الفرعية الأولى والتي تنص على (لا يوجد توافر للمنتج المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن)، وقبول الفرضية البديلة (يوجد توافر للمنتج المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن).

3.3 التحليل الوصفي لإجابات أفراد العينة عن فقرات بُعد السعر المستدام:

توصل إلى النتائج المتعلقة بفقرات بُعد السعر المستدام بوصفه أحد أبعاد التسويق المستدام، ومتوسط درجات التوافر لكل منها، ومعنوية الاتجاه العام لإجابات المبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، ومستوى هذا التوافر والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية لتلك الفقرات، وعرضت في الجدول الآتي:

جدول (11) التحليل الوصفي ونتائج اختبار ويلكوكسن لقياس معنوية الاتجاه العام لإجابات أفراد عينة الدراسة حول السعر المستدام

م	الفقرة	الوسط الحسابي ن=181	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	مستوى التوافر	Wilcoxon (قيمة z)	مستوى الدلالة P. value
1	تحدد الشركة أسعار منتجاتها على أساس القيمة التي يحصل عليها ويدركها الزبون.	3.84	0.80	76.8	عالٍ	4.21	0.00
2	يتم الحصول على علاوات سعرية بناء أن عملية الإنتاج تعتبر عملية مستدامة لحصص سوقية محددة بدقة	3.62	0.78	72.4	عالٍ	5.98	0.00
3	تحرص الشركة على تقليل تكاليفها بشكل كبير لتتمكن من مجاراة منافسيها في السعر.	3.84	0.82	76.8	عالٍ	6.23	0.00
4	تعكس الأسعار الحالية لمنتجات الشركة أهداف طويلة المدى بوصفها ستحقق وفورات أكبر في التكاليف بالمدى الطويل.	3.73	0.80	74.6	عالٍ	6.06	0.00
5	تهتم الشركة بأخذ احتساب التكلفة الكلية المستهلك عند حصوله على المنتج وليس فقد تكلفة شرائه المباشرة.	3.67	0.78	73.4	عالٍ	5.98	0.00
6	تستفيد الشركة من الحوافز الضريبية المتعلقة بالتدابير البيئية والاجتماعية والمستدامة التي قامت بها.	3.51	0.79	70.2	عالٍ	5.61	0.00
	ملخص السعر المستدام	3.70	0.79	74.0	عالٍ	5.68	0.00

المصدر: التحليل الإحصائي لبيانات الدراسة الميدانية، المحور الثالث الوارد في قائمة الاستقصاء

ن = حجم العينة مستوى الدلالة عند 0.05 (P=0.05)

نلاحظ من الجدول (11) ما يأتي:

- يشير المتوسط الحسابي العام لإجابات أفراد عينة الدراسة إلى توافر فقرات بُعد السعر المستدام؛ إذ بلغ (3.70)، وهذا يعني أن درجة إدراك أفراد عينة الدراسة عن توافر فقرات السعر المستدام مجتمعة معًا تقع عند المستوى "متوافر بدرجة عالية"؛ إذ تنتمي قيمة الوسط الحسابي العام إلى فئة المقياس (3.40–4.20)، ويشير إلى توافر عالٍ للسعر المستدام في الشركات محل الدراسة، وتشير قيمة الانحراف المعياري العام إلى تقارب الآراء وتجانسها عن السعر المستدام؛ إذ بلغت قيمته (0.79)، ويشير إلى تقارب الآراء وتجانسها عن فقرات السعر المستدام، ويشير الوزن النسبي العام إلى أن التوافر كان مقبولًا وبوزن نسبي عالٍ (74%)، أي: إن نسبة (74%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة يرون أن السعر المستدام متوافر في الشركات محل الدراسة.
- يبين تحليل إجابات أفراد عينة الدراسة عن درجة توافر فقرات بُعد السعر المستدام أن متوسط درجات التوافر للفقرات الست كافة جاءت أعلى من نقطة المنتصف في مقياس ليكارد الخماسي، وتراوحت ما بين (3.51، 3.84)، وبالتالي كانت في المستوى "متوافرة بدرجة عالية"؛ إذ كانت أدنى تلك الفقرات توافرًا هي الفقرة (تستفيد الشركة من

الحوافز الضريبية المتعلقة بالتدابير البيئية والاجتماعية والمستدامة التي قامت بها) بوسط حسابي (3.51)، ويشير إلى توافر عالٍ للفقرة، وانحراف معياري 0.79 ويشير إلى تقارب الآراء وتجانسها حول الفقرة، وبوزن نسبي عالٍ 70.2%، وكانت أعلى تلك الفقرات توافرًا الفقرة (تحدد الشركة أسعار منتجاتها على أساس القيمة التي يحصل عليها ويدركها الزبون) بوسط حسابي 3.84، ويشير إلى توافر عالٍ للفقرة وبانحراف معياري 0.80، ويشير إلى تقارب الآراء وتجانسها حول الفقرة وبوزن نسبي عالٍ 76.8%. وبهذا تمت الإجابة عن السؤال الفرعي الثاني من أسئلة الدراسة.

- عمومًا كانت قيم مستوى الدلالة معنوية وبدرجة كبيرة جدًّا، وفى صورة واضحة ومتسقة من الناحية الإحصائية للفقرات الست كافة ($P<0.05$) فيما يتعلق باتجاه إجابات أفراد عينة الدراسة نحو السعر المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، وهذا ما أظهرته قيم اختبار ويلكوكسن ومستوى الدلالة الإحصائية؛ إذ كانت قيم مستوى الدلالة أقل من 0.05 للفقرات الست كافة مما يشير إلى معنوية الاتجاه عن قيمة الوسط الفرضي لمقياس ليكارد الخماسي، والذي يساوي (3). وبهذا يتم رفض الفرضية الفرعية الثانية والتي تنص على (لا يوجد توافر للسعر المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن)، وقبول الفرضية البديلة (يوجد توافر للسعر المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن).

4.3 التحليل الوصفي لإجابات أفراد العينة عن فقرات بُعد الترويج المستدام:

توصل البحث إلى النتائج المتعلقة بفقرات بُعد الترويج المستدام بوصفها أحد أبعاد التسويق المستدام، ومتوسط درجات التوافر لكل منها، ومعنوية الاتجاه العام لإجابات المبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، ومستوى هذا التوافر والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية لتلك الفقرات، وعرضت في الجدول الآتي:

جدول (12) التحليل الوصفي ونتائج اختبار ويلكوكسن لقياس معنوية الاتجاه العام لإجابات أفراد عينة الدراسة حول الترويج المستدام

م	الفقرة	الوسط الحسابي ن=181	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	مستوى التوافر	Wilcoxon (قيمة z)	مستوى الدلالة P. value
1	تعمل الشـــركة على توعية المجتمع عن أهمية الحفاظ عن البيئة ضـــمن حملاتها الترويجية.	3.43	0.96	68.6	عالٍ	4.72	0.00
2	يتم تقديم المعلومات الكافية عن المنتج والمنظمة للتعريف بالمزايا صـــديقة البيئة في المنتجات	3.51	0.93	70.2	عالٍ	5.09	0.00
3	تسعى الشركة إلى تثبيت صورة منتجاتها في أذهـان الزبـائن من خلال حملاتهـا الترويجية الموضحة للأعمال المستدامة.	3.62	0.95	72.4	عالٍ	5.17	0.00
4	يشجع محتوى الحملات الترويجية للشركة على شراء منتجاتها الصديقة للبيئة.	3.50	0.89	70.0	عالٍ	5.17	0.00

5	يتم تقديم حوافز للمستهلك لشراء المنتج المستدام.	3.42	0.93	68.4	عالٍ	5.02	0.00
ملخص الترويج المستدام		3.50	0.93	70.0	عالٍ	5.03	0.00

المصدر: التحليل الإحصائي لبيانات الدراسة الميدانية، المحور الثالث الوارد في قائمة الاستقصاء

ن = حجم العينة مستوى الدلالة عند 0.05 (P=0.05)

نلاحظ من الجدول (12) ما يأتي:

- يشير المتوسط الحسابي العام لإجابات أفراد عينة الدراسة إلى توافر فقرات بُعد الترويج المستدام؛ إذ بلغ (3.50)، وهذا يعنى أن درجة إدراك أفراد عينة الدراسة لتوافر فقرات بُعد الترويج المستدام مجتمعة معًا تقع عند المستوى "متوافر بدرجة عالية"؛ إذ تنتمي قيمة الوسط الحسابي العام إلى فئة المقياس (3.40–4.20)، ويشير إلى توافر عالٍ للترويج المستدام في الشركات محل الدراسة، وتشير قيمة الانحراف المعياري العام إلى تقارب الآراء وتجانسها عن الترويج المستدام؛ إذ بلغت قيمته (0.93)، ويشير إلى تقارب الآراء وتجانسها عن فقرات الترويج المستدام، ويشير الوزن النسبي العام إلى أن التوافر كان مقبولًا وبوزن نسبي عالٍ (70%)، أي: إن (70%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة يرون أن الترويج المستدام متوافر في الشركات محل الدراسة.
- يبين تحليل إجابات أفراد عينة الدراسة عن درجة توافر الترويج المستدام أن متوسط درجات التوافر للفقرات الخمس كافة جاءت أعلى من نقطة المنتصف في مقياس ليكارد الخماسي، وتراوحت ما بين (3.42 ، 3.62)، وبالتالي كانت في المستوى "متوافرة بدرجة عالية"؛ إذ كانت أدنى تلك الفقرات توافرًا هي الفقرة (يتم تقديم حوافز للمستهلك لشراء المنتج المستدام)، بوسط حسابي (3.42)، ويشير إلى توافر عالٍ للفقرة (وفي الحدود الدنيا للمقياس)، وبانحراف معياري (0.93)، ويشير إلى تقارب الآراء وتجانسها عن الفقرة، وبوزن نسبي عالٍ وفي حده الأدنى (68.4%)، وكانت أعلى تلك الفقرات توافرًا الفقرة (تسعى الشركة إلى تثبيت صورة منتجاتها في أذهان الزبائن بحملاتها الترويجية الموضحة للأعمال المستدامة)، بوسط حسابي (3.62)، ويشير إلى توافر عالٍ للفقرة وبانحراف معياري (0.95)، ويشير إلى تقارب الآراء وتجانسها عن الفقرة وبوزن نسبي عالٍ (72.4%). وبهذا تمت الإجابة عن السؤال الفرعي الثالث من أسئلة الدراسة.
- عمومًا كانت قيم مستوى الدلالة معنوية وبدرجة كبيرة جدًّا، وفى صورة واضحة ومتسقة من الناحية الإحصائية للفقرات الخمس كافة (P<0.05) فيما يتعلق باتجاه إجابات أفراد عينة الدراسة نحو الترويج المستدام في الشركات محل الدراسة، وهذا ما أظهرته قيم اختبار ويلكوكسن، ومستوى الدلالة الإحصائية؛ إذ كانت قيم مستوى الدلالة أقل من 0.05 للفقرات الخمس كافة، مما يشير إلى معنوية الاتجاه عن قيمة الوسط الفرضي لمقياس ليكارد الخماسي، الذي يساوي (3). وبهذا يتم رفض الفرضية الفرعية الثالثة والتي تنص على (لا يوجد توافر للترويج المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن)، وقبول الفرضية البديلة (يوجد توافر للترويج المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن).

5.3 التحليل الوصفي لإجابات أفراد العينة عن فقرات بُعد التوزيع المستدام:

توصل البحث إلى النتائج المتعلقة بفقرات بُعد التوزيع المستدام بوصفها أحد أبعاد التسويق المستدام، ومتوسط درجات التوافر لكل منها، ومعنوية الاتجاه العام لإجابات المبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، ومستوى هذا التوافر والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية لتلك الفقرات، وعرضت في الجدول الآتي:

جدول (13) التحليل الوصفي ونتائج اختبار ويلكوكسن لقياس معنوية الاتجاه العام لإجابات أفراد عينة الدراسة حول التوزيع المستدام

م	الفقرة	الوسط الحسابي ن=181	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	مستوى التوافر	Wilcoxon (قيمة z)	مستوى الدلالة P. value
1	تختار الشركة وسائل النقل الأقل ضررًا للبيئة في عملية تصريف منتجاتها وتوزيعها.	3.62	0.86	72.4	عالٍ	5.54	0.00
2	تراعي الشركة العوامل البيئة والاجتماعية عند اختيارها الوسطاء والموردين.	3.63	0.91	72.6	عالٍ	5.46	0.00
3	تستخدم الشركة أماكن تخزين آمنة بيئيًا وصحيًا.	3.93	0.86	78.6	عالٍ	6.45	0.00
4	تقدم الشركة خيارات استرجاع الأغلفة والعبوات بعد الاستخدام بالاعتماد على وسطاء لذلك الغرض.	3.20	0.91	64.0	متوسط	3.75	0.00
5	نشاط الشركة المستدام يساعدها في تخطي صعوبات التصدير الى دول تضع معايير بيئية معينة لدخول المنتجات الى أسواقها.	3.45	0.90	69.0	عالٍ	4.87	0.00
6	تحرص الشركة على اختيار مسارات آمنة وسريعة لتسليم منتجاتها.	3.80	0.83	76.0	عالٍ	4.96	0.00
	ملخص التوزيع المستدام	3.61	0.88	72.2	عالٍ	5.17	0.00

المصدر: التحليل الإحصائي لبيانات الدراسة الميدانية، المحور الثالث الوارد في قائمة الاستقصاء

ن = حجم العينة مستوى الدلالة عند 0.05 (P=0.05)

نلاحظ من بيانات الجدول (13) ما يأتي:

- يشير المتوسط الحسابي العام لإجابات أفراد عينة الدراسة إلى توافر فقرات بُعد التوزيع المستدام؛ إذ بلغ (3.61)، وهذا يعنى أن درجة إدراك أفراد عينة الدراسة عن توافر فقرات بُعد التوزيع المستدام مجتمعة معًا تقع عند المستوى "متوافر بدرجة عالية"؛ إذ تنتمي قيمة الوسط الحسابي العام إلى فئة المقياس (4.20-3.40)، ويشير إلى توافر عالٍ للتوزيع المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، وتشير قيمة الانحراف المعياري العام إلى تقارب الآراء وتجانسها حول التوزيع المستدام؛ إذ بلغت قيمته (0.88)، ويشير إلى تقارب الآراء وتجانسها حول فقرات

التوزيع المستدام، ويشير الوزن النسبي العام إلى أن التوافر كان مقبولًا وبوزن نسبي عالٍ (72.2%)، ويشير إلى أن نسبة (72.2%) من إجمالي أفراد عينة الدراسة يرون أن التوزيع المستدام متوافر في الشركات محل الدراسة.

- يبين تحليل إجابات أفراد عينة الدراسة عن درجة توافر التوزيع المستدام أن متوسط درجات التوافر للفقرات الست كافة جاءت أعلى من نقطة المنتصف في مقياس ليكارد الخماسي، وتراوحت ما بين (3.20 ، 3.93)K وبالتالي كانت في المستويين "متوافرة بدرجة متوسطة"، و"متوافرة بدرجة عالية"؛ إذ كانت أدنى تلك الفقرات توافرًا هي الفقرة (تقدم الشركة خيارات استرجاع الاغلفة والعبوات بعد الاستخدام بالاعتماد على وسطاء لذلك الغرض) بوسط حسابي (3.20)، ويشير إلى توافر متوسط للفقرة، وانحراف معياري (0.91)، ويشير إلى تقارب الآراء وتجانسها عن الفقرة، وبوزن نسبي متوسط (64%)، وكانت أعلى تلك الفقرات توافرًا الفقرة (تستخدم الشركة أمكان تخزين امنة بيئيًا وصحيًا) بوسط حسابي (3.93)، ويشير إلى توافر عالٍ للفقرة وبانحراف معياري (0.86)، ويشير إلى تقارب الآراء وتجانسها حول الفقرة وبوزن نسبي عالٍ (78.6%). وبهذا تمت الإجابة عن السؤال الفرعي الرابع من أسئلة الدراسة.
- عمومًا كانت قيم مستوى الدلالة معنوية وبدرجة كبيرة جدًا، وفى صورة واضحة ومتسقة من الناحية الإحصائية للفقرات الست كافة (P<0.05) فيما يتعلق باتجاه إجابات أفراد عينة الدراسة نحو التوزيع المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، وهذا ما أظهرته قيم اختبار ويلكوكسن ومستوى الدلالة الإحصائية؛ إذ كانت قيم مستوى الدلالة أقل من 0.05 للفقرات الست كافة مما يشير إلى معنوية الاتجاه عن قيمة الوسط الفرضي لمقياس ليكارد الخماسي الذي يساوي (3). وبهذا يتم رفض الفرضية الفرعية الرابعة، والتي تنص على (لا يوجد توافر للتوزيع المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن)، وقبول الفرضية البديلة (يوجد توافر للتوزيع المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن).

6.3 التحليل الوصفي لإجابات أفراد عينة الدراسة عن أبعاد التسويق المستدام:

توصل البحث إلى النتائج المتعلقة بأبعاد التسويق المستدام، ومتوسط درجات التوافر لكل منها، ومعنوية الاتجاه العام لإجابات المبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، ومستوى هذا التوافر والانحرافات المعيارية والأوزان النسبية لتلك الأبعاد، وعرضت في الجدول الآتي:

جدول (14) التحليل الوصفي ونتائج اختبار ويلكوكسن لقياس معنوية الاتجاه العام لإجابات أفراد عينة الدراسة حول التسويق المستدام

م	البعد	الوسط الحسابي ن=181	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	مستوى التوافر	Wilcoxon (قيمة z)	مستوى الدلالة (P.value)
1	المنتج المستدام	3.96	0.88	79.2	عال	6.55	0.00
2	السعر المستدام	3.70	0.79	74.0	عال	5.68	0.00
3	الترويج المستدام	3.50	0.93	70.0	عال	5.03	0.00
4	التوزيع المستدام	3.61	0.88	72.2	عال	5.17	0.00
	ملخص التسويق المستدام	3.69	0.87	73.8	عال	5.61	0.00

المصدر: التحليل الإحصائي لبيانات الدراسة الميدانية، المحور الثالث الوارد في قائمة الاستقصاء

ن = حجم العينـة مستوى الدلالة عند 0.05 (P=0.05)

نلاحظ من الجدول (14) ما يأتي:

- يشير المتوسط الحسابي العام لإجابات أفراد عينة الدراسة إلى توافر أبعاد التسويق المستدام؛ إذ بلغ (3.69)، وهذا يعني أن درجة إدراك أفراد عينة الدراسة عن توافر أبعاد التسويق المستدام مجتمعة معًا تقع في المستوى "متوافر بدرجة عالية"؛ إذ تنتمي قيمة الوسط الحسابي العام إلى فئة المقياس (3.40–4.20)، ويشير إلى توافر عالٍ للتسويق المستدام في الشركات محل الدراسة، وتشير قيمة الانحراف المعياري العام إلى تقارب الآراء وتجانسها حول أبعاد التسويق المستدام؛ إذ بلغت قيمته 0.87، ويشير الوزن النسبي العام إلى أن التوافر كان مقبولًا، وبوزن نسبي عالٍ 73.8%، ويشير إلى أن نسبة 73.8% من إجمالي أفراد عينة الدراسة يرون أن التسويق المستدام متوافر في الشركات محل الدراسة.
- يبين تحليل إجابات أفراد عينة الدراسة عن درجة توافر التسويق المستدام أن مستوى درجات التوافر للأبعاد الأربعة كافة: (المنتج المستدام، والسعر المستدام، والترويج المستدام، والتوزيع المستدام) جاءت أعلى من نقطة المنتصف في مقياس ليكارد الخماسي، وتراوحت ما بين 3.50 ، 3.96، وبذلك كانت في المستوى "متوافرة بدرجة عالية"؛ إذ حصل بعد المنتج المستدام على المرتبة الأولى بوسط حسابي 3.96، ويشير إلى توافر عالٍ للمنتج المستدام في الشركات محل الدراسة، وبوزن نسبي عالٍ 79.2%، وحصل بعد السعر المستدام على المرتبة الثانية بوسط حسابي 3.70، ويشير إلى توافر عالٍ للسعر المستدام في الشركات محل الدراسة وبوزن نسبي عالٍ 74%، وحصل بعد التوزيع المستدام على المرتبة الثالثة بوسط حسابي 3.61، ويشير إلى توافر عالٍ للتوزيع المستدام في الشركات محل الدراسة وبوزن نسبي عالٍ 72.2%، وحصل بُعد الترويج المستدام على المرتبة الأخيرة بوسط حسابي 3.50، ويشير إلى توافر عالٍ للترويج المستدام في الشركات محل الدراسة وبوزن نسبي عالي 70%. وبهذا تمت الإجابة عن السؤال الأول للدارسة.
- عمومًا كانت قيم مستوى الدلالة معنوية وبدرجة كبيرة جدًّا، وفى صورة واضحة ومتسقة من الناحية الإحصائية للأبعاد الأربعة كافة ($P<0.05$) فيما يتعلق باتجاه إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، وهذا ما أظهرته قيم اختبار ويلكوكسن ومستوى الدلالة الإحصائية؛ إذ كانت قيم مستوى الدلالة أقل من 0.05 للأبعاد الأربعة كافة، مما يشير إلى معنوية الاتجاه عن قيمة الوسط الفرضي لمقياس ليكارد الخماسي الذي يساوي (3). ومن ذلك توصلت الدراسة إلى رفض فرضية العدم $\mathbf{HO_1}$ التي تنص على: لا يوجد توافر للتسويق المستدام بأبعاده في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن وبفرضياتها الفرعية، واستبدالها بفرضية: يوجد توافر للتسويق المستدام بأبعاده في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

1.1.3.2 هل توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى للخصائص الشخصية (النوع، والمؤهل العلمي، والخبرة العملية، والوظيفة الحالية) في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن؟

وللإجابة عن التساؤل تم ذلك بالاختبار على وفق كل خاصية من الخصائص الشخصية لعناصر مجتمع الدراسة ولكل فرضية فرعية على حده كما يأتي:

4.1 لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى لخاصية النوع للمبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

ولاختبار معنوية الفروق بين إدراك أفراد عينة الدراسة عن التسويق المستدام تعود لاختلاف جنس العاملين استخدم اختبار Wilcoxon لعينتين مستقلتين؛ إذ اعتمدت الدراسة مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$)، وتعد الفروق دالة إحصائيًا إذا كانت قيمة مستوى دلالة الاختبار (Sig.) أصغر من مستوى الدلالة الذي اعتمده في الدراسة، والعكس صحيح، وقد جاءت النتائج كما يبينها الجدول الآتي:

جدول (15) نتائج اختبار Wilcoxon لمعرفة دلالة الفروق بين إدراك أفراد عينة الدراسة الذكور والإناث تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام

الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	Wilcoxon (قيمة Z)	مستوى الدلالة Sig.	النتيجة الإحصائية
ذكور	3.67	0.62	−0.29	0.77	غير دالة
إناث	3.73	0.52			

يتضح من النتائج المبينة في الجدول (15) عدم توافر فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات الذكور والإناث تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن؛ أي: إن الجنس لا يؤثر في اتجاهات الأفراد وإجاباتهم عن توافر أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن؛ إذ بلغت قيمة مستوى الدلالة لاختبار ويلكوكسن Wilcoxon (0.77)، وهي أكبر من مستوى الدلالة المعتمد في هذه الدراسة (0.05)، ويشير ذلك إلى أن الأفراد من الجنسين الذكور والإناث لهم الآراء والإجابات نفسها تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، ومن ذلك توصلت الدراسة إلى قبول فرضية العدم H0 التي تنص على أنه (لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى لخاصية الجنس للمبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن).

4.2 لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى لخاصية المؤهل العلمي للمبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

ولاختبار معنوية الفروق بين إدراك أفراد عينة الدراسة تجاه التسويق المستدام تعود لاختلاف مؤهلاتهم العلمية استخدم اختبار كروسكال واليس KRUSKAL – WALLIS لأكثر من عينتين مستقلتين (كون المؤهل العلمي أكثر من مستويين)؛ إذ اعتمدت الدراسة مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$)، وتعد الفروق دالة إحصائيًا إذا كانت قيمة مستوى دلالة الاختبار (Sig.) أصغر من مستوى الدلالة الذي اعتمده في الدراسة، والعكس صحيح، وقد جاءت النتائج كما يبينها الجدول الآتي:

جدول (16) نتائج اختبار KRUSKAL – WALLIS لمعرفة دلالة الفروق بين إدراك أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام على وفق المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة كروسكال واليس	مستوى الدلالة Sig.	النتيجة الإحصائية
دبلوم	3.70	0.58	4.21	0.24	غير دالة إحصائيًا
بكالوريوس	3.63	0.58			
ماجستير	3.75	0.65			
دكتوراه	3.68	0.00			

يتضح من النتائج المبينة في الجدول (16) عدم توافر فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات أفراد عينة الدراسة وذلك باختلاف مؤهلاتهم العلمية؛ أي: إن المؤهل العلمي لا يؤثر في آراء الأفراد وإجاباتهم تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن؛ أي: إن الأفراد الذين لديهم مؤهل دبلوم، والأفراد الذين لديهم مؤهل بكالوريوس، والأفراد الذين لديهم ماجستير، والأفراد الذين لديهم دكتوراه، لهم الآراء والاتجاهات والإجابات نفسها نحو توافر أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، ونلاحظ ذلك من قيمة مستوى الدلالة الإحصائية لاختبار كروسكال واليس KRUSKAL – WALLIS؛ إذ بلغت قيمة مستوى دلالة الاختبار (0.24)، وهي أكبر من مستوى الدلالة الإحصائية المعتمد في هذه الدراسة (0.05)، ويشير اختبار كروسكال واليس إلى أن الفروق المشاهدة بين المتوسطات الحسابية هي فروق رقمية وليست جوهرية بحسب ما أشار إليه اختبار كروسكال واليس، ومن ذلك توصلت الدراسة إلى قبول فرضية العدم H0 التي تنص على أنه (لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى لخاصية المؤهل العلمي للمبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن).

4.3 لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى للخبرة العملية للمبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

ولاختبار الفرضية الثالثة واختبار معنوية الفروق بين إدراك أفراد عينة الدراسة تجاه التسويق المستدام تعود لاختلاف خبراتهم العملية استخدم اختبار كروسكال واليس KRUSKAL – WALLIS لأكثر من عينتين مستقلتين (كون الخبرة أكثر من فئتين)؛ إذ اعتمدت الدراسة مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$)، وتعد الفروق دالة إحصائيًا إذا كانت قيمة مستوى دلالة الاختبار (Sig.) أصغر من مستوى الدلالة الذي اعتمده في الدراسة، والعكس صحيح، وقد جاءت النتائج كما يبينها الجدول الآتي:

جدول (17) نتائج اختبار KRUSKAL – WALLIS لمعرفة دلالة الفروق بين إدراك أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام على وفق الخبرة

الخبرة العملية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة كروسكال واليس	مستوى الدلالة Sig.	النتيجة الإحصائية
أقل من 5 سنوات	3.70	0.58	2.92	0.41	غير دالة إحصائيًا
من 5 إلى أقل من 10 سنة	3.55	0.59			
من 10 إلى أقل من 15 سنة	3.74	0.54			
15 سنة فأكثر	3.77	0.64			

يتضح من النتائج المبينة في الجدول (17) عدم توافر فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات المبحوثين نحو التسويق المستدام وذلك باختلاف خبراتهم العملية؛ أي: إن الخبرة العملية لا تؤثر في آراء الأفراد وإجاباتهم حول توافر أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، أي: إن الأفراد ذوي الخبرات الحديثة والأفراد متوسطي الخبرات والأفراد ذوي الخبرات العالية لهم الإجابات والاتجاهات نفسها نحو توافر أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، ونلاحظ ذلك من قيمة مستوى الدلالة الإحصائية لاختبار كروسكال واليس KRUSKAL – WALLIS؛ إذ بلغت قيمة مستوى دلالة الاختبار (0.41)، وهي أكبر من مستوى الدلالة المعتمد في هذه الدراسة (0.05)، وإن وجدت بعض الفروق المشاهدة بين المتوسطات فهي

فروق رقمية وليست جوهرية بحسب ما أشار إليه اختبار كروسكال واليس، ومن ذلك توصلت الدراسة إلى قبول فرضية العدم H0، التي تنص على أنه (لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى لخاصية الخبرة العملية للمبحوثين في شركات صناعة وتجـارة الأدويـة في اليمن).

4.4 لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى للوظيفة الحالية للمبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن.

ولاختبار الفرضية الرابعة واختبار معنوية الفروق بين إدراك أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعود لاختلاف وظائفهم الحالية استخدم اختبار كروسكال واليس KRUSKAL – WALLIS لأكثر من عينتين مستقلتين (كون الوظيفة أكثر من فئتين)؛ إذ اعتمدت الدراسة مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$)، وتعد الفروق دالة إحصائيًّا إذا كانت قيمة مستوى دلالة الاختبار (Sig.) أصغر من مستوى الدلالة الذي اعتمده في الدراسة، والعكس صحيح، وقد جاءت النتائج كما يبينها الجدول الآتي:

جدول (18) نتائج اختبار KRUSKAL – WALLIS لمعرفة دلالة الفروق بين إدراك أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام على وفق الوظيفة الحالية

الوظيفة الحالية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة كروسكال واليس	مستوى الدلالة Sig.	النتيجة الإحصائية
مدير عام	3.75	0.44	2.02	0.57	غير دالة إحصائيًّا
نائب مدير عام	3.69	0.65			
مدير إدارة	3.66	0.53			
رئيس قسم	3.67	0.57			

يتضح من النتائج المبينة في الجدول (18) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات إجابات المبحوثين نحو توافر أبعاد التسويق المستدام وذلك باختلاف وظائفهم الحالية، أي: إن الوظيفة الحالية لا تؤثر في آراء الأفراد وإجاباتهم عن توافر أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، أي: إن الأفراد الذين يشغلون وظيفة مدير عام والأفراد الذين يشغلون وظيفة نائب مدير عام والأفراد الذين يشغلون وظيفة مدير إدارة والأفراد الذين يشغلون وظيفة رئيس قسم لهم الإجابات والاتجاهات نفسها نحو توافر أبعاد التسويق المستدام في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن، ونلاحظ ذلك من قيمة مستوى الدلالة الإحصائية لاختبار كروسكال واليس KRUSKAL – WALLIS؛ إذ بلغت قيمة مستوى دلالة الاختبار (0.57)، وهي أكبر من مستوى الدلالة المعتمد في هذه الدراسة (0.05)، وإن وجدت بعض الفروق المشاهدة بين المتوسطات فهي فروق رقمية وليست جوهرية بحسب ما أشار إليه اختبار كروسكال واليس، ومن ذلك توصلت الدراسة إلى قبول فرضية العدم H0، التي تنص على أنه (لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى لخاصية الوظيفة الحالية للمبحوثين في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن). وبهذا تمت الإجابة عن السؤال الثاني من الدراسة.

بالنظر إلى نتائج فرضيات الفرعية الاربع السابقة التي توصلت إلى قبول فرضية العدم والتي تنص على أنه (لا توجد فروق ذات دلالة معنوية في إجابات أفراد عينة الدراسة تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعزى للخصائص الشخصية (النوع، والمؤهل العلمي، والخبرة العملية، والوظيفة الحالية) في شركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن).

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات: يتضمن هذا المبحث المحاور الآتية:

1.4 الاستنتاجات: كشفت نتائج الدراسة عن الآتي:

1.1.4 توافر عالٍ للتسويق المستدام من وجهة نظر القيادات الإدارية في الشركات صناعة وتجارة الأدوية في اليمن بوسط حسابي بلغ (3.69)، وكان ترتيب الأبعاد وفق الوسط الحسابي كالآتي:

- أعلى بُعد هو بُعد المنتج المستدام حين بلغ وسطه الحسابي (3.96).
- البعد الثاني هو بُعد السعر المستدام حين بلغ وسطه الحسابي (3.70).
- البعد الثالث هو بُعد التوزيع المستدام حين بلغ وسطه الحسابي (3.61).
- وأدنى بُعد هو بُعد الترويج المستدام حين بلغ وسطه الحسابي (3.50).

2.1.4 لا توجد فروق ذات دلالة معنوية بين إدراك أفراد عينة الدراسة القيادات الإدارية تجاه توافر أبعاد التسويق المستدام تعود لاختلاف كل من (النوع، والمؤهل العلمي، والخبرة العملية، والوظيفة الحالية).

2.4 التوصيات: انسجامًا مع ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، توصي بالآتي:

1.2.4 ينبغي لشركات صناعة وتجارة الأدوية أن تحسن مستوى تطبيقها للمنتج المستدام؛ وذلك بالتزامها التام المستمر بجودة منتجاتها وسلامتها، وعدم ضررها بصحة الزبائن وبشكل خاص بالآتي:

- العمل على تقليل كمية الهدر واستخدام المواد الخام والتقليل من مخلفات العملية الانتاجية والتخلص منها بالطرق الصحيحة بما لا يضر بسلامة البيئة المحيطة.
- العمل على إعادة تصميم الأغلفة المباشرة (الأولية) الخارجية باستخدام مواد للتدوير بالشكل الذي يقلل من الأضرار البيئية الناتجة عن استخدام الأغلفة الحالية.

2.2.4 التركيز بحرص الشركة على تقليل تكاليفها بشكل كبير لتتمكن من مجاراة منافسيها في السعر.

3.2.4 وضع ضوابط للاستفادة من الحوافز الضريبية المتعلقة بالتدابير البيئية والاجتماعية والمستدامة التي قامت بها الشركة.

4.2.4 العمل على زيادة وعي المجتمع والأطراف ذات العلاقة بأهمية البيئة وذلك من خلال الآتي:

أ) عمل حملات توعوية للزبائن وتشجيعهم على شراء المنتجات الآمنة صحيًا والصديقة للبيئة وتحدمن شرائهم للمنتجات المهرَّبة والضارة بالبيئة.

ب) دعم شركات محل الدراسة للفعاليات التوعوية كالمؤتمرات والقدرات والدراسات والبرامج التلفزيونية والإذاعية التي تناقش مواضع البيئة وضرورة الحفاظ عليها.

ت) ضرورة تبيين طرائق استخدام المنتج الآمنة، والتأكيد على الوصفة الطبية في الأصناف التي تتطلب ذلك مع توضيح طرائق الاستخدام والجرعات، والمدة التي يقصد خلالها المنتج فاعلية بعد فتح العبوات وكذلك طرائق التخلص الآمنة من المنتج والعبوة.

5.2.4 الاستخدام الدائم للشركة عند اختيار الأماكن الامنة بيئيًا وصحيًا للتخزين، وهذا ما يجعلها تطبيق التوزيع المستدام بدرجة عالية.

6.2.4 تفعيل تطبيق خيارات استرجاع الاغلفة والعبوات بعد الاستخدام بالاعتماد على وسطاء لذلك الغرض في الشركة مما يؤدي إلى الاستدامة البيئية.

المراجع العربية:

البكري, ثامر, والنوري, أحمد نزار. (2009). *التسويق الأخضر*. دار اليازروي العلمية للنشر والتوزيع. عمان.

البكري, ثامر, والشراوية, هديل. (2015). *المزيج التسويقي والطاقة المتجددة*. دار أمجد للنشر والتوزيع. عمان.

أبو النجا, آمنة محمد. (2018). أثر التسويق المستدام في السلوك الشرائي للمستهلك المصري تحليل الدور الوسيط للكلمة المنطوقة والصورة الذهنية واتجاهات العميل: دراسة تطبيقية. *المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة*، المجلد48، العدد 3.

أبو وردة، شرين حامد. (2017). *التسويق المستدام: مدخل التسويق الشامل وتطبيقاته في المنظمات العربية والأجنبية*. دار تنوير للنشر والتوزيع. الجيزة/ مصر.

أنجشايري, سامية. (2017). *الذكاء التسويقي ومساهمته في تبني المؤسسات الاقتصادية الجزائرية للتسويق المستدام: دراسة حالة مؤسسات قطاع الصناعات الغذائية* [أطروحة دكتوراه غير منشورة]. كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير, جامعة أكلي أولحاج بالبويرة.

براهيمي, عدلان, وشباح, مسعد. (2019). *دور التسويق المستدام في تحقيق الميزة التنافسية – دراسة حالة مؤسسة مطاحن بني هارون قرارم قوقة* [رسالة ماجستير غير منشورة]. كلية العلوم الاقتصادية والتيسير والعلوم التجارية, المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة, الجزائر.

بن جروة، حكيم. (2017). *إمكانية تطبيق ابعاد التسويق المستدام على مستوى المؤسسات الصغيرة والمتوسطة*. الملتقى الوطني حول إشكالية استدامة مستوى المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر, جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي.

جربوع, يوسف محمد. (2004). *نظرية المحاسبة*. مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع. عمان.

جعفر, سليمان, ودحو, سليمان, و بودواد, بومدين. (2022م). تأثير أبعاد المسؤولية الاجتماعية على تبني مؤسسة نفطال– وحدة غرداية – للتسويق المستدام في ظل تفشي أزمة كوفيد 19. *المجلة الاقتصادية والمالية (JEF)*. المجلد 8، العدد 1.

خليل, ليلى جار الله, ويعقوب, منذر الخضر. (2021). التسويق المستدام ودوره في الاحتفاظ بالزبون: دراسة ميدانية في معمل ألبان الموصل. *مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية*. المجلد 13، العدد 3.

عبد الظاهر, منار محمد, حسن, سوزان بكري, وعبدالحميد, محمد سلمان. (2017). التسويق المستدام للمحميات الطبيعية في مصر, الفرص والتحديات. *المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة*. المجلد 11، العدد 1.

الفقهاء, سام عبدالقادر, والصيفي, مي آياد. (2015). العوامل المؤثرة في مستوى تبني شركات الصناعات الغذائية للتسويق المستدام في فلسطين. *المجلة الأردنية في إدارة الأعمال*. المجلد 11، العدد 1.

نجم, عبود نجم. (2012). *المسؤولية البيئية في منظمات الأعمال الحديثة*. الزراق للنشر والتوزيع. عمان.

النسور, أياد عبدالفتاح, والصغير, عبدالرحمن بن عبدالله. (2014). *قضايا وتطبيقات معاصرة*. دار صفاء للنشر والتوزيع. عمان.

الياسري, أكرم محسن, وكامل, سهاد باقي. (2017). أثر إستراتيجية التسويق المستدام في التوجه الريادي: دراسة استطلاعية تحليلية لآراء عينة من مديري شركة زين للاتصالات المتنقلة في العراق. *مجلة الإدارة والاقتصاد*. المجلد 2، العدد 8.

ياسين, شراد. (2011). *إستراتيجية تطوير وظيفة التسويق المستدام أثرها على الميزة التنافسية للمؤسسة الاقتصادية: دراسة حالة شركة تصنيع اللواحق الصناعية والصحية SANIAK عين الكبيرة.* [رسالة ماجستير غير منشورة]. كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية. جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر.

المصادر والمراجع الأجنبية:

Driss, B. (2011). *LE Marketing Durable pour la promotion d des produits touristiques U.A.S Revista de Comunicare si Marketing, anul II, NUMARUL 3, Octombrie* , I.S.S.N 2069-0304, P 114.

Frank-Martin B., & Birte, K. (2014). *Strategic and instrumental sustainability marketing in the western European food processing industry: Conceptual framework and hypotheses*.

Fuller, D., (1999). *Sustainable marketing, managerial-ecological Issues.* London: SAGE publications.

Gordon, R., Carrigan, M., & Hastings, G. (2011). A framework for sustainable marketing. *Marketing Theory*, *11*(2), 143-163.

Jung, J., Jin, K., & Hoon, K. (2020). Sustainable marketing activities of traditional fashion market and brand loyalty. *Journal of Business Research*,120, 294-301.

Kotler, P. (2004). *Kotler's new thought: Sustainable marketing model*. China People University, Publishing House.

Neha, T. (2014). *Marketing management: Essentials of marketing*. Printed by Excel Books Private Limited.

Nicola, B., & Annie, D. (2005). *Challenging preconception about trade in sustainable product*. London, International Institute for Environment and Development.

Schmidt & Riediger, B. (2018*). Sustainability marketing in the German food processing industry dissertation*. Munich: Tum Business School.

Sheth, J. N., & Parvatiyar, A. (1995). Ecological imperatives and the role of marketing. In Polonsky, M.J. & Mintu-Wimsatt, A.T. (ed.) *Environmental Marketing: Strategies, Practice, Theory, and Research* (pp. 3-7). New York: Hawarth Press.

Sun, Y., Garrett, T., Phail. L., & Zheng. B. (2020). Case-based. models of customer-perceived sustainable marketing and its effect on perceived customer equity. *Journal of Business Research, 117*(4), 615-622.

Taoketao, E. Taiwen, F., Yongtao, S., & Yu, N. (2018*).* Does sustainability marketing strategy achieve payback profits? A signaling theory perspective. *Journal of Corporate Social Responsibility and Environmental Management, 25* (6), 1039-1049.

Tollin, K., & Christensen, L. B. (2019). Sustainability marketing commitment: Empirical insights about its drivers at the corporate and functional level of marketing. *Journal of Business Ethics*,156, 1165–1185.

Yazdanifard, R., & Mercy, (2011). *The impact of green marketing of tourism in protected area.* www.Eeaa.Gov.Eg.

SHU Journal for Humanities and Applied Sciences
Volume 1, Issue 1, June 2023, pp.1-31
https://shu.edu.ye

مجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية
المجلد الأول، العدد الأول، يونيو 2023، ص1-31

Investigating the Reality of Sustainable Marketing Dimensions in Pharmaceutical Companies in Yemen

Maram Mohammed Hussein
Asst. Prof. of marketing
Dept. of Medical Management, College of Administrative Sciences, University of Aden
maram_alyafee86@yahoo.com

Abstract
The study aims to investigate the reality of the dimensions of sustainable marketing in pharmaceutical manufacturing and trading companies in Yemen. The dimensions of sustainable marketing are represented by (sustainable product, sustainable pricing, sustainable promotion, sustainable distribution). A questionnaire is designed as a data collection tool, whereas the study population is the administrative leaders represented by (directors, deputy directors, general directors, and heads of departments) totalling 395 subjects. It is a descriptive study of a sample of 195 subjects who were selected intentionally. Out of this sample, 187 received copies of the questionnaire were analysed by the SPSS. The study comes out with a number of results the most important of which is the high availability of the dimensions of sustainable marketing from the point of view of administrative leaders in pharmaceutical manufacturing and trading companies in Yemen. The highest dimension is the sustainable product dimension, and the lowest dimension is the sustainable promotion dimension. The study forwards a number of recommendations the most important of which is that pharmaceutical companies in Yemen should improve their implementation of sustainable products via their continuous commitment to the quality and safety of their products and not harming the health of customers.

Paper Information
Received: 15.03.2023
Accepted:21.05.2023

Keywords
sustainable marketing, sustainable product, sustainable price, sustainable distribution, sustainable promotion

التناص مع القصة القرآنية في الشعر اليمني في عصر الدولة الرسولية (626-858هـ)

حسين علي سعيد صويلح

مدرس، قسم اللغة العربية، كلية التربية – عتق، جامعة شبوة

باحث دكتوراة، قسم اللغة العربية، كلية التربية – عدن، جامعة عدن

sowleh2011@gmail.com

الملخص

إنَّ التَّناصَّ ظاهرةٌ فنِّيَّةٌ تناولها كثيرٌ من النُّقَّاد الغربيين والعرب من خلال الدراسات والبحوث التي حاولت استيعابها، تلك الخاصيَّة النَّصِّيَّة التي يتَّفِقُ غالبُ النُّقَّاد والدَّارسين لتاريخ تطور مفهوم التَّناصّ أنَّ النَّاقدةَ الفرنسيَّة البلغاريَّة الأصل جوليا كريستيفا (Julia Kristeva)، هي أوَّل من أطلق مُصطلح التَّناصّ (Intertextuality)، ثم اهتمَّ بها النقاد والدارسون، وأفردوا لها حيّزًا معتبرًا من دراساتهم النقدية، واتخذوها وسيلة إجرائية لقياس مدى شعرية النصوص الأدبيَّة. وقد تناول هذا البحث دراسة التناصّ مع القصّة القرآنيَّة في الشعر اليمنيّ في عصر الدَّولة الرَّسوليَّة (626-858هـ)، متلمِّسًا مواطن القصَّة القرآنيَّة في نصوص الشعراء اليمنيين خلال هذه المرحلة، كاشفًا عن مدى توظيفهم لها، وعن الدلالات الجديدة الناتجة عن ذلك التوظيف، وكيف استثمر الشعراء ذلك كلّه في بيان تجاربهم الشعريَّة، وإثراء نصوصهم الشعريَّة.

معلومات البحث

تاريخ الاستلام:
2023.03.16
تاريخ القبول:
2023.05.21

الكلمات المفتاحية

التّناص، القصة القرآنيَّة، الشِّعر اليمنيّ، الدولة الرَّسوليَّة

1. المقدمة:

تُعَدُّ القصّة القرآنيَّة سرًّا من أسرار إعجاز القرآن الكريم، بما تضمنته من أهداف سامية، ومقاصد نبيلة، وقد وردت في القرآن الكريم آياتٌ تشير إلى طبيعة القصص القرآنيَّة، وتتحدث عن صفاتها، وتخبرُ عن أهدافها، كقوله تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف:176] ، وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف:111] ، وقوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠﴾ [هود:120]، لذلك جاءت القصص القرآنيَّة –كما في الآيات– لشحذ العقول والأفكار، وتقديم العبر والعظات، وتثبيت القلوب على الحق، وموعظة وذكرى للمؤمنين. (الخالدي، 1998م، 1/29-37).

والقصَّة القرآنيَّة ليست عملًا فنِّيًّا مستقلًّا في موضوعه، وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه –كما هو الشأن في القصَّة الإنسانيَّة الفنِّيَّة– إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكريم الكثيرة، المؤدية إلى تحقيق هدفه الأصيل، وهي لإبلاغ الدعوة وتثبيتها. وقد خضعت القصة القرآنيَّة في موضوعها، وطريقة عرضها، وإدارة حوادثها، لمقتضى الأغراض الدّينيّة، وقد صاحب ذلك الغرض الديني المسوق له الآيات الكريمات خصائص فنِّيَّة. (قطب، 2004م، ص143).

©2023 SHABWAH UNIVERSITY JOURNAL

2. مفهوم التناص:

تشيرُ لفظةُ (التَّناصّ) في المعاجم العربيَّة إلى معانٍ عِدَّة؛ فقد جاء في (العين): "مفازَةٌ تُناصي مَفازَةً، إذا كانتْ الأُولى متصلةً بالأُخرى، فالآخرة تنصو الأُولى. ويَوْم التَّنادِ: يومُ التَّناصّ؛ أي يُنادي بعضُهم بعضًا". (الفراهيدي، 1980م، 159/7، و10/8). وفي (جمهرة اللُّغة): "تناصَى الرَّجُلَانِ، إذا أَخذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بناصيةِ صَاحبه" (ابن دريد، 1987م، 57/1)، أي أخذَ كُلُّ واحدٍ مقدمةَ شعر الآخر، فيشتبكان بشدَّة. وفي اللسان: "يُقَالُ: هَذِهِ الْفَلَاةُ تُناصِي أَرض كَذَا وتُواصِيها؛ أَي تَتَّصلُ بِهَا. وَالْمَفَازَةُ تَنْصُو المَفازة وتُنَاصِيها؛ أَي تَتَّصِلُ بِهَا" (ابن منظور، 1414هـ، 327/15)، وفي تاج العروس: "تَنَاصَّ القَوْمُ: ازْدَحَمُوا". (الحُسيني الزَّبيدي، 1979م، 182/18). لذلك نستطيع أنْ نقول: إنَّ التَّناصَّ بهذه المعاني اللُّغَوِيَّة يقتربُ من مفهوم مصطلح التَّناصّ في النَّقد الأدبيّ الحديث، وتداخل النصوص بعضها مع بعض، فالاتِّصال، والاشتباك، والازدِحام، والتَّداخل سماتٌ يقوم عليها جوهر التَّناصّ.

ويُعَدُّ التَّناصُّ عند جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) مَزِيَّةً أساسيَّةً للنَّصّ، والتي تُحيل على نصوصٍ أُخرى سابقة عنها، أو معاصرة لها (علوش، 1985م، ص215)، فهو "ترحالٌ للنصوص وتداخلٌ نصِّيّ، ففي فضاء نصّ معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى" (كريستيفا، 1997م، ص21)، وهي ترى أنَّ "كُلَّ نصّ هو عبارة عن لوحةٍ فسيفسائيَّة من الاقتباسات. وكُلَّ نصّ هو تشرُّبٌ وتحويلٌ لنصوصٍ أُخرى". (الغذامي، 1998م، ص326).

ويُعرِّفُ جيرالد برنس (Gerald Prince) التَّناصَّ بأنَّه "العلاقة الحاصلة بين أحد النصوص ونصوص أُخرى يستشهد بها، يعيد كتابتها، يمتصها، يوسعها، أو بصفة عامة يقوم بتحويلها، ويغدو بناءً على ذلك معقولًا". (برنس، 2003م، ص97-98). ويرى مارك أنجينو (Marc Angenot) أنَّ "كُلَّ نصّ يتعايش بطريقةٍ من الطُّرُق مع نصوصٍ أُخرى يتجذَّر منذ ذلك في تناصّ". (بارت، وأنجينو، وسُمفيل، وجينيت، وفايول، 1998م، ص58). ويقترح لوران جيني (Lauent Jenny) إعادة تعريف التَّناصّ بقوله: "عمل يقوم به نصٌّ مركزيٌّ لتحويلِ عِدَّة نصوصٍ وتمثلها، ويحتفظ بريادة المعنى". (بارت وآخرون، 1998م، ص69). ويُعرِّفه ميشال ريفاتير (Mikael Riffaterre) (ت2006م) من منظور التَّلقِّي والتأويل بأنَّه: "إدراكُ القارئ للعلاقةِ بين نصّ ونصوصٍ أُخرى قد تسبقه أو تعاصره". (بقشي، 2007م، ص20).

ومع تبايُن آراءِ النُّقاد في مفهوم التَّناصّ؛ إذ يمثل هذا التَّبايُن خصوصيَّة من خصوصياته (مسعد، 2018م، ص31)، فإنَّ جوهره العلاقات التي تنشأ بين النصوص، وأنَّ النَّصَّ تتداخل معه نصوصٌ أُخرى بأشكالٍ مختلفةٍ، وهو ما يؤكده روبرت شولز (Robert Scholes) بأنَّ معنى التَّناصّ يختلف من ناقدٍ لآخر، ولكن المبدأ العام فيه هو أنَّ النصوصَ تُشيرُ إلى نصوصٍ أُخرى، والنَّصّ يتسرَّبُ إلى داخل نصٍّ آخر (شولز، 1994م، ص244. والغذامي، 1998م، ص325)، أي إنَّ مرجعيةَ النَّصّ هي النصوص. (الماضي، 1993م، ص200).

إنَّ مفهوم التَّناصّ دخل ميدان الممارسة النَّقديَّة من مواقفٍ مُتباينةٍ، وآراءٍ مُتعدِّدةٍ، وهو لا يخرج عمليًّا عن أحد اتجاهين أساسيَّين: **الأول** يولي اهتمامه بالتَّناصّ بما هو عمليَّة إنتاج النَّصّ نفسه، و**الثاني** يهتمُّ بالتَّناصّ بما هو

مقاربة للنَّصِّ المقروء، مانحًا الثقل لدور القارئ في الكشف عن اللعبة الداخليَّة للنصوص في علاقتها بالنصوص الأُخرى. (قنديل، 1999م، ص97-99).

3. التَّناصُّ مع القصة القرآنية:

تُعَدُّ القصَّة القرآنيَّة مصدرًا من مصادر التَّناصّ؛ تمدُّ الشعراء بالعِبَر والمُثُل العُليا، فوظّفوها توظيفًا فنِّيًّا على وفق الموقف الشِّعريّ الذي يرونه، لأنَّ القصَّة القرآنيَّة "بالإضافة إلى ما تحويهِ من صورةٍ فنِّيَّةٍ رائعةٍ، كذلك تصوِّرُ نفسيَّة أولئك الذين تتحدَّثُ عنهم بصورةٍ واضحةٍ، بيِّنة الاتجاه، لا تهمل جُزئيَّةً، ولا تنسى مشهدًا". (هياجنة، د.ت، ص115).

وقد وجد شعراءُ اليمن في العهدِ الرَّسوليّ في القصَّةِ القرآنيَّة ضالتهم التي ينشدونها؛ للتعبير عمَّا يجيشُ في خواطرهم من أفكار، فلجأوا إليها مستلهمين معانيها وأحداثها المختلفة، رابطين بينها وبين تجاربهم الشِّعريَّة، ممَّا يعطي أشعارهم أبعادًا مرموقة في القوة والتأثير. فكان الشاعر اليمني بارعًا في انتقائه القصَّة التي يرى فيها دعمًا وتعزيزًا لرؤيته الفنِّيَّة، وكان يلمِّح إلى القِصَّة القرآنيَّة، أو يشير لها، أو يذكر جزئية من جزئياتها، أو يقوم بتحويرها، دون اللجوء إلى سردها والإغراق في تفاصيلها، ليترك المتلقي في حالةٍ من توالد الصور الفنِّيَّة، فيعود بخياله إلى القصَّة التي وظفَّها الشاعر؛ ليعقد مقارنةً بين القصَّة كما وردت في القرآن الكريم، وشكلها الفنِّيّ الذي يقوم على توظيف الشاعر لها في شعره، لخدمة مضمونٍ فنِّيٍّ جديدٍ قصده الشاعر.

وقد أدركَ الشعراءُ اليمنيون القيمة الجماليَّة والفنِّيَّة في توظيف قصص الأنبياء القرآنيَّة في نصوصهم الشِّعريَّة، وتأثيرها في نفس المتلقي؛ "إذ تحتوي هذه القصص على كثيرٍ منَ المفاهيم التي لو وظفت في الشعر لأدَّت من المعاني مالم تستطع الجمل الكثيرة تأديته، وبذلك يزداد الثقل الفنِّيّ للشِّعر". (زاده ونهيرات، 2009م، ص4).

وفي هذا البحث سنبيّن مدى تناصّ الشِّعر اليمنيّ في العصر الرَّسوليّ مع القصص القرآنيَّة، وطبيعة تعامل الشعراء مع تلك القصص.

1.3 قصة يوسف عليه السلام:

تُعَدُّ قصة يوسف -عليه السلام- أكثر قصص القرآن الكريم توظيفًا في الشعر اليمنيّ خلال هذه المرحلة، فقد جاءت قصته في القرآن في سياق واحد غير متقطع، ومثَّلتْ نموذجًا متكاملًا لفنِّ القصَّة في القرآن الكريم، لذلك تثبّتت هذه القصَّة في أذهان الشعراء اليمنيين، ووجدوا فيها أحداثًا ومغازي كثيرة، استطاعوا أن يوظّفوا بعضًا منها، بما يتناسب مع مواقفهم الشعريَّة. وقد اختلف الشعراء فيما بينهم في توظيف هذه القصَّة، التي حملت كثيرًا من الدَّلالات؛ كالجمال، والغربة، والبراءة، والخداع، والكيد، والحسد، والحزن، والصبر، والأمانة، والعفو، وغيرها، لذلك فإنَّ الإضافات التي أُضيفت إلى يوسف -عليه السلام- كثيرة؛ منها: (رُؤْيا يُوسُف، ذِئْب يُوسُف، قَمِيص يُوسُف، حُسن يُوسُف، سنو يُوسُف، ريح يُوسُف)، وقد وظَّف الشعراء هذه الإضافات في أشعارهم. (الثعالبي، د.ت، ص38، 45-50).

وأول ما يلقانا من قصَّة يوسف -عليه السلام- قصته مع إخوته، التي تحمل صنوفًا من المحن والابتلاءات: كمحنة حسد الإخوة وكيدهم، ومحنة الجب، ومحنة الرق، وقد جاءت القصَّة في مشاهد عدة من سورة يوسف، منها قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا

لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف:7-20]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف:69-76].

فقصّة يوسف –عليه السلام– مع إخوته تتمتع بغنى مضموني واسع، ودلالات متعدّدة، يوظّفها الشعراء في الشكوى من الإخوان والحذر منهم، والحسد والحقد بين الإخوة والأقارب، والحيل والخداع والمكايد. فهذا الشاعر محمد بن حمير (ت651هـ) كان مقرّبًا من الشيخ أبي بكر بن مُعَيبِد الأشعري (ق7هـ)، وكان يخلع عليه غرر المدائح، وكان الشيخ يجزل له العطاء، فأثار ذلك حساده، وأقلق منافسيه، حتى صاغ أحدهم هجاءً في الشيخ على لسان ابن حمير، فلما وصل الشيخ ذلك الهجاء ساءه الأمر، وغضب لهذا الفعل، وتنكَّر للشاعر، فبات يتربص به الدوائر، مما أقلق ابن حمير، وأقضّ مضجعه، وقدَّمَ في ذلك اعتذارياته، وفي إحدى هذه الاعتذاريات يربط ابن حمير موقفه بموقف يوسف –عليه السلام– مع إخوته، إذ يقول: (ابن حمير، 1985م، ص204). [الطويل]

أمَـا وَالَّـذِي حَـجَّ الـمُـلَـبُّـونَ بَـيْـتَـهُ ... عَـلَـى مُضْـــمَـرَاتٍ كَـالـقِـســيِّ حَـوَانِـي
لـمـا سَـــطَّـرَتْ ذاكَ الـكـلامَ أَنَـامِـلـي ... ولا قـالَ مَـا قـالَ الوُشَـــاةُ لِسَـــانِي
وَلَـكِـنَّـهُـم (أَوْلَادُ يَـعْـقُـوبَ) أَقْـبَـلُـوا ... بِـذِئْـبٍ وَثَـوْبٍ حَـوْلَـهُ الـدَّمُ قَـانِ

فالشاعر يدفع التهمة عن نفسه بالقسم أنه بريء مما نسب إليه، لم تخطه يده، أو يتلفظ به لسانه، وإنما هو من قول الوشاة والحاسدين، ويبدو أنَّ الشاعر وجد أنَّ القسم قد لا يكون كافيًا لإرضاء الشيخ، ودفع التهمة عن نفسه، فعمد إلى الاحتجاج بالقصّة القرآنيَّة، ذاكرًا موقف يوسف –عليه السلام– مع إخوته، الذي ربّما يخفف عنه من حدة الموجدة.

والنَّصُّ الشِّعريُّ يستحضر النَّصَّ القرآنيّ في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ [يوسف:16-18]. فالشاعر يقابل موقفه بما عاناه من كيد الوشاة الحساد، وما رموه به من كذب وافتراء، بموقف يوسف -عليه السلام- الذي ذاق ما ذاق من كيد إخوته ومكرهم وحسدهم.

والشاعر يلجأ إلى تحوير النَّصّ القرآنيّ بما يخدم تجربته الشِّعريّة؛ إذ استبدل بـ ﴿يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ﴾ في النص القرآنيّ (أولاد يعقوب)، فنفى عنهم صفة الإخاء، بما قاموا به من عمل مشين، وفي النَّصِّ القرآنيّ: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾، وفي النَّصِّ الشِّعريّ يقول الشاعر: **(وثوب حوله الدم قان)**، أي إنَّ الشاعرَ أراد أن يرسم أوضح صورة للوشاية بأن جعل (الدم) حول (الثوب) ولم يلامسه، وكأنه استعمل (حول) مقابل صفة (كذب) في النَّصِّ القرآنيّ.

وهنا نلمح انزياحًا شعريًّا؛ إذ عبَّر النَّصُّ القرآنيُّ عن كيد إخوة يوسف ليوسف، وكذبهم على أبيهم يعقوب بأنَّ الذئب أكله، فيما عبَّر النَّصُّ الشِّعريُّ عن كيد الوشاة للشاعر وافترائهم عليه، وكذبهم على الشيخ بأنَّ الشاعر قد هجاه، فشبَّهَ الشاعر الوشاة بأولاد يعقوب؛ إذ وجد أنَّ هناك علاقات تربط بين الطرفين؛ وهي الحسد والكيد والكذب والافتراء. ويمكن توضيح هذا الانزياح الدَّلالي على النحو الآتي:

الانزياح الدّلالي	وجه العلاقة
الوشاة = أولاد يعقوب	الحسد والكيد
الشاعر = يوسف	الضحية
هجاء الشيخ = الذئب والقميص	دليل المكيدة

وقد برع الشاعر في توظيف القصَّة القرآنيَّة، فهو في وقت يبدو فيه بأمسّ الحاجة إلى عفو الشيخ، وإقناعه بصدق كلامه وكذب الوشاة، لذا يستحضر فاعلية التعبير القرآنيّ، فهو بريء مما رُمي به، والوشاة يغارون منه ويحسدونه، كما فعل أولاد يعقوب بأخيهم.

ومحمد بن حمير تستهويه قصة يوسف -عليه السلام- مع إخوته، فما ينفكّ يستحضرها كلما سنحت فرصة أو عنَّتْ مناسبة، فها هو يوظِّفها في سياق حديثه عن خداع محبوبته له، قائلًا: (ابن حمير، 1985م، ص111-112). [الخفيف]

لَا تَقُلْ لِي خُدِعْتَ، قَدْ يُخْدَعُ المَرْ ءُ وَإِنْ كَانَ عَارِفًا بِالخِدَاعِ
عُصْبَةُ الذِّئْبِ والغِلَالَةِ والجُ ـــبِّ نَسُوا ذَاكَ يَوْمَ دَسِّ الصُّوَاعِ

فالشاعر يتعرَّض للخداع، فيخاطب نفسه -على سبيل التجريد- لتكفَّ عن اللوم بأنَّهُ خُدِعَ، وليروح عن نفسه وينفِّس عنها؛ مُدَّعِيًا أنَّ المرءَ الذي دأب على الخداع والمكر والحيلة قد يُخدَع أحيانًا، ثم يسوق الحجّة على ما ادعاه من القرآن الكريم؛ من قصَّة يوسف -عليه السلام- مع إخوته، فإنَّ الخداع دأبهم، متحدِّثًا عن تجربتهم القاسية في خداع أبيهم، بما فعلوه بأخيهم الصغير، مشيرًا إلى وسائلهم في المكيدة والخداع من الذئب والقميص والجب، لكن مع

معرفتهم بالخداع ووسائله، فإنهم تعرضوا للخداع والمكيدة من يوسف عندما دسَّ صواع الملك في متاع أخيه؛ ليحظى بأخيه إلى جواره.

وقد استعمل الشاعر أسلوب النهي (لا تقل)، ثم يتبعه بطرح فكرته التي عزَّزها بالحجّة الدَّامغة من القصَّة القرآنيَّة؛ لتكف نفسه عن اللوم، وليطرح عن نفسه بعض الهموم التي شغلته وأثقلته، بسبب خداع محبوبته له، فيكون ذلك من باب الترويح والتنفيس عن النفس.

والنَّصُّ الشِّعريُّ يشير إلى بعض مفردات القصَّة من النَّصِّ القرآنيّ؛ مثل: (عصبة) و(الذئب) في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ [يوسف:14]، و(الجب) في قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ [يوسف:10] ، و(الصواع) في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ [يوسف:72] . فالشاعر يوظِّفُ هذه المفردات التي تدلُّ على مشاهد الخداع في قصة يوسف مع إخوته، فيربط بين موقفه مع محبوبته، وموقف يوسف وإخوته؛ ليبين صدق ما يذهب إليه، ويزيد حجته قوة.

وقد وجد الشعراء في حيل إخوة يوسف ومكرهم عِظَةً بالغة، يفيد منها كل إنسان لبيب، ومن أبرز العِبر التي استوحاها الشعراء من فعلة إخوة يوسف: الحذر من البشر، فإنَّ الإنسانَ مفطورٌ على الغدر والخيانة، فهذا الشاعر القاسم بن هتيمل (ت696هـ) ينصحُ قائلًا: (ابن هتيمل، 1997م، 279/1). [الكامل]

لَا تَـأْمَنَنَّ أَخًـا فـــــ(إِخْوَةُ يُوْسِـــفٍ) لَـعِـبَـتْ حَـبَـائِـلُ غَـيِّـهِـم بِـرَشَـــادِهِ

يوجه ابن هتيمل في بيته خطابًا فيه النصح لكل أخ بأن لا يأمنَنَّ أخاه، ولكي يقنع المتلقي/ المنصوح بذلك، عزَّز رأيه بفعلة إخوة يوسف، وما ألحقوه بأخيهم يوسف من أذى وابتلاء، ليعكس بذلك مرآة الواقع الذي يعيشه في مجتمعه من التباغض والحسد والكيد والخداع حتى بين أقرب المقربين.

والشاعر يستدعي قصَّة يوسف مع إخوته في ومضة سريعة، مكتفيًا بالإشارة إلى (إخوة يوسف)، وإيجاز قصتهم وما فعلوه بيوسف بقوله: (لعبت حبائل غيّهم برشاده)، وهي ومضة إبداعية جادت بها قريحة الشاعر، وإن كانت مستمدة من وحي القصَّة القرآنيَّة، غير أنَّ الشاعر أجاد من خلالها التعبير عن الفكرة، واستنباط العبرة. وقد استطاع الشاعر من خلال استدعاء هذه القصَّة أن يجمع خيط الماضي بخيط الحاضر، فحسد الأخ وكيده في الماضي هو صورة مطابقة لحسد الأخ وكيده في الحاضر، وبذلك يتحقق لهذه الإشارة بريقها الساطع، كما أبرق في ذاكرة المتلقي باستحضار قصَّة يوسف –عليه السلام– وتحديدًا الابتلاء الذي وقع له من إخوته.

ويوظف القاسم بن هتيمل قصة يوسف –عليه السلام– في مديحه للشريف يوسف بن جلال الهَضَّامي (ق7هـ)؛ إذ يقول: (ابن هتيمل، 1997م، 581/2). [الطويل]

أَرَى فِيكَ مَعْنًى مِنْ سَـــمِيِّكَ (يُوسُـــفٍ) بِـإِلْـقَـائِـهِ فِـي جُـبِّـهِ وَابـتِـيَـاعِـهِ
فَـهَـلْ مِنْ صُـــوَاعٍ تَسْـــتَفِيْـدُ بِفَقْـدِهِ أَخًـا كَـأَخِـيْـهِ يَـوْمَ فَـقْـدِ صُـــوَاعِـهِ؟

والنَّصُّ الشِّعريُّ يتناصّ مع النَّصِّ القرآنيّ في قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ [يوسف:10] ، وقوله تعالى: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٍ دَرَاهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ [يوسف:20] ، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم

بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ [يوسف:70-72] .

وقد اعتمد الشاعر على عنصر التشويق في صدر البيت الأول، فهو يستثير مخيلة المتلقي بقوله: (أرى فيك معنى من سميك يوسف)، فهذه العبارة تشير إلى قوة العلاقة بين ممدوحه وبين يوسف -عليه السلام-، معتمدًا التماثل بين اسم الممدوح واسم يوسف -عليه السلام-، للدَّلالة على علو منزلة الممدوح وشرف مكانته، كما يعتمد الإفادة من النَّصِّ القرآنيّ الذي وضّح المعاناة التي عاناها يوسف من إخوته، فالممدوح لم يكن شبيهَ يوسف في الاسم فحسب، وإنما مرَّ بما مرَّ به يوسف من شقاءٍ ومعاناةٍ، وهو ما عبَّرَ عنه الشاعر بقوله: (بإلقائه في جبه وابتياعه).

ويشعر الشاعر ابن هتيمل بالضياع والغربة القاسية، لذلك يوظِّف في البيت الثاني الحيلة التي قام بها يوسف -عليه السلام- عندما جعل صواع الملك في رحل أخيه (بنيامين)؛ ليضمه إليه بعد طول غياب، وليستبقيه لديه في مصر، وقد أراد من ذلك استعطاف ممدوحه -بعد تمكينه وسيادته- وتعميق أواصر الأخوة والمحبة بينهما، متوسلًا أن يعطف عليه، كما عطف يوسف على أخيه.

والشاعر يبرع في استحضار دلالات مفردات القصَّة القرآنيَّة، وهي مفردات تشع إيحاءات رمزيَّة مكثفة في سبيل إثراء التّجربة الشِّعريَّة، فالممدوح سمي يوسف -عليه السلام- في الاسم والمعاناة والتمكين والسيادة، وتتشابه تجربتاهما، لذلك يلجأ الشاعر في نصّه الشّعريّ إلى الانزياح الدّلالي؛ فالممدوح=يوسف، الشاعر=أخو يوسف (بنيامين).

ويتضح من سياق البيت الثاني براعة الشاعر في توظيف النَّصّ القرآنيّ، فهو يوظف (الصواع) واجتماع يوسف بأخيه، بما ينسجم وحالته النفسيَّة، ويستعمله رمزًا يجمعه وممدوحه، وتعميق أواصر الإخوة والمحبة بينهما، وبذا يتمكَّن من إيصال المدلول بطريقة فاعلة ومؤثرة في المتلقي. كما يبدع الشاعر في استعمال أسلوب الاستفهام (هل) الذي خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى الاستعطاف، لإدراكه الأثر البليغ لهذا الأسلوب في جذب انتباه المتلقي. واستعماله الترديد في بيته بين (أخًا/كأخيه)، و(صواع/صواعه)، الذي أسبغ على النَّصِّ إيقاعًا موسيقيًّا مُحبَّبًا، وبفضله تولَّدَ التصدير في البيت، ممَّا خلق مسحةً إيقاعيَّةً لطيفةً تثير اهتمام السامع.

والشاعر عبد الرحيم البرعي (ت803هـ) لم يسلم من ضرر الناس، وتفَنُّنِهم في أذاه، لقد سعى السُّعَاةُ ضده، حتى أقاربه وإخوته لم يسلم من أذاهم، ومن كيدهم، وقد اشتكى منهم البرعي وكشفهم في مواضع عدَّة من ديوانه، وضرب المثلَ بحال يوسف -عليه السلام- مع إخوته، الذين لم تشفع له الأخوَّة من النيل منه، يقول البرعي: (البرعي، 2013م، ص270). [البسيط]

قَـالُوا أَتَشْـكُو مِنَ الإِخْوَانِ قُلْـتُ وَمَـا ... أَفَـادَ كَـوْنُ (بَـنِـي يَـعْـقُـوبَ) إِخْـوَانَـا
أَلْقُوا أَخَـاهُمْ عَلَى قُرْبِ الرَّحَـامَـةِ فِي ... غَـيَـابَـةِ الـجُـبِّ بَـاكِي الـعَيْنِ حَيْرَانَـا
وَبَـعْـدُ بَـاعُـوهُ عَـبْـدًا آبِـقًـا وَرَمَـوا ... بِـالـذِّئْـبِ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ذِئْـبَ (كَنْعَـانَـا)

يعيش الشاعر اغترابًا اجتماعيًّا؛ بسبب خذلان إخوانه وتآمرهم عليه، لذلك استدعى قصَّة يوسف -عليه السلام- في القرآن الكريم مع إخوته، لكشف مدى الغدر والكيد الذي تعرَّض له يوسف -عليه السلام- من إخوته الذين ألقوه في غيابة الجبّ، ثم عادوا لأبيهم يبكون كذبًا عليه؛ زاعمين أنَّ الذئب أكله، ووظفها في نصِّه الشِّعريّ للتعبير عن تجربته

المؤلمة مع إخوانه، وليبيّن عظم المصيبة الواقعة عليه، مُلمحًا إلى قلقه من أنْ يلاقي المصير نفسه الذي لاقاه يوسف –عليه السلام– من إخوته.

ويلاحظ أنَّ الشاعر يدور في فلك النَّصّ القرآنيّ إلى حدٍّ كبير، معتمدًا مبدأ التذكير بما ورد في النَّصّ القرآنيّ من كيد إخوة يوسف وغدرهم بأخيهم، لينطلق إلى فضاء معرفي أوسع يعبِّر من خلاله عن فلسفته في الحياة، وبذا يغدو النَّصّ الشِّعريّ أكثر إقناعًا وأبلغ حجّةً.

وممَّا اشتهرَ في قصَّة يوسف –عليه السلام– حزن يعقوب –عليه السلام– المفرط، وبكاؤه غير المنقطع، الذي قلب سواد عينيه بياضًا، حزنًا على فقد ولده الذي فرَّط به إخوته. وقد وظَّفَ الشعراءُ حزنَ يعقوب رمزًا للحزن الأليم، والبُكاءِ على كُلِّ عزيزٍ مفقودٍ، يقول الشاعر محمد بن حمير في حزنه على الشيخين الفقيه محمد بن أبي بكر الحكمي، والفقيه محمد بن الحسين البجلي بعد زيارة قبريهما: (ابن حمير، 1985م، ص48). [الطويل]

وَلِلنَّـاسِ أَشْـــجَـانٌ، فَلَوْ هَـانَ نَـازِحٌ عَلَى فَـاقِـدٍ لَمْ يَبْـكِ (يَعْقُوْبُ) (يُوْسُـــفَـا)

فقول الشاعر يتناصّ مع قصَّة يعقوب –عليه السلام– وحزنه على فقد ابنه يوسف –عليه السلام–، وبكائه عليه، حتى وهب عينيه فداءً لثمرة فؤاده يوسف، وهي ما أشارت إليها الآية الكريمة في قوله تعالى مبينًا حال يعقوب –عليه السلام–: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف:84] . والأسف هو أشدُّ الحزن والحسرة، حتى ابيضت عيناه حزنًا وكمدًا؛ لكثرة بكائه، كأن العبرة محقت سوادهما (البيضاوي، 1418هـ، 3/173-174)، وهي "صورة مؤثرة للوالد المفجوع، يحس أنه منفرد بهمه، وحيد بمصابه، لا تشاركه هذه القلوب التي حوله ولا تجاوبه، فينفرد في معزل، يندب فجيعته في ولده الحبيب –يوسف– الذي لم ينسه، ولم تهون من مصيبته السنون". (قطب، 2003م، 4/2025).

وقد وظّفَ الشاعر القصَّة القرآنيَّة في حزنه وشجْوه على الشيخين، فهو يرى أنَّ الأحزان سنة جارية بين الناس، وكذلك الموت، وأنَّ النفس مفطورةٌ على الحزن عند فَقْدِ عزيزٍ، ولا يمكن السيطرة عليها، ومنعها من الحزن، ولو كان ذلك –أي منع النفس من الحزن– ممكنًا، لكان يعقوب، وهو النبيُّ الذي قد أنبأه الله بأنَّه سيأتي يومٌ يلقى فيه ولده، أولى بمنعها عن مواصلة الحزن والبكاء على فقد ولده يوسف. وقد أراد الشاعر أنْ يعزي نفسه ويسليها، بشخصية نبي الله يعقوب –عليه السلام–، وبكائه على فقد ابنه يوسف –عليه السلام–، فهو ينظر إلى يعقوب –عليه السلام– على أنَّه قدوة صالحة يتأسَّى بها كُلُّ مفجوعٍ بفقدِ عزيزٍ له.

كثَّفَ الشاعر المعنى في نصِّه الشِّعريّ من خلال عجز البيت، عندما أحال المتلقي على قصة يوسف وأبيه يعقوب، ليفيد من أحد أبعادها الدلاليَّة؛ أي (الحزن والبكاء على فقيد)، وقد عبَّرَ النَّصُّ القرآنيُّ عن حزن يعقوب –عليه السلام– بقوله تعالى: ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، أما الشاعر فقد عبَّر عن أسلوبه في استحضار حزن يعقوب من خلال استعماله (لو) في بداية النَّصِّ الشعريّ، وهو حرف امتناع لامتناع؛ أي امتناع جواب الشرط (لم يبكِ...) لامتناع فعل الشرط (هان نازحٌ على فاقدٍ)، فالنفي بمقتضى (لو) كان إثباتًا، فالبكاء هنا مثبتٌ ليعقوب على ولده يوسف. وهنا تكمن قدرة الشاعر وبراعته في توظيف القصَّة القرآنيَّة، رابطًا حزنه على شيخيه بحزن يعقوب –عليه السلام– على ولده.

وعدلَ الشعراءُ بقصة يوسف -عليه السلام- إلى ميدان الغزل؛ إذ "لابُدّ للمُحبِّ إذا حُرِمَ الوصل من القنوع بما يجد، وإنَّ في ذلك لمُتَعَلَّلاً للنّفس، وشغلًا للرّجاء، وتجديدًا للمنى، وبعض الرّاحة... ومن القنوع أنْ يُسَرَّ الإنسانُ ويرضى ببعضِ آلاتِ محبوبِهِ، وإنَّ لهُ من النّفسِ لموقعًا حسنًا، وإن لم يكُن فيهِ إلّا ما نصَّ الله تعالى علينا، من ارتداد يعقوب بصيرًا حين شمَّ قميصَ يوسفَ عليهما السلام" (ابن حزم القرطبي الأندلسي، 1987م، ص230-231)، وفي ذلك يقول محمد بن حمير مخاطبًا محبوبته: (ابن حمير، 1985م، ص193). [الكامل]

لَا تَحْبِسَنْ عَنِّي خَيَالَكَ إِنَّهُ وَأَبِيْكَ لهوَ الزَّائِرُ المَحْبُوْبُ
يَا (يُوْسُفًا) في الحُسْنِ كُنْ لي بَاعِثًا مِنْكَ القَمِيْصَ فَإِنَّنِي (يَعْقُوبُ)

فالشاعر يقتدي بالنبي يعقوب -عليه السلام-، الذي وجد شفاء نفسه المحزونة على ولده يوسف -عليه السلام- في القميص، لذا وجد الشاعر شفاء نفسه على فراق محبوبته في زيارة خيالها، الذي يجعله مقابلًا لـ(القميص). ويمكن توضيح هذا الانزياح الدّلاليّ على النحو الآتي:

الانزياح الدلالي	وجه العلاقة
المحبوبة = يوسف	الجمال والحُسن
الشاعر = يعقوب	الوجد والشوق
خيال المحبوبة = قميص يوسف	الشفاء والوصال

إنَّ توظيف الشاعر لفكرة قميص يوسف في ميدان الغزل يحمل بعدًا فكريًّا جديدًا، مفادهُ أنَّ زيارة خيال المحبوبة تُحيي أملَ اللقاء، وتوحي بقرب الشفاء من غليل البُعد، وعليل الوجد، ولوعة الشوق.

وتستهوي قصة لقاء يعقوب بولده يوسف الشاعر محمد بن حمير، فيوظفها كثيرًا في غزله، ومن ذلك قوله: (ابن حمير، 1985م، ص103). [الكامل]

وَضَمَمْتُهُ فَكَأَنَّمَا هو (يُوْسُفٌ) وَافَى عَلَى العَهْدِ القَدِيْمِ أَبَاهُ

والشاعر لا يكتفي باستدعاء ما يرمز إليه اسم يوسف -عليه السلام- من الجمال والحُسن والفتنة، وإنما يستدعي أيضًا ممّا يرمز إليه يعقوب -عليه السلام- من شدة الوجد وإخلاص الحب، ليدلّل من خلال الصورة التشبيهيَّة على جمال محبوبته، وصدق عاطفته تجاهها. ولعلَّ الشاعر أراد أن يستلهم صدق عاطفة أبوَّة يعقوب تجاه ولده يوسف، في التعبير عن صدق عاطفته في الحُبّ، لتكون حجّته أقوى في إقناع محبوبته، ومن ثمّ المتلقي.

وممَّا يستحسنُ الإشارة إليه هنا هو أنَّ النَّصَّ القرآنيَّ لم يُشر إلى أنَّ يعقوب -عليه السلام- ضمَّ ولده عند لقائه به، ولكن القصّة القرآنيَّة تجاوزت كثيرًا من التفصيلات، واحتضان الأب لولده بعد فراقٍ دام سنين كثيرة، أمرٌ لا بدَّ أن يكون قد حدث، وعلى ذلك بنى الشاعر معناه.

وأسهم القرآن الكريم في ترسيخ فكرة (الجمال اليوسفي) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ

مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ [يوسف:30-31] ، وجاء في الحديث: "أُعْطِيَ يُوسُفُ شَطْرَ الْحُسْنِ" (ابن حنبل، 2001م، رقم: (14050)، 441/21)، وبسبب هذا الحُسن افتتنت به امرأة العزيز، وقطّعت النسوة أيديهنّ، وقد استقرت هذه الفكرة في أذهان الشعراء حتى غدا يوسف –عليه السلام– رمزًا للجمال والحُسن.

وقد وظَّفَ الشعراءُ (الجمال اليوسفي) في شعرهم الغزلي، يقول محمد بن حمير في وصف محبوبته: (ابن حمير، 1985م، ص184). [السريع]

يَـا أَهْـلَ وَادِي الـبَـانِ بِـي مِـنْـكُـمُ	أَحْـوَرُ أَحْـوَى بَـابِـلِـيُّ الـجُـفُـونْ
يَـفْـتِـنُـنِـي تَـفْـتِـيْـرُ أَلْـحَـاظِـهِ	وَمَـا فُـتُـوْرُ الـلَّـحْـظِ إِلَّا فُـتُـونْ
قُـلْـتُ وَقَـدْ تَـيَّـمَـنِـي حُـبُّـهُ	وَأَهْـلُـهُ عَـنِّـيَ لَا يَشْـعُـرُونْ
مَـا ذَا جَـمَـالٌ هَـذه فِـتْـنَـةٌ	مَـا ذَا هَـوَى يَـا قَـوْمُ هَـذا جُـنُـونْ
(يُـوْسُـفُ) إِنْ قَـطَّـعَ أَيْـدٍ فَـذَا	قَـطَّـعَ أَكْـبَـادَ أُنَـاسٍ فُـنُـونْ
مَـا ذَا يُشَـابِـهْ رِدْفُـهُ وَالـحَشَـا	وَحَـاجِـبَـيْـهِ اقْـتَسَـمَـتْـكَ الشُّـجُـونْ
تَـنْـظُـرْ نَـقَـا يَـهْـتَـزُّ فِـيْـهِ قَـنًـا	وَنَـرْجِسًـا حَـوْلَـيْـهِ نُـوْنٌ وَنُـونْ

يتحدث الشاعر في نصِّه عن الحب ولوعته، فيصوِّر قوة الجمال الذي تمتلكه معشوقته، وقد فتنه هذا الجمال وأبهره، وأصابه هوى المحبوبة بالجنون، لذا وجد في (الجمال اليوسفي) وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾، ما يستحق أن يقال في جمال هذه المحبوبة التي يتغزل بها. غير أننا نجد في النَّصِّ القرآنيّ انشغال النسوة بجمال يوسف، مما تسبب بتقطيع أيديهن دون أن يشعرن، أما في النَّصِّ الشّعريّ فيرى الشاعر أنَّ جمال محبوبته أقوى وأشدّ من أن تقطّع الأيدي، بل قُطِّعت الأكباد، وأين تقطيع الأيدي من تقطيع الأكباد؟!

فالشاعر في توظيفه القصَّة القرآنيَّة يلجأ إلى الانزياح الدّلالي على النحو الآتي:

الانزياح الدّلالي	وجه العلاقة
المحبوبة = يوسف	الجمال والحُسن
الشاعر = امرأة العزيز والنسوة	العشق والافتتان
تقطيع الأكباد = تقطيع الأيدي	الأثر

فالشاعر لا يكتفي بالمقابلة بين محبوبته ويوسف –عليه السلام– من جهة الجمال والحُسن والفتنة، بل يجعل محبوبته أعلى رتبة، فإذا كانت نسوة المدينة قد شغلتهن المفاجأة فقطعن أيديهنّ، إكبارًا لجمال يوسف، فإنَّ المحبوبة بجمالها قطعت أكباد أناس، وهذا الانزياح في الدّلالة تطلَّبَ من الشاعر أن يوسّعَ الصورة أكثر، أي صورة (الجمال اليوسفي) للمحبوبة، حتى يقتنع المتلقي بأنَّ المحبوبة تستحقّ أنْ تُقطّع الأكباد لأجلها، لذا حاول الشاعر أن يستكمل جوانب اللوحة بوصف محاسن المحبوبة ومفاتنها.

ويقول إسماعيل بن المقري (ت837هـ) في وصف محبوبته: (ابن المقري، 1305هـ، ص335). [الكامل]

مَـا كَـانَ قَـطُّ وَلَا يَـكُـونُ كَـمِـثْـلِـهَـا فِـي هَـذِهِ الـدُّنْـيَـا جَـمَـالٌ يُـوْجَـدُ
فَجَمَـالُ (يُوْسُـفَ) لَيْسَ فَوْقَ جَمَـالِهَـا لَـكِـنَّـهُ قَـدْ كَـانَ بَـادٍ يُشْـهَـدُ
وَجَـمَـالُ هَـذِي لَا يُـرِيـهِ حِـجَـابُـهَـا أَحَـدًا، فَـيُـثْـنِـي وَصْـفَـهُ وَيُـعَـدِّدُ

يصف الشاعر محبوبته بالجمال الفريد، فليس مثل جمالها كائن في الدنيا، حتى جمال يوسف –عليه السلام– ليس فوق جمالها، فقد كان جمال يوسف ظاهرًا بيّنًا يمكن وصفه، أما محبوبته فجمالها مستور، يمنع حجابها أن يراه أحد، فيثني في وصفه، ويعدّد محاسنه.

ويتضح من البيت الثالث أنَّ الشاعر أراد أن يصف محبوبته بالعفة والشرف والاستقامة، فهي مستورة بحجابها، لا يرى جمالها أحد، ويبدو أنه أراد من ذلك أن هذه المحبوبة لا تشبه يوسف في الجمال والحُسن فحسب، وإنما تشبهه أيضًا في العفة والاستقامة.

وبذلك يُحمد للشاعر في هذا المقام جمعه بين المحاسن الجسمية (جمال المنظر وحسن الهيئة)، والمحاسن الخُلقية (العفاف والطهارة والاستقامة) في إطار صورة متكاملة لمحبوبته. فهو لا يكتفي باستيحاء ما يرمز إليه يوسف –عليه السلام– من الجمال والحُسن، وإنما يفيد أيضًا ما يرمز إليه من العفاف والطهارة، وبذا تزداد قدرة الصورة على الإثارة، والتأثير الوجداني في نفس المتلقي.

2.3 قصة موسى عليه السلام:

تعدُّ قصَّة سيدنا موسى –عليه السلام– من أكثر القصص ورودًا في القرآن الكريم؛ إذ نجدها في ما يقارب الثلاثين موضعًا (قطب، 2004م، ص156). وقد ثبتت هذه القصَّة في أذهان الشعراء اليمنيين في استلهامهم للقصص القرآنيَّة، إذ وجدوا فيها أحداثًا ومواقفَ ومشاهدَ وإشارات كثيرة، يستطيعون أن يوظفوا بعضًا منها بما يتناسب مع مقاصدهم ومواقفهم وتجاربهم الشِّعريَّة.

ومن الأحداث البارزة في قصَّة موسى –عليه السلام– رؤيته للنار، وهو في مسيره من (مدين) إلى (مصر)، وقد ورد حدث رؤية النار في أكثر من موضع في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾ [طه:9-12] ، وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨﴾ [النمل:7-8]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٢٩﴾ [القصص:29]. وهذه الآيات القرآنيَّة "تشتمل على ذكر رؤية موسى النَّار، وأمره أهلَه بالمكث، وإخبارِه إيَّاهم أنه آنس نارًا، واطماعهم أن يأتيهم بنار يَصطلون بها، أو بخبر يهتدون به إلى الطريق التي ضَلُّوا عنها، لكنَّه نقص في النَّمل ذكر رؤية النَّار، وأمره بالمكث؛ اكتفاءً بما تقدّم، وزاد في القصص قضاءَ موسى الأَجل المضروب، وسيرَه

بأَهله إلى مصر؛ لأَنَّ الشَّيء قد يُجْمَل ثمَّ يفصَّل، وقد يفصّل ثم يجمل. وفي طه فصّل، وأَجمل في النَّمل، ثم فصَّل في القصص، وبالغ فيه" (الكرماني، د.ت، ص173–174).

وقد وجد موسى عند تلك النار الفرج والانكشاف، والنجاة والخلاص، والهدى والنور، فلم تكن نارًا حقيقيَّة، إنما هي نور الله جلَّ وعلا، الذي تلقى الأمر منه بالرسالة، فكان ما ناله أعظمَ مما كان يرجوه ويتوقعه، فإن جاز أن نعطي وصفًا وطابعًا لهذه القصَّة فهي البحث عن المنجّي والمخلِّص، وهي الفرج والانكشاف والدفء، بعد الشدة والظلام والبرد. وقد استلهم الشعراء بعض هذه المعاني والدّلالات في أشعارهم، ومن ذلك قول محمد بن حمير يمدح الشيخين الصوفيين البجلي والحكمي: (ابن حمير، 1985م، ص50). [الرمل]

وَعَـلَـى (الـطُّـورِ الـعُـوَاجِـيِّ)[1] أَرَى نَـارَ (مُوْسَـى) فِي الـدُّجَى المُنْعَكِرِ

يتناصُّ النَّصُّ الشِّعريُّ مع النَّصِّ القرآنيّ في الآيات التي تُعبِّر عن قصَّة موسى –عليه السلام– مع النَّار، غير أنَّ الدَّلالة تختلف بين النَّصَّين؛ فالدَّلالة في النَّصِّ القرآنيّ تتحدَّث عن عودة موسى من مدين إلى مصر ليلًا، فضلَّ الطريق في ليلةٍ مظلمةٍ، وفي حين هو في حيرة، إذ أبصر نارًا من (طور سيناء)، فقصدها علَّهُ يجد بجانبها مرشدًا، أو يأتي منها بشعلة لأهله، فلما وصل إلى النَّار كلَّمَهُ ربُّهُ، وكلَّفَهُ بالرسالة. أما الشاعر فيتحدث عن رحلته إلى (عواجة)، حيث مقام الشيخين، في إحدى لياليه المظلمة.

وقد اتّخذ الشاعر من (الطور) رمزًا للمكان المقدس، فنسب قرية (عُواجة) من بلاد تهامة إلى (الطّور)، للدَّلالة على ما تتمتّع به هذه القرية من قداسة دينيَّة، وقيمة روحيَّة؛ كما اتخذ من (نار موسى) رمزًا للتعبير عن معالم طريق الهداية والنجاة، فهي طريق مضيئة له في أحلك الظروف وشدّتها.

فإذا كان المكان (الطّور) في النَّصِّ القرآنيّ مقدَّسًا مباركًا؛ لأنه الموطن الذي كلَّمَ الله تعالى فيه كليمه موسى –عليه السلام– وكلَّفَهُ بالرسالة، فإنَّ المكان (عُواجة) في النَّصِّ الشِّعريّ مقدَّسٌ مباركٌ؛ لأنه موطن الشيخين، وهما من أقطاب التَّصوُّف في زمانهما، فموطن شيخيه في نظره مقدَّس مبارك لقداسة شيخيه، وليس لأي سبب آخر. وإذا كانت النَّار سببًا في إرشاد موسى وفي تكليف الله له بالرسالة، فهي كذلك عند الشاعر معلم يرشد الضال إلى الطريق ويقوده إلى الله. وبذلك يكون الشاعر من خلاله تفاعله وتناصّ نصّه مع هذه القصَّة، قد عبَّر عن شعوره الوجداني العميق تجاه شيخيه وموطنهما، ورمى إلى تكثيف الدَّلالة، وعمق المعنى، والتأثير في المتلقي.

ولا شك أنَّ الشاعر محمد بن حمير قد أكثر في شعره من مديح مشايخ الصوفية، حتى ضارع كبار شعراء المتصوفة في عباراته ومعانيه، وكأنه متصوّف عريق في تصوّفه. ويبدو أنَّ المتصوّفة يطربون لمدائحه، ويكافئونه عليها بالعطايا والجوائز، فهو يصيب هوى في قلوبهم، وذلك بإظهار القيمة الدينيَّة والروحيَّة لهم عند المتلقي.

[1] العواجي: نسبة إلى (عُواجَة)، وهي: قرية في تهامة، من بلاد الرامية على مقربة من المراوعة، فيها قبرا الشيخين محمد بن حسين البجلي ومحمد بن أبي بكر الحكمي. ينظر: (الحجري، 1996م، 615).

ووجد إسماعيل بن المقري من خلال قصَّة موسى –عليه السلام– مع النَّار، مثالًا يُعَبِّرُ به عن طلبه للعلم على يد شيخه الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي، حين أراد أن يقرأ عليه، وذلك في أيام شبابه، إذ يقول من قصيدة مدح بها الفقيه: (ابن المقري، 1305هـ، ص347). [الطويل]

إِذَا آنَسَـــتْ عَيْنَـايَ نَـارًا قَصَـــدْتُهَـا لَـعَـلِّـيَ أَنْ أَلْـقَـى عَـلَـى الـنَّـارِ مَـوْقِـدَا

وَمَنْ جَـدَّ فِي تَحْصِـــيْـلِ هَـادٍ يَـدُلُّــهُ إِلَى الرُّشْـــدِ لَمْ يَعْـدَمْ دَلِيْلًا وَمُرْشِـــدَا

يتناصُّ النَّصُّ الشِّعريُّ مع النَّصِّ القرآنيِّ في قوله تعالى: ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠﴾ [طه:10]، ليحدث مقاربة دلالية بينه وبين نبي الله موسى –عليه السلام–، مُتَّخِذًا من النَّار رمزًا للهداية والعلم، فإذا كانت النَّار قد قادت موسى –عليه السلام– نحو النبوّة والرسالة، فإنَّ نارَ الشاعر دليلٌ يرشده إلى طريق الهدى، ويقوده إلى شيخه لتلقي العلم والفقه.

وقد فرضت تراكيب الخطاب القرآنيّ وألفاظه ملامحها ووجودها على النَّصِّ الشِّعريّ لفظًا ومضمونًا، فأصبح مهيمنًا بدلالاته ولفظه، فبالنظر إلى البنيةِ الشِّعريَّة والنَّصِّ القرآنيّ يتضح ما يأتي:

النّصّ القرآنيّ	النّصّ الشعريّ
آنستُ نارًا	آنستْ عيناي نارًا قصدتها
لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى	لعلّي أن ألقى على النار موقدا هَادٍ يدلُّه على الرشد

ويلاحظ أنَّ الشاعر لم يلتزم نصِّيًّا بالنَّصِّ القرآنيّ من الناحية النحويَّة؛ إذ حوَّر صيغة الفعل من المتكلم الأنا (آنستُ) إلى الغائب (آنستْ)، والفاعل في النَّصِّ القرآنيّ حقيقي؛ وهو الضمير (التاء) العائد على موسى، أما في النَّصِّ الشِّعريّ فهو مجازي، وهو عينا الشاعر، وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ إذ ذكر العينين والمراد هو. وكما أسهم الفعل (آنس) في التعبير عن شعور موسى –عليه السلام– بالأنس بعد الوحشة في ظلمة الليل، أسهم أيضًا في الكشف عن نفسية الشاعر، حينما أقبل على ممدوحه، فهو يستشعر الأنس من جهته. وجاءت الزيادة (قصدتها) في النَّصِّ الشِّعريّ لتأكيد المعنى، ولاستقامة الإيقاع الوزني.

وقد اتفق النَّصَّانِ –القرآنيّ والشِّعريّ– في استعمال صيغة الترجي (لعلّي)، لكن النَّصّ القرآنيّ بنى الترجي على الترديد، فآثر الإتيان بـ(أو) التي تفيد التخيير، وذلك لأنَّ مسار موسى –عليه السلام– غير معروف، إذ لم يكن على بيّنة من أمر هذه النَّار، هل سيجد عندها مقصوده أم لا؟ وهل يكون قبسًا أم هاديًا يدلّه على الطريق؟ فكان ما ناله أعظم ممَّا كان يرجو ويتوقع، إذ لقي ربه جلَّ جلاله، وتلقى الأمر بالرسالة والنبوّة. أما الشاعر فمساره معروف منذ البداية، لذلك بنى الترجي على مقصود واحد، وهو لقاء موقد النَّار، وهو شيخه وممدوحه.

والنَّارُ في قصَّة موسى –عليه السلام– لها دلالاتها وإشاراتها الخاصّة عند المتصوِّفة؛ فموسى –عليه السلام– سار إلى نور الحبيب، ومناجاة القريب، والنَّار "نور الحبيب في مرائي تجلياته، وهذا مقام الفناء، لعلي آتيكم منها بقبس، تقتبسون

منه أنوارًا لقلوبكم وأسراركم، أو أجد على النار هدى يهديني إلى مقام البقاء والتمكين، فلما أتاها، وتمكن من شهودها، نودي يا موسى: إني أنا ربك، فلا نار ولا أثر، وإنما وجه الحبيب قد تجلى وظهر، في مرأى الأثر" (ابن عجيبة الحسني، 1419هـ، 379/3). وقد وظَّف شعراء الصوفيَّة قصَّة نار موسى –عليه السلام– من خلال هذه الدَّلالات والإشارات، يقول الشاعر الصوفي أحمد بن علوان (ت665هـ) واصفًا إحدى مشاهداته: (ابن علوان، 2006م، ص289). [الكامل]

آنَسْـــتُ نَـارًا مِـنْ طُـوَى وَادِيـكُـمُ مِـنْـهَـا الـفُـؤَادُ بِـغَـيْـرِكُـم لَـمْ يَـأْنَـسِ

يستدعي الشاعر قصَّة موسى مع النَّار، حينما آنس نارًا بالوادي المقدَّس طوى، لعلّه يستعلم من عندها عن الطريق، لكن الشاعر الصوفي غيَّر دلالة القصَّة القرآنيَّة؛ لتتناسب مع التجربة الصوفيَّة الخاصَّة به وبأمثاله من المتصوِّفة، فاستوحى مشهد نار الأنس ليدلِّل على المكانة التي حظي بها المحب الإلهي مثلما حظي بها موسى – عليه السلام–، وهذه النَّار "هي نور فِي الحَقِيقَة، وَلَا يصلح رُؤْيَتُهَا لِكُلِّ أَحَد" (ابن كثير، 1968م، 25/2)، وهو المعنى الخفي الذي تمثله ابن علوان بأنَّ صلته مع الله صلة خاصَّة حظي بها وحده مثلما حظي بها نبي الله موسى.

وقد يوظِّفُ الشاعر اليمنيّ قصَّة موسى –عليه السلام– مع النَّار في سياق العذل، ويكون العذل على السعي في طلب المال والرزق، أو طلب المجد والشهرة، وذلك السعي يحمل الشاعر على المخاطرة بالنفس، ومفارقة الأهل والوطن، فتحاول العاذلة المقربة من الشاعر، التي قد تكون أُمًّا أو زوجةً أو حبيبةً، أن تثنيه عن ذلك، خشية عليه من الهلاك والتعرض للمخاطر، فتعذله على تعريض نفسه للمخاطر، وترغبه في البقاء، وقد تكون العاذلة رمزًا لذاتية الشاعر، وتجسيدًا لما يلاقيه من هموم ومعاناة في سعيه ورحلته، فكأنه يتحدى نفسه بعزمه وإرادته لبلوغ مقصده، وتذليل الصعاب التي تواجهه. يقول القاسم بن هتيمل يصف عاذلته في مستهلِّ قصيدته: (ابن هتيمل، 1997م، 1038/2–1040). [البسيط]

تَشَـــبَّـثَـتْ بِـتَـلابِـيْـبِـيْ وَأَرْدَانِـيْ وَعَوَّقَتْنِيَ عَنْ نَـهْـجِـيْ وَعَنْ شَـــانِـيْ
وَحَـاوَلَـتْ نِيَتِيْ عَنْ غَفْلَـةٍ عَرَضَـــتْ عَـلَـى تَـبَـدُّلِ أَوْطَـانٍ بِـأَوْطَـانِ
بَـاتَـتْ تُـغَـالِـطُـنِـيْ وَالـعَـزْمُ يَـأْمُـرُنِـيْ بِـرِحْـلَـتِـيْ، وَاغْـتِـرَابِـيْ، وَهْـيَ تَـنْـهَـانِـيْ
فَحِيْنَ عَـاصَـيْتُهَـا فِي أَمْرِهَـا وَكَفَـتْ عَـلَـى تَـرَائِـبِـهَـا عَـيْـنَـانِ عَـيْـنَـانِ

ثم يخاطب عاذلته التي أنكرت عليه سعيه، قائلًا:

لَا تَكْرَهِيْ لِيَ سَـــعْيًـا أَسْـــتَفِيْـدُ بِـهِ زِيَـادَةً وَكَـمَـالًا بَـعْـدَ نُـقْصَـــانِ
فَـإِنَّ إِتْـيَـانَ نَـارَ (الـطُّـوْرِ) أَظْـهَـرَ بُـرْ هَـانَ النُّبُوَّةِ فِي (مُوْسَـــى بنِ عِمْرَانِ)

من الواضح أنَّ عذل العاذلة بدأ جليًّا منذ بداية القصيدة، حيث تمارس العاذلة العديد من المحاولات باختلاف أشكالها لثني الشاعر عن سعيه واغترابه، ابتداءً من التشبث بالتلابيب والأردان، وإضعافه وفتّ عزيمته، وصولًا إلى ذرف الدموع، لعلَّه يرثى لحالها فيتراجع عن قراره.

فمعروف عن الشاعر ابن هتيمل أنه يجتاز المسافات الطويلة، ويكثر التطواف والتجوال بين البلدان، لأجل الشهرة، والتكسب من الممدوحين، ومما يدلُّ على ذلك كثرة الممدوحين في ديوانه من أماكن وقبائل وتيارات مختلفة.

تقف العاذلة التي تعذل الشاعر حجر عثرة أمام سعيه واغترابه لتحقيق مطالبه وأحلامه، إلا أنَّه يواجه ذلك العذل بنهيها عن إكراهه، ويتضح ذلك من استعماله لصيغة النهي (لا)، التي تكشف عن النزعة الخطابية التي تحمل رفض المعذول واستنكاره لمطلب عاذلته، كما أنَّ اختيار الفعل (تكرهي) يُعَبِّر عن قوة المواجهة وشدة الحدث. وقد حاول الشاعر بث الطمأنينة في نفسها بتأكيد أنَّ تجارته رابحة من هذا السعي؛ إذ يوفِّر له زيادة في المال، وكمالًا في المجد والشهرة، بعد نقصانه منهما. واستطاع أن يدحض موقفها، ويدعم موقفه بالحجج والبراهين الدامغة، معتمدًا على أسلوب الاحتجاج بالقصَّة القرآنيَّة، المتمثلة في قصة نبي الله موسى –عليه السلام– مع النَّار.

وقد برع الشاعر في توظيف القصَّة القرآنيَّة لتجلية فكرته، ولتؤدي المعنى الذي أراده؛ فإنَّ سعيه واغترابه، وما يلاقيه في ذلك من محن ومخاطر، يعقبها خير كثير، واستفادة عظيمة، والتضحية التي يبذلها في سبيل سعيه لن تذهب هباء، تمامًا مثل العنت والبلاء الذي أصاب موسى –عليه السلام– وأدى إلى الالتجاء إلى النَّار التي أبصرها، وكان وراءها الهدى والخير الكثير.

فنار موسى كانت رمزًا للأمل الذي يعقبه الخير العميم بعد طول سعي واغتراب، وطول عنت وتعب، فالنَّار التي قصدها موسى –عليه السلام– والتجأ إليها مستأنسًا بها، قد أعقبها فضل كبير ونعمة عظيمة، وهي تكريم موسى –عليه السلام– بالنبوة، وتكليفه بالرسالة. وقد وفق الشاعر باللجوء للتَّناصِ في إثبات صحة موقفه، وصواب رأيه، والتأثير في نفس العاذلة، ثم المتلقي، فبمجرد استحضاره للآيات القرآنيَّة الكريمة التي تتحدث عن القصَّة تتجسد في ذهنه معاني الخير والنعمة والاستفادة والفضل بعد السعي والاغتراب والبلاء والمحن.

وقد يتخذ الشاعر اليمني من قصة موسى –عليه السلام– ما يكون شاهدًا على موقفه الحاضر، وتجربته المعاصرة، ويخرجها من الخصوص إلى العموم، فهو لا يصوِّر تجربة نبي الله موسى –عليه السلام– كما هي في النَّصِ القرآنيّ، وإنما يصوِّر تجربته هو حينما تحيط به الظروف نفسها التي أحاطت بموسى –عليه السلام–، وبذلك تصبح القصَّة قصَّة إنسانيَّة عامَّة، يستطيع كل فرد أن يتصوَّر فيها نفسه أو نفس غيره، إذا اتفقت الملابسات، وذلك دون التقيد بجزئيات النَّصِ القرآنيّ، والاكتفاء بالخطوط العامَّة، أو القيم الإنسانيَّة الثابتة. (مندور، د.ت، ص13).

يقول محمد بن حمير: (ابن حمير، 1985م، ص57). [الطويل]

رَمَتْنِي سِـــهَامُ الدَّهْرِ نَفْسِـــي لَكَ الفِدَى ... وقـدْ كُنـتَ تَحمِيني سِـــهَـامَ ممَـاتِي
وأَصـــبَحتُ في حَـالِ (ابنِ عِمْرانَ) إِذْ أَتَى ... إلـى (مَـدْيَـنٍ) و(الـبئـرِ) و(الصَّـــخَـراتِ)
ولـــكـــنَّـــهُ أَرْوَى وأَحْـــرَزَ ذَوْدَهُ ... وصَـــادَفَ مَنْ يَـأْوِيـهِ مـذ ســـنواتِ
وَمِـنْ بـعـدِ هـذا كَـلَّـمَ اللهَ وارْتـقـى ... إِلَـــى أَرْفَـــعِ الـــحَـــالَاتِ والـــدَّرَجَـــاتِ
ومَـا ليَ ذاكَ الحـالُ مِنـه ولا العَصَـــا ... عَصَـــايَ ولا تِلْـكَ الصِّـــفَـاتُ صِـــفَـاتِي

لقد أظهر الشاعر شدة ألمه من فعل الدهر، ومن كثرة المصائب والشدائد التي كانت تحل به، والهموم التي لا تكاد تتوقف عنه، وفي ذلك إبراز لحجم التأثير النفسي الذي شعر به الشاعر تجاه فعل الدهر، إلى درجة أنه شخَّصه بصورة الإنسان الرامي، الذي يصوِّب سهامه تجاهه. ويبدو أنَّ إلصاق صفة الرمي إلى الدهر، وجمع كلمة (سهام)؛ إنَّ الدهرَ يرمي الشاعر بشتى المصائب والشدائد بصورة مستمرة. ويلحظ أنَّ الشاعر يلجأ إلى طريقة ذكية في المديح؛ فهو يصوِّر الدهر يجور عليه، إلا عندما يكون في حماية الممدوح، ولا شك أنَّ الممدوح سيقرر قيمة ذلك المديح، مما يؤدي به إلى إكرام مادحه.

إنَّ الحالة النفسيَّة المضطربة التي كان يشعر بها محمد بن حمير، جعلته لا يكتفي بتشخيص الدهر الذي يرميه بأنواع المصائب والهموم، بل جعلته يربط بين حالته النفسية وبين حالة سيدنا موسى –عليه السلام– وما لاقاه من شدائد ومحن وهو في مصر، قبل أن يتوجه إلى مدين، وقد صوَّر القرآن الكريم حالة موسى –عليه السلام– وما امتحنه الله من المحن والشدائد، كقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص:20-31] .

فهذه شدائد ومحن، أخرجت سيدنا موسى –عليه السلام– من مصر خائفًا مترقّبًا، ولحقته بالاغتراب، والحاجة إلى الاضطراب في المعيشة والاكتساب، وهذه شدائد كشفها الله تعالى عنه؛ إذ يسَّرَ اللهُ له مَن زوَّجَه ابنته، بعد أن استأجره ثماني حجج، ثم وقع في شدة أخرى بعد خروجه من مدين؛ إذ ضلَّ الطريق، فرأى النَّار، فمضى يقتبس منها، فكلَّمه الله تعالى، وجعله نبيًا، وأرسله إلى فرعون، فأي شدائد أتت رجلًا أشدّ من أصابته بالخوف والاغتراب والفقر، حتى أجَّر نفسه ثماني حجج؟! ثم أي فرج أحسن من فرج أتاه بالنبوة والرسالة؟! فهي محن عظيمة انجلت بمنح جليلة (التنوخي، 1978م، 1/76-78).

يكشف محمد بن حمير عن قدرته في استحضار قصَّة موسى –عليه السلام– من خلال إشارات عابرة إلى القصَّة وبعض مفرداتها ومعانيها في النَّصِ القرآنيّ، وذلك خدمةً لتجربته الخاصَّة، فحالته تشبه حالة موسى –عليه السلام– في الشدّة، لكن تختلف عن حالة موسى في الفرج، فالشاعر لا يمكنه أن يخرج من هذه الشدائد والمحن؛ فهو إنسان

قدراته محدودة جدًا، وهذا ما دفع به إلى أن يستدعي أمورًا لا يمكنها أن تحصل للإنسان العادي، وإنما للأنبياء، كنبي الله موسى الذي منحه الله (العصا) بما تحمله من مزايا تعدُّ حجة وبرهانًا، وتحمل طاقة خارقة.

وربما أراد الشاعر من ذلك غاية نفعية؛ وذلك أن تؤثر حالته تلك في الممدوح، فيكرمه بالعطايا والهبات، وبذلك يمكن القول "إنَّ انفتاح الخطاب على ظواهر الاستدعاء جعلته يستضيف من الخطاب القرآنيّ بعض أقواله المقدَّسة بوصفها أداة لتحقيق نوع التحقيق الخفي والمضمر" (عبد المطلب، 1996م، ص94).

ويستدعي الشاعر اليمنيّ قصَّة موسى -عليه السلام- مع أخيه هارون -عليه السلام- وما بينهما من رابطة أخوية، وعلاقة وُدِّيَّة، وذلك في شعر الإخوانيات، وما يربط بين الشاعر وبين أصدقائه وأحبائه من صداقة وود، ومن ذلك قول محمد بن حمير، مصوِّرًا العلاقة الأخوية التي تربطه بالشاعر القاسم بن هتيمل: (ابن حمير، 1985م، ص149). [الطويل]

وَمَا بَيْنَ (هَارُوْنٍ) وَ(مُوْسَى) ابْنِ أُمِّهِ مِنَ الوُدِّ مَا بَيْنِي وَمَا بَيْنَ (قَاسِمِ)

الإشارة العابرة إلى موسى وأخيه هارون في أي نص، معناه حضور قصتهما في ذاكرة المتلقي، فالتَّناصُّ في هذه الحالة يفرض على المتلقي أن يستدعي الآيات التي تعُبِّر عن علاقتهما الأخوية، الأمر الذي يؤدي إلى تحقيق أعلى درجة من فاعلية عملية التلقي، ومن ثم فاعلية النَّصّ وعمق تأثيره، قال تعالى على لسان موسى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾[الأعراف:151] ، وقال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾ [طه:29-32] .

استدعى الشاعر القصَّة القرآنيَّة في نصِّه الشِّعريّ للدَّلالة على حسن العلاقة الأخويَّة القائمة على الودِّ، التي تجمع بينه وبين معاصره الشاعر القاسم بن هتيمل، كما كانت علاقة هارون بأخيه؛ إذ كان عونًا لموسى في تبليغ الرسالة ووزيرًا له. فالتَّناصُّ من خلال هذا الاستدعاء تناصُّ تآزر وتآلف؛ إذ إنَّ المعنى والدَّلالة في كلا الموطنين متقاربان.

ويأتي التَّناصُّ في هذا السياق ليعزِّز حاجة الشاعر الماسّة إلى أخيه الشاعر؛ لتقديم رسالتهما الشّعريّة لأمتهما، كما كان موسى -عليه السلام- بحاجة إلى أخيه هارون -عليه السلام-؛ لتبليغ رسالتهما السّماويّة، لإقامة الحجة على أمتهما. ولا غرو في ذلك "فقد أحسَّ الشعراء من قديم بأنَّ ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجارب الأنبياء، فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته، والفارق بينهما أنَّ رسالة النبي رسالة سماويَّة" (زايد، 1997م، ص77)، والشاعر رسالته رسالة ذاتية.

ويستدعي الشاعر اليمنيّ قصَّة موسى -عليه السلام- مع فرعون للمعنى الذي يريده في المديح، ومن ذلك قول القاسم بن هتيمل يحرِّض ممدوحه القاسم بن علي الذروي على منع عمَّال الملك المظفر الرسوليّ، وإجلائهم عن المخلاف السليماني بعد أن استولى على (بيش) و(حرض): (ابن هتيمل، 1997م، 260/1). [الكامل]

لَأَظُنُّ أَنَّكَ مِثْلُ (مُوْسَى) أَسْكَنَتْ حَرَكَاتُهُ (فِرْعَوْنَ) ذَا الأَوْتَادِ

يستحضر الشاعر النَّصَّ القرآنيَّ في قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾ [الفجر:10-13] . فقد أشار ابن هتيمل في نصّه الشِّعريّ إلى قصَّة موسى –عليه السلام– مع فرعون، قصة الخير مقابل الشر، والمصير الذي حلَّ بفرعون بعد غرقه؛ إذ لم يستطع فرعون مقاومة مصيره، رغم سطوته وجبروته.

وقد اتّخذ ابن هتيمل من موسى –عليه السلام– رمزًا للخير والحرية والخلاص من الظلم والتجبُّر، مشبهًا ممدوحه القاسم الذروي بنبي الله موسى –عليه السلام– ليخلّص قومه من ظلم المظفر وعماله، كما اتُّخِذَ من فرعون رمزًا للظلم والطغيان والاستبداد والتجبُّر، مشبهًا خصوم الممدوح من الملك المظفر الرسوليّ وعماله بفرعون، وذلك إظهارًا لطغيانهم وتجبرهم وفسادهم في المخلاف السليمانيّ.

ونلمح هنا براعة الشاعر في اعتماد توظيف النَّصِّ القرآنيّ على النحو الآتي:

النَّصُّ القرآنيُّ	النَّصُّ الشِّعريُّ	وجه العلاقة
موسى عليه السلام	القاسم الذروي	الثائر المُخلِّص قومه من الظلم والاستبداد
فرعون	الملك المظفّر	الحاكم الظالم المستبد

وبهذا التوظيف استطاع الشاعر إسقاط الماضي على الحاضر، من خلال استدعائه النَّصّ القرآنيّ لرمزيَّة موسى وفرعون، ووظَّفها في بنيةِ النَّصِّ الشِّعريّ، بما يخدم غرضه الجمالي، ويعمّق فكرته ويبرزها، ويمنحها بُعدًا دينيًّا، وذلك لتتناسب مع عاطفة الممدوح الدينيَّة، وتكون أكثر تأثيرًا في نفسه، وبذلك يحقّق الشاعر المبتغى والمقصد من هذا الاستدعاء.

3.3 قصة نوح عليه السلام:

من قصص الأنبياء القرآنيَّة التي وظفها الشعراء اليمنيون في أشعارهم قصَّة نوح –عليه السلام–، وقد وردت القصَّة في عشر سور مكية في القرآن الكريم، في مشاهد ولقطات عدَّة، تتفاوت بين الطول والقصر (الخالدي، 1998م، 151/1-156). وقد شكَّلتْ قصَّة نوح –عليه السلام– رمزًا معينًا للشاعر اليمنيّ، اعتمد عليه في تقوية الغاية التي يسمو لتحقيقها من خلال تجربته الشِّعريَّة، بدءًا من السفينة التي كانت سبيلًا للنجاة، مرورًا بحادثة الطوفان الذي كان سبيلًا للهلاك، والولد الذي أبى إلا أن يبقى على ضلاله.

يصف الشاعر عبد الله بن جعفر (ت713هـ) في قصيدته التي مدح بها الملك المؤيد الرسوليّ (ت721هـ) مشهدًا من مشاهد المعركة، مُتَّكِئًا على الصورة التشبيهيَّة، إذ يقول: (الخزرجي، 2008-2009م، 1233/3. والخزرجي، 1983م، 284/1). [البسيط]

كَـأَنَّ حِصْـــنَ (ظَفَـارٍ) فَـوْقَ لُـجَّتِـهَـا مِـنَ الـهَـلَاكِ (ابـنُ نُـوْحٍ) وَهْـيَ طُـوْفَـانُ

يتناصُّ النَّصُّ الشِّعريُّ مع حادثة الطوفان، وقصَّة ابن نوح، الذي قرَّرَ الاعتصامَ بالجبل من أمر الله، لكنه لم يفلح في ذلك، وقد صوَّر القرآن الكريم هذا المشهد في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب

مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ [هود:42-43].

يُصوِّرُ النَّصُّ القرآنيُّ كيف يبعث نوح الأب الملهوف النداء للابن الشارد المنعزل في مكان مرتفع، لكن الابن العاق المغرور يأبى تلبية النداء، ولا يقدِّر مدى الهول الشامل، ظانًّا أنَّ الجبل المرتفع يعصمه من الغرق، وفي اللحظة الحاسمة تنقطع المناداة والمجاوبة بينهما، وتتغيَّر صفحة المشهد، ويحسم الموج الغامر الموقف، ويبتلع كل شيء، فكان الابن العاق من المغرقين بالطوفان، بسبب كفره وعصيانه وتمرده.

أما الشاعر فيصف في النَّصِّ الشِّعريِّ المعركة التي دارت بين الملك المؤيد الرسوليّ والأئمّة الزيديَّة الخارجين عن حكم الدَّولة الرَّسوليَّة، مشيرًا إلى حصن (ظفار) قرب صنعاء، الذي ضربتْه قوات المؤيد بالمنجنيق، مشبهًا المعركة في قوتها وكثرة جيش المؤيد في عدده وعدته بالطوفان، وحصن (ظفار) وهو تحت نيران المنجنيق بابن نوح، الذي أبى طاعة والده، فأغرقه الطوفان.

يستحضر الشاعر هذا المشهد من القرآن الكريم، ويوظفه في صورةٍ تشبيهيَّةٍ توظيفًا دقيقًا، على النحو الآتي:

النَّصُّ القرآنيُّ	النَّصُّ الشِّعريُّ	وجه العلاقة
الطوفان	المعركة	العظمة والصخب وشدة الإحاطة بكل الموجودات
ابن نوح	حصن ظفار	العصيان المؤدي إلى الهلاك

ركَّز الشاعرُ على قوة الطوفان وجبروته، وجعل المعركة التي خاضها الممدوح ضد المتمردين، موازيةً للطوفان في قوتها وشدتها، كما جعل حصن (ظفار) ومَن فيه من المتمردين الخارجين عن طاعة الدَّولة الرَّسوليَّة موازيًا لابن نوح، الذي خُتم على قلبه، وأبى إلا عصيان والده، فكان مصيره الهلاك والغرق.

إنَّ استحضار الشاعر لموقف ابن نوح، وعدم انصياعه لنصح والده، ثم هلاكه غريقًا، كافٍ لجعلنا نتصوَّر مصير الحصن، وسقوطه بيد الملك الرَّسوليّ، وإن لم يذكر الشاعر ذلك. فالطوفان رمزٌ للعظمة والصخب والإحاطة بكل الموجودات، وابن نوح رمزٌ للعصيان والتمرد المؤديين للهلاك.

إنَّ التَّناصَّ وحده كان قادرًا على إحضار ملامح الصورة، وتشكيل دلالاتها من خلال هذا الحدث القرآنيّ، الذي لا بدّ أن يثير انتباه المتلقِّي، حين يجعله في موضع مَن يشاهد فيلمًا سينمائيًا مرعبًا، ويرتعد قلبه من هذا الموقف الدرامي.

ويقول الشاعر المطهر بن محمد بن المطهر (ت791هـ) في مستهل قصيدته التي مدح بها الوزير علي بن عمر بن معيبد الأشعري (ت787هـ) وزير الملك الأشرف الثاني إسماعيل بن الأفضل الرسوليّ (ت803هـ): (الخزرجي، 2008-2009م، 1465/3). [البسيط]

فُلْكُ الخِلَافَةِ قَدْ أَرْسَـــتْ عَلَى (الجُوْدِي) حِيْنَ اسْـــتَمَرَّ وَزِيْرًا خِضْـــرِمُ[2] الجُوْدِ

يتناصُّ النَّصُّ الشِّعريُّ مع قوله تعالى: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ [هود: 38]، وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾[هود:44].

أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى نوحًا –عليه السلام– أن يصنع الفلك، ويصطحب معه من كلٍّ زوجين اثنين ومَنْ آمن، وقد تجاوزتْ بهم الأمواج والأهوال، وقادتْهم إلى بر الأمان حين هدأت العاصفة، وسكن الهول، ورستْ رُسُوَّ استقرار على جبل الجودي. (قطب، 2003م، 1879/4).

وقد وظَّفَ الشاعر الإشارة القرآنيَّة (الفلك) بكل ما تحمله من دلالات النجاة والأمان، وعند ذكر الفلك يذكر معه جبل (الجودي) الذي يمثل الاستقرار والأمن، فقد صوَّر الشاعر الدولة الرسوليَّة، التي وصلت إلى بر الأمان والاستقرار بفضل حنكة الوزير وسياسته، بسفينة نوح التي رست على الجودي، وذلك في صورةٍ استعاريَّةٍ تجسيميَّة، ممَّا يكشف عن مقدرة الشاعر وبراعته في توظيف القصَّة القرآنيَّة للتعبير عن تجربته الشِّعريَّة.

يريد الشاعر في نصِّه هذا أن يمدح الوزير ابن معيبد، فلم يجد وسيلة أفضل من إسباغِ ظلالٍ دينيَّةٍ عليه، وذلك بتوظيفه لقصَّة نوح –عليه السلام–، وكأنَّ الممدوح الذي كان سببًا في استقرار الدَّولة الرَّسوليَّة بما يمتلكه من مؤهلات وقدرات قياديَّة وإداريَّة، شبيه بنبي الله نوح –عليه السلام– الذي تولى عملية قيادة السفينة حتى استوت على جبل الجودي. فالشاعر يقيم علاقات جديدة بين الماضي والحاضر، ويخلق موازيًا رمزيًّا، استقاه من القصَّة القرآنيّة؛ ليسقطه على واقعه وحاضره الذي صوَّره النَّصُّ الشِّعريُّ.

إنَّ دخول النَّصِّ الشِّعريّ بعلاقة مع القصَّة القرآنيَّة، يمنحه طاقة وجدانيَّة ودلاليَّة هائلة، ويحفِّز ذاكرة المتلقي، فالشاعر حين يستدعي القصَّة القرآنيَّة ويحاورها ويتقاطع نصُّهُ معها، يدفع المتلقي لاستحضار القصَّة القرآنيَّة الغائبة داخل النَّصّ الشِّعريّ الحاضر؛ لينتج دلالة نصِّيَّة جديدة، والشاعر لا يعمد إلى القصَّة القرآنيَّة من أجل إعادة سردها، بل يعمد إلى خلق ذاكرة ثانية إلى جانب الذاكرة الأولى؛ ليفجر إمكانيات جديدة للتعبير، وإغناء النص وتخصيبه (سقال، 1993م، ص43)، عبر استعادة بعض أدواتها التعبيرية (إسماعيل، د.ت، ص300)، إنه يخلق باستدعائه "برزخًا يتعداه ليصل من ورائه إلى تمثل معانٍ أخرى" (عيد، 1979م، ص38)، تمثل رؤيته وتؤكد سلطته الإبداعيَّة التي تمنحه حقّ التصرُّف. (المجالي، 2009م، ص35).

4.3 قصة سليمان عليه السلام:

تُعَدُّ قصَّة النبي سليمان –عليه السلام– من القصص القرآنيَّة الغنيَّة، والخصبة بالدَّلالات والرموز والمعاني والصور الحيَّة، التي تمنح التجارب الشِّعريَّة عمقًا، وتزيد الخيال اتساعًا، وأفقًا أرحب؛ نظرًا لما تمتع به هذا النبي الكريم من المنح العظيمة، التي تفضَّل الله بها عليه من الملك والسلطان، والقدرات العجيبة، من تسخير الجن والطير والحيوان، وغيرها، ومن هُنا أفاد شعراء اليمن من قصَّة سليمان –عليه السلام– ووظَّفوها توظيفًا يتلاءم وتجاربهم الشِّعريَّة.

[2] الخضرم: الكثير من كل شيء، وهو الجواد الكثير العطيَّة. ينظر: (ابن منظور، 1414هـ، 184/12).

وتعدُّ قصَّة سليمان –عليه السلام– مع النمل من القصص القرآنيَّة التي استدعاها الشاعر القاسم بن هتيمل في شعره، فهو يستحضر هذه القصَّة، ويوظِّفُها في نصِّه الشِّعريّ؛ لإغناء الدَّلالة وإبرازها بطريقة جماليَّة، وذلك في سياق مدحه لممدوحه وهّاس بن سليمان بن منصور، قائلًا: (ابن هتيمل، 1997م، 723/2). [الطويل]

كَـأَنَّـكَ لَـمَّـا جِـئْـتَـهُـمْ وَكَـأَنَّـهُـم وَقَـدْ حَجَروا مِنْكُم (سُـلَيْمَـانُ) والنَّمْـلُ

يشير النَّصُّ الشِّعريُّ إلى قوله تعالى في سورة النمل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ [النمل:18] . وقد جاءت دلالة النَّصِّ القرآنيّ في سياق مشاهدة النملة لسليمان –عليه السلام– وجنوده من الجن والإنس والطير، وهم يسيرون في الوادي، فخشيت على قومها من النمل الهلاك، فطلبت منهم أن يدخلوا مساكنهم، وهي بيوتهم التي يقيمون فيها في باطن الأرض، وتحميهم من الأخطار، وعلَّلت النملة طلبها، بأنها فعلت ذلك لتحمي النملَ من الهلاك تحت أقدام جنود سليمان. (الخالدي، 1998م، 518/3-519).

أما الشاعر في نصِّهِ الشِّعريّ فقد صوَّر خصوم الممدوح وهّاس بن سليمان بن منصور عندما اختفوا من أمام جيشه بالنّمل الذي دخل مساكنه خوفًا من سليمان –عليه السلام– وجنوده.

يستدعي الشاعر مشهد قصَّة سليمان –عليه السلام– وجنوده مع النمل من القرآن الكريم، ويوظِّفُها في صورةٍ تشبيهيَّةٍ، على النحو الآتي:

النَّصُّ القرآنيُّ	النَّصُّ الشِّعريُّ	وجه العلاقة
النمل	الخصوم	الاختفاء من المكان خوفًا من الهلاك
سليمان وجنوده	الممدوح وجيشه	القوة والكثرة

وظَّفَ الشاعر القصَّة القرآنيَّة في صورةٍ حيَّةٍ بكُلِّ دِقَّة، وعقد مقارنة داخلية في الصورة ما بين الخصوم والنمل بوصفهما رمزًا للطرف الضعيف الذي ينسحب من المكان خوفًا من الهلاك، وبيَّن الممدوح وجيشه وسليمان –عليه السلام– وجنوده بوصفهما رمزًا للقوة والكثرة، وذلك في توظيفٍ واضحٍ؛ ليبين اختلاف القوة بين الفريقين.

ويستدعي شعراء اليمن قصَّة سليمان –عليه السلام– في أثناء تصويرهم قصور ملوك الدَّولة الرَّسوليَّة والنَّهضة العمرانيَّة التي اتَّسم بها عهدهم، ومن ذلك نونية عبد الباقي بن عبد المجيد (ت743هـ) في مدح الملك المؤيد الرسوليّ ووصف قصر الحائط، المعروف بحائط لبيق، إذ يقول: (الخزرجي، 1983م، 344/1). [البسيط]

كَـأَنَّ بُـنْـيَـانَ (دَاوُدَ) وَبَـهْـجَـتَـهُ صَـرْحُ القَوَارِيْرِ مِنْ آرَا (سُـلِيْمَـانِ)

يتناصّ النَّصُّ الشِّعريُّ مع قصَّة الصرح الممرَّد من القوارير الذي أمر سليمان –عليه السلام– الجن أن يبنوه لبلقيس، وقد وردت هذه القصَّة القرآنيَّة في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾ [النمل:44] . والصرح: القصر، وقيل: الصحن، يقال: هذه صرحة الدار وقاعتها، والصرح: كل بناء عال مرتفع من الأرض،

والممرد: المحكوك المملّس، والممرد أيضًا المطوّل. (القرطبي، (2003م)، 209/13). وقد ذكر المفسرون أنَّ سليمان –عليه السلام– أمر الشياطين، فبنوا لبلقيس قصرًا عظيمًا من الزجاج، وأجرى تحته الماء، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنَّه ماء، ولكنَّ الزجاج يحول بين الماشي وبينه. (ابن كثير، (1999م)، 194/6).

وقد أُعجب عبد الباقي بن عبد المجيد بقصر الملك المؤيد الرَّسوليّ، فأسبغ عليه شيئًا من العظمة والأُبَّهة بما يرضي الممدوح؛ إذ ربط بينه وبين الأثر القديم، وشبَّه المحدث بالماضي، ورأى أنَّ هذا البنيان وما فيه من إبداع حسن البناء وفن العمارة، يشبه في أوصافه صرح القوارير، الذي أمر سليمان –عليه السلام– شياطينه أن يبنوه لبلقيس.

فالتَّناصُّ مع القصَّة القرآنيَّة هنا ليس على سبيل الإخبار عن الحدث بذاته، بقدر ما هو توظيف لغرض المديح، فهو يرى في الممدوح الملك (داود) الملك سليمان –عليه السلام–، ويرى في قصره الأعجوبة صرح سليمان.

ويوظِّفُ الشاعر إسماعيل بن المقري قصَّة سليمان –عليه السلام– توظيفًا عجيبًا؛ مخاطبًا ممدوحه الملك الناصر الرسوليّ بعد شفائه من مرضه، وفشل الخارجين عليه إبان مرضه، قائلًا: (ابن المقري، 1305هـ، 241–242). [الكامل]

ما عبسُ ما الحبشاءُ؟ تلك قبائلٌ	**مثل البُغاثِ أقل من أن تذكرا**
لكنْ أراكَ اللهُ من سلطانهِ	**حتى تكونَ بأمرِ ربِكَ أَخبرا**
هذا (سليمانُ) النبيُّ لمَّا سها	**عن بعض حقٍّ للإله وقصَّرا**
ألقى على كرسيهِ ربُّ السما	**جسدًا وسلَّطه عليه أشهرا**
حتى أنابَ فردَّ ربُكَ ملكه	**لمَّا أنابَ لربه واستغفرا**
فارجعْ إليهِ فإنَّه لا يبتلي	**من خلقه إلَّا الأَحبَّ الأَخيرَا**

يتناصّ النَّصُّ الشِّعريُّ مع قصَّة النبي سليمان –عليه السلام– لمّا سها عن بعض حق الله تعالى، فألقى الله على كرسيه جسدًا حتى أناب، فردَّ عليه ملكه، وقد وردت هذه القصَّة القرآنيَّة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص:34–40]. والمراد بالفتنة: الامتحان والابتلاء، وسبب فتنة سليمان –عليه السلام– ما ثبت في الحديث الصحيح: "قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفنَّ الليلة بمائة امرأة، تلدُ كلُّ امرأةٍ غلامًا يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل، ونسي. فأطاف بهن، ولم تلد منهن إلا امرأة، نصفَ إنسان" (البخاري، 1987م، رقم: (4944)، 2007/5)، فابتلاه الله بإلقاء جسدٍ على كرسيه، وهو شق الإنسان، المولود المشوَّه الناقص، الذي نزل من بطن أمه ميتًا. ونظر سليمان –عليه السلام– إلى الجسد المشوَّه الملقى على كرسيه، وعرف أنه امتحان وابتلاء من الله، فأناب إلى الله واستغفر. (الخالدي، 1998م، 495/3–496).

أما الشاعر فيشير إلى القبائل الخارجة على السلطان، مُستَهِلًّا نصّه الشِّعريّ بالجمل الإنشائية بصيغة الاستفهام الاستنكاري بأسلوب التحقير لهذه القبائل، ثم ينتقل إلى الأسلوب الخبري، مذكرًا الملك بأنَّ ما حصل له من مرض وخروج القبائل عليه ما هو إلا ابتلاء وامتحان من الله، بسبب تقصيره في حق الله، ضاربًا المثل بذلك من القرآن الكريم من قصَّة سليمان –عليه السلام– لما سها عن حق الله، ففتنه بإلقاء جسدٍ على كرسيه حتى أناب. ثم يختم الشاعر نصَّه بالأسلوب الإنشائي بصيغة الأمر المتضمّن معنى الدعاء إلى الرجوع إلى الله تعالى، فالله لا يبتلي من خلقه إلا من يحب ويختار.

وقد اعتاد الملوك على المديح والإطراء من شعرائهم، ولم يعتادوا الانتقاد، غير أنَّ الشاعر هنا لا يجامل الممدوح، واستطاع من خلال التَّناصِ مع القصَّة القرآنيَّة أنْ يمتصَّ غضب الملك ويؤثِّر فيه، فهو يرفع منزلته –الممدوح– إلى منزلة نبي من أنبياء الله، وهو سليمان –عليه السلام– في ملكه وتقواه، ورجوعه إلى الحق، وبذلك يتداخل النَّصُّ الشِّعريُّ مع النَّصِّ القرآنيّ بما يتواءم مع موقف الشاعر ورؤيته.

إنَّ قراءة الشاعر للنَّصِّ القرآنيّ وتفاعله معه، هي قراءة أقل ما يقال عنها إنها أكثر تدبرًا وأصالةً، وتأثيرًا في المتلقي، وهي القراءة السليمة، التي تجعل النَّصَّ القرآنيَّ نصًّا حيًّا نابضًا على الدوام، لا مجرد كلمات وأصوات مقيدة الدَّلالة.

5.3 قصة عيسى عليه السلام:

نالت قصَّة سيدنا عيسى بن مريم –عليه السلام– حظها في الشعر اليمنيّ في العهد الرَّسوليّ، وكان من نعم الله تعالى على عيسى –عليه السلام– أنْ مَنَّ عليه بمعجزات كثيرة، منها: معجزة شفاء المرضى، وإبراء الأكمه والأبرص، وقد تناول الشاعر محمد بن حمير هذه المعجزة، ووظَّفها في ميدان المديح، إذ يقول في أحد ممدوحيه: (ابن حمير، 1985م، ص119). [الطويل]

وَمَا أَرْتَجِي خَلْقًا سِوَاكَ بِحَاجَتِي ... أَأَطْلُبُ مِنْ غَيْرِ الكِرَامِ تَكَرُّمَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْغِي طَبِيْبًا لِدَائِهِ ... وَقَدْ لَاحَ لِي وَجْهُ (المَسِيْحِ بنِ مَرْيَمَا)

ففي النَّصِّ الشِّعريّ إشارة لقصَّة عيسى –عليه السلام– وما أوتي من معجزات كشفاء المرضى في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران:49] .

يفعِّل الشاعر التَّناصَّ مع قصَّة عيسى –عليه السلام– ليُظْهِرَ صورة القدرة على معالجة المرض، من خلال مدح ممدوحه بصفة الكرم، فهو مريض بداء الحاجة، ولن يجد طبيبًا لحاجته إلا عند الكرام كممدوحه، ولم يجد شبيهًا لممدوحه هذا في قدرته على علاجه من سقم الحاجة إلا المسيح بن مريم، الذي يعالج المرضى ويبرئ الأكمه والأبرص، فهو بذلك يحوِّر المعاني في نصِّه، مجريًا انزياحًا دلاليًّا؛ ليُعبِّرَ عن دور الممدوح في معالجة الشاعر بالكرم من داء الحاجة، وفقًا لرؤية الشاعر الخاصَّة، فقد أشار إلى (المسيح بن مريم) ليعمم القيمة الفنِّيَّة في نصِّه التي تومئ إليها الألفاظ الدَّالة على الطب والداء.

6.3 مجموعة من القصص في سياق واحد:

لم يقتصرْ الشاعر اليمني في توظيفه لقصص الأنبياء القرآنيَّة على قصَّة نبي واحد كالسابق، وإنّما قد يوظِّفُ مجموعةً من قصص الأنبياء في سياق واحد، فيحسن الإفادة منها، والاستشهاد بها، وهو في توظيفه للقصص القرآنيَّة قد يشير إليها إشارة عابرة، لكنها ذات دلالة ومغزى. ومن ذلك على سبيل المثال ما نراه في قول الشاعر محمد بن حمير، متأسيًّا بقصص عدد من الأنبياء، متوسلًا إلى الله سبحانه وتعالى أن يشفيه من مرض ألمَّ به: (ابن حمير، 1985م، ص225–226). [الكامل]

أَوَ لَسْـــتَ قَـدْ أَنْجيْـتَ مِنْ طُوفَـانِـهِ (نُوحًـا) وَقَـدْ لَاقَى ابنُـهُ إِحَـدَى الكُبَرْ
وَحَفِظْـتَ (مُوْسَـــى) يَوْمَ أُلْقِي مُرْضَـــعًا فِـــي الـيَـمِّ طِـفْـلًا لَا مَـلاذَ ولَا وَزَرْ
وَكَفَيْـتَ (يُوْنُسَ) ظُلْمَـةَ الحُوْتِ الَّتِي فِي بَطْنِـهِ لِـذَوِي الشَّـــدَائِـدِ مُعْتَبَرْ
وَوَقَـيْـتَ (إِبْـرَاهِـيْـمَ)، وَ(الـثُّـمْـرُوْدُ) قَـدْ سَـــعَرَ الحَرِيْقَ فَكَـانَ بَرْدًا مَـا سَـــعَرْ

في كل بيت يذكر الشاعر قصَّة قرآنيَّة لنبيٍّ من الأنبياء، وكل قصَّة منفصلة عن غيرها تمام الانفصال، يجمع بينهما ما أصاب النبي من شدّة ومحنة، ثم المعجزة التي أيده الله بها. فهو يذكر آلاء الله ونعمه على أنبيائه، ووقوفه –ﷻ– إلى جانبهم في ساعات الشدة، وأوقات المحنة؛ متوسلًا إليه أن يرحم حاله، وينتزعه من شدته وكربه.

فيذكر في البيت الأول نوحًا –عليه السلام– ونجاته من الطوفان، مع أنَّ ابنه قد لاقى حتفه فيه، وذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: 42–43] .

ويشير في البيت الثاني لقصة موسى –عليه السلام– وإلقائه في اليَمِّ رضيعًا، وحفظه سبحانه وتعالى له، وقد أشارت الآية الكريمة إلى تلك القصة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ ...﴾ [طه: 38–40].

ويتعرض في البيت الثالث لقصة يونس –عليه السلام– ونجاته من بطن الحوت، وخروجه منه بعد أن ألقى نفسه في اليم، فالتقطه الحوت، وقد أشارت الآيات الكريمة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: 87–88].

وأخيرًا يذكر في البيت الرابع قصة إبراهيم –عليه السلام– مع النمرود، بعد أن أسعر النار، فكانت بردًا وسلامًا على إبراهيم –عليه السلام– بإرادة الله –ﷻ– كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: 68–69].

وقد استطاع الشاعر بمقدرته الشِّعريَّة وتجربته الخاصَّة أن يجمع بين هذه القصص القرآنيَّة المتتابعة في إطار التكثيف الموفَّق، وابن حمير يتمتع بنفسيَّةٍ حسَّاسةٍ، وقد أحسن في تفاعله وتناصّ نصِّه مع القصص القرآنيَّة، لما فيها من أثر عميق على النفس، معبِّرًا بذلك عن شعوره الوجداني العميق، ومسليًّا بذلك عن نفسه. فنصُّ ابن حمير السابق يظهر كفسيفساء من النصوص القرآنيَّة، التي تناصَّ نصُّهُ الشِّعريُّ معها.

وختامًا نلحظ من خلال النماذج السَّابقة أنَّ الشِّعرَ اليمنيَّ في العهد الرَّسوليّ بدا حافلًا بالتَّناصَّاتِ، والاستيحاءاتِ، والتوظيفاتِ للقصَّة القرآنيَّة؛ لخدمة المعنى الذي يريده الشاعر في نصِّه الشِّعريّ، مع تحوير الدَّلالة، أو الألفاظ، أو التراكيب، بما ينسجم وتجربته الشِّعريَّة، ومواقفه النفسيَّة.

المصادر والمراجع

❁ القرآن الكريم.

إسماعيل، د. عز الدين. (د.ت). *الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية*. ط3. دار الفكر العربي. بيروت.

بارت، رولان. وأنجينو، مارك. وسُمفيل، ليون. وجينيت، جيرار. وفايول، روجيه. (1998م). *دراسات في النص والتناصية*. ط1. (د. محمد خير البقاعي، مُترجم). مركز الإنماء الحضاري. حلب.

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256هـ). (1407هـ-1987م). *الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)*. ط3. (د. مصطفى ديب البغا، محقق). دار ابن كثير. اليمامة. بيروت.

البرعي، عبد الرحيم. (1434هـ-2013م). *ديوان البرعي*. ط3. (عبد العزيز سلطان المنصوب، محقق). مكتبة الإرشاد. صنعاء.

برنس، جيرالد. (2003م). *قاموس السرديات*. ط1. (السيد إمام، مُترجم). ميريت للنشر والمعلومات. القاهرة.

بقشي، د. عبدالقادر. (2007م). *التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية وتطبيقية*. أفريقيا الشرق. الدار البيضاء. المغرب.

البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت685هـ). (1418هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بـ(تفسير البيضاوي)*. ط1. (محمد عبد الرحمن المرعشلي، محقق). دار إحياء التراث العربي. بيروت.

التنوخي، أبو علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود (ت384هـ). (1398هـ-1978م). *الفرج بعد الشدة*. (عبود الشالجي، محقق). دار صادر. بيروت.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ). (د.ت). *ثمار القلوب في المضاف والمنسوب*. (محمد أبو الفضل إبراهيم، محقق). دار المعارف، القاهرة.

الحجري اليماني، محمد بن أحمد. (1416هـ-1996م). *مجموع بلدان اليمن وقبائلها*. ط2. (إسماعيل بن علي الأكوع، محقق). دار الحكمة اليمانية. صنعاء.

ابن حزم القرطبي الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ). (1987م). *طوق الحمامة في الألفة والأُلاف*. ط2. (د. إحسان عباس، محقق). المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

الحُسيني الزَّبيدي، محمد مُرتضى (ت1205هـ). (1979م). *تاج العروس من جواهر القاموس*. (عبد الكريم العزباوي، محقق). سلسلة التراث العربي (16)، وزارة الأعلام–الكويت، مطبعة حكومة الكويت.

ابن حمير، محمد. (1985م). *ديوان أبي عبد الله جمال الدين محمد بن حمير بن عمر الوصابي الهمداني*. ط1. (محمد بن علي الأكوع، محقق). مركز الدراسات والبحوث اليمني– صنعاء. دار العودة. بيروت.

ابن حنبل الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال (ت241هـ). (1421هـ–2001م). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. ط1. (شعيب الأرنؤوط وآخرون، محقق). مؤسسة الرسالة. بيروت.

الخالدي، د. صلاح. (1419هـ–1998م). *القصص القرآني. عرض وقائع وتحليل أحداث*. ط1. دار القلم. دمشق. الدار الشامية. بيروت.

الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت812هـ). (1403هـ–1983م). *العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية*. ط2. (الشيخ محمد بسيوني عسل، محقق). مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء. دار الآداب. بيروت.

الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت812هـ). (2008–2009م). *العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن وهو طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن*. ط1. (عبدالله بن قائد العبَّادي وآخرون، محقق). مكتبة الجيل الجديد. صنعاء.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ). (1987م). *جمهرة اللغة*. ط1. (د. رمزي منير بعلبكي، محقق). دار العلم للملايين. بيروت.

زاده، عبد الغني. ونهيرات، أحمد. (2009م). استدعاء الشخصيات القرآنية في ديوان بدوي الجمل. *مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها*. ع11.

زايد، د. علي عشري. (1417هـ–1997م). *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*. دار الفكر العربي، القاهرة.

الزمخشري، جار الله (ت538هـ). (1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. ط3. دار الكتاب العرب. بيروت.

سقال، د. ديزيرة. (1993م). *من الصورة إلى الفضاء الشعري*. دار الفكر اللبناني. بيروت.

شولز، روبرت. (1994م). *السيمياء والتأويل*. ط1. (سعيد الغانمي، مُترجم). المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

عبد المطلب، محمد. (1996م). *مناورات شعرية*. ط1. دار الشروق. القاهرة.

ابن عجيبة الحسني، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الأنجري الفاسي الصوفي (ت1224هـ). (1419هـ). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*. (أحمد عبد الله القرشي رسلان، محقق). الناشر: د. حسن عباس زكي، القاهرة.

ابن علوان، أحمد (ت665هـ). (1427هـ–2006م). *الفتوح الفائق الحاوي للمعاني الرقائق والإشارات الدقائق*. ط4. (عبد العزيز سلطان المنصوب، محقق). سلسلة الصفاء. مكتبة الإرشاد. صنعاء.

علوش، د. سعيد. (1985م). *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*. ط1. دار الكتاب اللبناني. بيروت. سُوشبريس. الدار البيضاء. المغرب.

عيد، رجاء. (1979م). *دراسة في لغة الشعر (رؤية نقدية)*. منشأة الأسكندرية.

الغذامي، د. عبدالله محمد. (1998م). *الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية*. ط4. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت170هـ). (1980م). *العين*. (د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، محقق). منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة المعاجم والفهارس (16)، طبع مطابع الرسالة، الكويت، نشر دار الرشيد.

القرطبي، شمس الدين (ت671هـ). (1423هـ-2003م). *الجامع لأحكام القرآن*. (هشام سمير البخاري، محقق). دار عالم الكتب. الرياض. المملكة العربية السعودية.

قطب، سيد (ت1385هـ). (1425هـ-2004م). *التصوير الفني في القرآن*. ط17. دار الشروق. القاهرة.

قطب، سيد. (1423هـ-2003م). *في ظلال القرآن*. ط32. دار الشروق. القاهرة-بيروت.

قنديل، فاطمة. (1999م). *التناص في شعر السبعينيات*. الهيئة العامة لقصور الثقافة. كتابات نقدية: 86. القاهرة.

ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ). (1388هـ-1968م). *قصص الأنبياء*. ط1. (مصطفى عبد الواحد، محقق). مطبعة دار التأليف. القاهرة.

ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774هـ). (1420هـ-1999م). *تفسير القرآن العظيم*. ط2. (سامي بن محمد السلامة، محقق). دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. المملكة العربية السعودية.

الكرماني، تاج القراء محمود بن حمزة (ت: نحو505هـ). (د.ت). *أسرار التكرار في القرآن المُسمَّى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان*. (عبد القادر أحمد عطا، محقق). دار الفضيلة، القاهرة.

كريستيفا، جوليا. (1997م). *علم النص*. ط2. (فريد الزاهي، مترجم). دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب.

الماضي، شكري عزيز. (1993م). *في نظرية الأدب*. ط1. دار المنتخب العربي. بيروت.

المجالي، حسن مطلب. (2009م). "أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث"، أطروحة دكتوراه. كلية الدراسات العليا. الجامعة الأردنية. عمّان. الأردن.

مسعد، د. محمد. (2018م). *التناص في شعر البردُّوني-متناص البحث عن الفردوس (قراءة سيموطيقية)*. ط1. دار أمجد للنشر والتوزيع. عمّان. الأردن.

ابن المقري، إسماعيل. (1305هـ). *مجموع القاضي الفاضل الإمام العلامة شرف الدين أبي الذبيح إسماعيل بن أبي بكر المقري (ديوان ابن المقري)*. مطبعة نخبة الأخبار. بمبي. الهند.

مندور، د. محمد. (د.ت). *الأدب ومذاهبه*. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

ابن منظور، جمال الدين (ت711هـ). (1414هـ). *لسان العرب*. ط3. دار صادر. بيروت.

ابن هتيمل، القاسم. (1997م). *ديوان ابن هتيمل (درر النحور)*. ط1. (د. عبدالولي الشميري، محقق). مؤسسة الإبداع للثقافة والأدب. صنعاء.

هياجنة، د. محمود سليم محمد. (د.ت). *الصورة النفسيّة في القرآن الكريم*. ط5. دار المعارف، القاهرة.

SHU Journal for Humanities and Applied Sciences
Volume 1, Issue 1, June 2023, pp.32-59
https://shu.edu.ye

مجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية
المجلد الأول، العدد الأول، يونيو 2023، ص32-59

Intertextuality with Qur'anic Story in Yemeni Poetry in the Era of Al-Rasooli State (626-858 AH)

Hussein Ali Saeed Sowleh
Lecturer, Dept. of Arabic Language, Faculty of Education – Ataq, University of Shabwa
Ph.D. researcher, Dept. of Arabic Language, Faculty of Education – Aden, University of Aden
sowleh2011@gmail.com

Abstract
Intertextuality is an artistic phenomenon which a lot of Arab and occidental critics dealt with through studies and research works that try to understand it. The majority of critics and scholars who studied the history and development of intertextuality conception agree that the French critic Julia Kristeva was the first one who used this term. Then, critics and researchers took care of it and gave it a large space in their critical studies, and they took it as a procedural device for measuring the range of literary texts poeticalness. This paper discusses intertextuality with the Qur'anic story in Yemeni poetry in Al-Rasooli state reign (626 – 858 AH) searching for Qur'anic story location in the Yemeni poets' texts, denoting the range of how they employ it and the range of new significance that arises from this employment. And how the poets exploited all this in clearing their poetic attempts and enriching their poetic texts.

Paper Information
Received:16.03.2023
Accepted:21.05.2023

Keywords
Intertextuality, Qur'anic story, Yemeni poetry, Al – Rasooli State

أثر التغيرات المناخية في ساحل مدينة المكلا محافظة حضرموت باستخدام تقنيات نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد

د. أمين عبد القادر حسين هشلة
أستاذ الخرائط ونظم المعلومات الجغرافية المساعد
قسم العلوم الاجتماعية، كلية التربية – المكلا، جامعة حضرموت
hashlehamen@gmail.com

الملخص

يعد تغير المناخ حالياً أحد أهم التحديات الطبيعية التي تواجه العالم. فقد أسهمت عوامل عدة في حدوث تغيرات مناخية نتج عنها ذوبان كميات هائلة من الجليد؛ وبالتالي ارتفاع متوسط منسوب سطح البحر، وهو ما يقلق الدول الساحلية في الوقت الحالي. ومن هذا المنطلق، اختار الباحث مدينة المكلا كدراسة حالة لأثر التغيرات المناخية على مورفولوجيا ساحلها، الذي يمتد حوالي (63) كم على بحر خليج عدن. وهدفت هذه الورقة إلى استخدام تقنيات نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد لوضع تصور مستقبلي لشكل ساحل مدينة المكلا في حالة زيادة منسوب سطح البحر من متر واحد وحتى خمسة أمتار، ومعرفة الأحياء المعرضة للغمر بمياه البحر والفيضانات. وتبين من خلال التحليل المكاني لبيانات الارتفاعات الرقمية (DEM) أن ساحل مدينة المكلا عرف تغيراً خلال الفترة 1973-مايو2019 بلغ (47) %، كما سيعرف خط الساحل تغيراً ملحوظاً في حالة زيادة ارتفاع البحر من متر واحدٍ وحتى خمسة أمتار، ويتفاوت هذا التغير حسب طبيعة البنية الجيولوجية والتضاريس للساحل، وستتعرض أماكن للغمر بمياه البحر، تركزت أكثرها في مناطق التقاء مياه البحر بمياه الأودية في كلٍ من أحياء الريان، وبويش، وخور المكلا، وفوَّه.

معلومات البحث
تاريخ الاستلام:
2023.03.19
تاريخ القبول:
2023.05.21

الكلمات المفتاحية
التغير المناخي، الساحل، نظم المعلومات الجغرافية، الاستشعار عن بعد

1. المقدمة

يعد الاهتمام بالمناطق الساحلية في السنوات الأخيرة هدفًا رئيسًا لصنَّاع القرار في المستوى العالمي؛ بسبب تركز الأنشطة الاقتصادية والسياحية المختلفة بالسواحل، فقد لوحظ أن غالب سكان العالم يستقر بالقرب من السواحل حاليًا. وتجدر الإشارة إلى أنه حسب المنظمة العالمية للتغيرات المناخية (IPCC)* فإن ثلثي سكان العالم تعيش بالقرب من السواحل على مسافة لا تتعدى (200) كم. وفي هذا السياق، فإن قدرة السكان على النمو والتطور تصطدم بمشاكل كبيرة، منها مشاكل التعرية، والفيضانات، وتغيرات الساحل، وخاصة في السنوات الأخيرة؛ لارتباطها بالتغيرات التي تطرأ على منسوب سطح البحر.[1]

[1] يوسف شريف، علي البلوشي (2014): مؤثرات التغير المناخي على مورفولوجيا الساحل العماني، المجلة الجغرافية العربية، العدد 64 الجزء الثاني ص424

©2023 SHABWAH UNIVERSITY JOURNAL

إن المناطق الساحلية وما تشكله من تداخل بين العوامل الطبيعية والبشرية في حد سواء تتباين تأثيراتها من منطقة لأخرى، وتعدُّ وسطًا غير مستقر بيئيًا؛ بسبب عوامل التعرية الريحية والمائية المختلفة، وتراجع الشواطئ، وارتفاع مستوى سطح البحر، وتزايد الضغط على الموارد الطبيعية. وتشير الوكالة الأوروبية للبيئة بأن 12% [2] من القارة يقل منسوبها عن كنتور (5) أمتار، خاصة مناطق الدلتا والسهول الساحلية، وبالتالي فإنَّ سواحلها مهددة بارتفاع منسوب سطح البحر، وكذلك في شمال أفريقيا كما في ساحل دلتا مصر، وكذلك سواحل سلطنة عمان المطلة على البحر العربي، وخاصة في مناطق المراوح الفيضية، والأخوار، والموانئ البحرية.[3]

وقد بدأ المجتمع الدولي ينتبه إلى ظاهرة تغير المناخ، وكان أول طرح للظاهرة خلال مؤتمر البيئة، الذي عقد بمدينة استكهولم سنة 1972م، مما لفت الانتباه إلى تلك الظاهرة بوصفها ظاهرة دولية عابرة للحدود نتيجة لتأثيراتها المختلفة، ولقد تم تشكيل بعض مجموعات العمل التي تبلورت لاحقًا، منها:

الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتغيرات المناخية (IPCC) التي أنشأتها منظمة الأرصاد الجوية العالمية سنة 1988م، World Meteorological Organization (WMO)؛ إذ صاغت تلك اللجنة الاتفاقية الإطارية لتغير المناخ (UNFCCC) 1990م، ولقد تم التوقيع عليها من عدد من دول العالم في ريودي جانيرو بالبرازيل 1992م، إلى جانب ما تقوم به الأمم المتحدة وبرنامجها المعني بالمناخ من جهود كبيرة، تبلورت في عقد اتفاقيات دولية ومؤتمرات سنوية بشأن تغير المناخ، وبمشاركة نحو (200) دولة، كان آخرها (COP27) الذي عقد في شهر نوفمبر 2022م بشرم الشيخ بجمهورية مصر العربية، وتهدف تلك الجهود المستمرة من المجتمع الدولي والباحثين إلى الحد من حدوث تغير للمناخ، وما يعقبه من اختلال في النظام الحيوي للكرة الأرضية بوجه عام، وزيادة معدلات درجة الحرارة على وجه الخصوص. ولقد زاد معدل درجة الحرارة العالمي مقدار (1.2) درجة، مما ساعد على ذوبان الجليد من القطبين، وارتفاع منسوب سطح البحار والمحيطات، وتعد تلك الزيادة تهديدًا مباشرًا للدول الساحلية، والجزر، والدلتاوات بالعالم.[4]

تتميز اليمن بسواحلها الممتدة على كل من البحر الأحمر وخليج عدن والبحر العربي، والتي تبلغ حوالي 2000 كم، كما أن غالب سكان اليمن يتركزون بالسكن حول السهول الفيضية والساحلية، وتحظى تلك المناطق بعدد وافر من المشروعات الاقتصادية المهمة كالموانئ، والمنشآت السياحية والعمرانية.

وتتميز مدينة المكلا بسواحلها الممتدة لأكثر من 63 كم على خليج عدن، وتتخللها عدد من الأودية، مكوِّنة في مناطق التقائها بالبحر مراوح فيضية وسهولاً ساحلية رملية، كما أن ساحل مدينة المكلا يتنوع ما بين السهل الساحلي الرملي والصخري، مما جعله مهيَّأً طبيعيًا لرسو السفن، وقد نشأ ميناء المكلا منذ أمد بعيد، هذا التنوع في مورفولوجيا ساحل المكلا جعل منها معرضة لغمر سواحلها بمياه البحر وفيضان الاودية اثناء مواسم الامطار، كما شوهد في الأعصاير المدارية، التي تعرضت لها المدينة في السنوات الأخيرة.

---

[2] European Environment Agency, (2005): Vulnerability and Adaptation to Climate Change in Europe. EEA Technical Report No.,7/2005

[3] يوسف شريف، علي البلوشي (2014): مصدر سابق.

[4] عبد الفتاح البنا (2009) :مواجهة آثار التغيرات المناخية المرتقبة على المدن التراثية الساحلية في مصر، مؤتمر " التغيرات المناخية وأثارها في مصر" ، شركاء التنمية القاهرة، 2-3 نوفمبر 2009.

* Intergovernmental Panel on Climate Change المنظمة العالمية للتغيرات المناخية

1.1. مشكلة الدراسة

تشير بعض التقارير العلمية والدراسات السابقة إلى أنه خلال القرن العشرين سوف يرتفع منسوب سطح البحر إلى ما بين 10–25 سم[5]، وتتوقع التقارير الصادرة من الهيئة الدولية المعنية بالتغيرات المناخية (IPCC)أن يزيد منسوب سطح البحر بمعدل يتراوح بين 26–59 سم بحلول عام2100، في حين توجد دراسات تتوقع ارتفاع منسوب سطح البحر إلى ما بين 38–100 سم بحلول عام2100، وفي دراسة أخرى عن فيتنام، توقع فيها الباحث زيادة منسوب سطح البحر إلى ما بين 50–140 سم[6].

من العرض السابق لواقع التغيرات المناخية، وتأثيرها في الساحل، وارتفاع مستوى منسوب البحر، ونظرًا لعدم وجود دراسة – حسب علمي – ناقشت تأثير هذه التغيرات المناخية في خط الساحل بالجمهورية اليمنية، وعلى وجه الخصوص ساحل مدينة المكلا، فإن تساؤل البحث ينطلق من هذه الحقائق، فيطرح السؤال الآتي:

ماهي التأثيرات المحتملة لارتفاع منسوب البحر على ساحل مدينة المكلا؟ ومن هذا التساؤل تتفرع عدد من التساؤلات الفرعية: تتمثل في:

- ما هو الوضع الحالي لخط الساحل؟
- ماهي النقاط التي سيتراجع عندها الساحل سلبًا وإيجابًا؟
- ما هو سيناريو المناطق المعرضة للغرق بمياه البحر في حالة ارتفاع منسوب البحر حتى 5 أمتار؟

لذا فإن هذه الدراسة تتطرق إلى التغيرات المستقبلية التي قد تطرأ على خط الساحل؛ حتى يتم الاستعداد الجيد للتعامل معها. وعليه فمن الضروري لكي تكتمل الحلقة أن يوضع تصور مستقبلي لما يمكن أن يطرأ على ساحل المدينة من تغيير نتيجة للتغيرات المناخية، وارتفاع منسوب سطح البحر المتوقع.

لذا فإن هذه الدراسة تسعى لوضع تصور لشكل ساحل مدينة المكلا في حالة زيادة منسوب سطح البحر عن الوضع الحالي بـ مقدار5 أمتار، ممثلة في خمسة مستويات، كل منها يمثل مترًا واحدًا، في حين أجريت بعض السناريوهات في بعض الدول ارتبط بعضها بارتفاع منسوب سطح البحر ستة أمتار، والآخر عشرة أمتار كما في دراسة مورفولوجيا ساحل سلطنة عمان، ووصل أحيانًا إلى 61 مترًا لمدينة سان فرانسيسكو؛ وذلك في حالة ذوبان جليد القارة القطبية الجنوبية.

2.1. هدف الدراسة

تهدف الدراسة لوضع تصور لتغيرات المورفولوجيا لساحل مدينة المكلا في حالة ارتفاع منسوب سطح البحر مستقبلًا نتيجة التغيرات المناخية.

3.1. أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في بيان أثر التغيرات المناخية في اتجاهات التغير في ساحل مدينة المكلا ومالها من آثار في الجوانب البيئية والاقتصادية والاجتماعية، والتعرف على ماهية هذا التغير، والبحث في إمكانية الحد من الآثار المترتبة عليها.

[5] Mangor, K., (2004): Shoreline Management Guidelines, DHI Water & Environment, Hersholm, Denmark.
[6] Nguyen, Pham Khoi, (2009): Climate change and Sea level rise scenarios, Ministry of Natural Resources and Environment, Hanoi, Vietnam.

4.1. منهج وطريقة الدراسة

يعتمد العمل في هذا البحث على استخدام تقنيات نظام المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد في وضع تصور لما سوف يطرأ على ساحل مدينة المكلا من تغيير في حالة ارتفاع منسوب سطح البحر. وسوف نستخدم المرئيات الفضائية الرادارية دقة 30م لسنة 2011م، وتسمى بنماذج الارتفاعات الرقمية Digital (DEM) Elevation Model لدراسة طبيعة ساحل مدينة المكلا من خلال أسلوب التحليل المكاني Spatial analysis للتعرف على درجات انحدار الساحل باستخدام خاصية الانحدار slope داخل خصائص السطح، ولتحقيق ذلك سوف يتم استخراج خمسة خطوط كنتور بفاصل متر واحد فقط لمعرفة حدود تلك الخطوط ومواقعها، وما سينتج عنها من تغيير على طول الساحل. وساحل مدينة المكلا يتأثر كغيره من السواحل بصورة مباشرة ببعض العوامل الطبيعية، سنتناولها ببعض التفصيل حسب أهمية كل عامل ودرجة تأثيره.

إلى جانب ذلك فإن البحث يستدعي إلقاء الضوء على بعض العوامل الطبيعية المؤثرة في تآكل السواحل وتراجعها، مع وضع اعتبار خاص لتحديد أهمية كل عامل ومستوى تأثيره؛ بهدف تحليل النتائج المتوقعة وتعليلها. وتسير منهجية الدراسة وفق ما يأتي:

- اختيار نماذج ممثلة من ساحل مدينة المكلا؛ نظرًا لامتداده لأكثر من 63 كم، مع التركيز على المناطق الأكثر تأثرًا بارتفاع منسوب سطح البحر، ومنها: مناطق التقاء الأودية بالبحر في كلٍ من الريَّان، وخلف، والشرج، وفوَّه.
- رصد التغير في ساحل مدينة المكلا للفترة 1973 – مايو 2019م.
- عمل تصور للتغيرات الجيومرفولوجية لساحل مدينة المكلا في حالة ارتفاع منسوب سطح البحر حتى خمسة أمتار.
- معرفة التنبؤات المستقبلية عن حالة التغيرات المناخية لساحل مدينة المكلا.

5.1. هيكلة الدراسة

- العوامل الجغرافية المؤثرة في ساحل مدينة المكلا.
- المعالجة الرقمية لنموذج الارتفاعات.
- تحليل نتائج الدراسة
- التوصيات

أولا :العوامل الجغرافية المؤثرة في ساحل مدينة المكلا

1. **الموقع الجغرافي لمدينة المكلا**

تقع مدينة المكلا في الجزء الشرقي للجمهورية اليمنية، على ساحل خليج عدن، وفلكيًا بين خطَّي طول (48.988545 –49.39387222)، ودائرة عرض (14.40835903 – 14.674223) على بعد حوالي (790) كيلو متر من العاصمة صنعاء.

وتحيط بمدينة المكلا مجموعة من الجبال، تمتد في شكل شريطي محاذيًا لساحل البحر[7]، وقد كان لهذا الموقع ولا يزال أثره البالغ المتميز، الذي يعد من أفضل المرافئ القديمة والحديثة للموانئ في المنطقة؛ نتيجة لموقعها على خليج المكلا، المحاط بالجبال المحمية من الرياح الموسمية ذات الخصائص المناخية، الموثرة سلبًا وإيجابًا على نمط استخدامات الأراضي للمدينة. كما تمثل المدينة من خلال هذا الموقع الاستراتيجي، النافذة التي تطل منها محافظة حضرموت على العالم الخارجي[8].

وتتمتع المدينة بموقع إقليمي على ساحل شاطئ البحر العربي بالنسبة لمحافظة حضرموت، وبين بقية المراكز الحضرية في إطار شبكة المستوطنات الحضرية، ويحد مدينة المكلا من الشرق مدينة شحير، ومن الجنوب الغربي منطقة بروم، ومن الشمال عدد من القرى لمديرية أرياف المكلا، ومن الجنوب خليج عدن9.

شكل رقم (1) الموقع الجغرافي لمدينة المكلا بالنسبة لمحافظة حضرموت واليمن

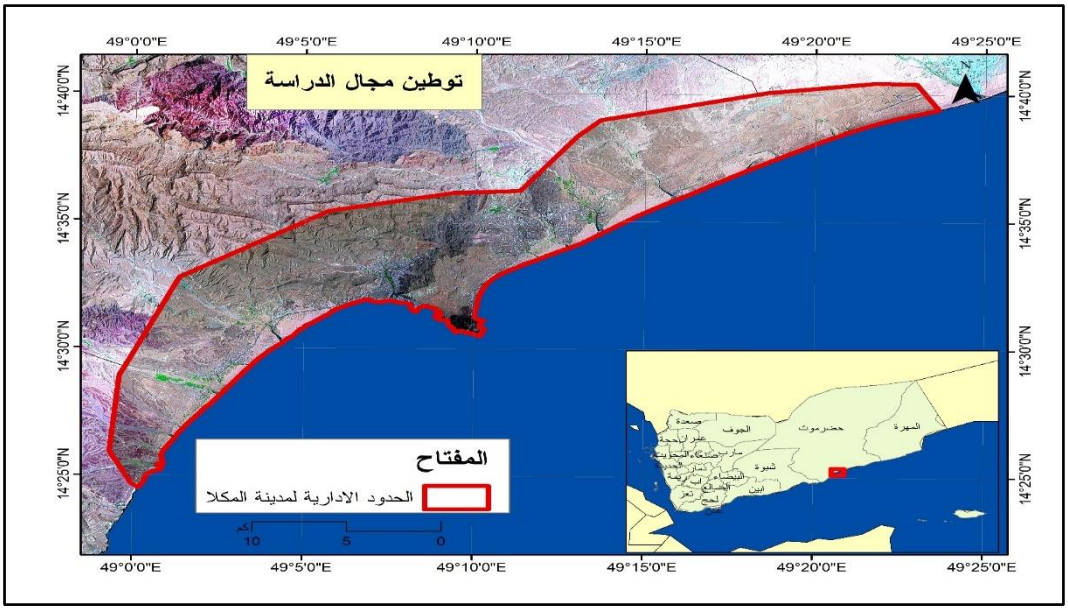

المصدر: من انجاز الباحث بالاعتماد على برنامجي arcgis10.5، erdas imagin14

تقع منطقة الدراسة تكتونيًا على الصفيحة التكتونية العربية، وعلى الحافة الشرقية للدرع العربي، ويعد ساحل حضرموت جزءًا من البنية التكتونية لليمن، التي هي جزء من شبه الجزيرة العربية، وبالتالي فإن هذا الساحل مر بالتطورات الجيولوجية التي مرت بها الأراضي اليمنية، فساحل حضرموت يدخل ضمن التركيبات الجيولوجية للصفيحة التكتونية العربية، والتي تضم الدرع العربي والرف العربي، لذلك فإن التطور التكتوني لخليج عدن الأثر

[7] . الجمهورية اليمنية، رئاسة مجلس الوزراء، محافظة حضرموت: إنجازات حاضرة لتنمية مستدامة 2008 . 2003 –2008 ص 132.

[8] المحمدي، عمر (2012): مدينة المكلا واقليمها الوظيفي (دراسة في الجغرافية الحضرية)، أطروحة دكتوراه، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة عدن ص 35

[9] المحمدي، عمر(2012): المصدر نفسه.

الكبير في نهوض هذه المنطقة وتطورها في عصر الميوسين؛ إذ إن انفتاح خليج عدن، وارتطام الصفيحة العربية بالإيرانية يكاد يكون متزامنًا[10].

ويمكن القول إن ساحل حضرموت قيد الدراسة يدخل ضمن التركيبات الجيولوجية للدرع العربي الجنوبي فمنذُ نهاية العصر الكريتاسي حتى عصر الميوسين، وحدوث الانكساريات والفوالق في هذا الفترة وتكوُّن خليج عدن والبحر الأحمر انفصلت حضرموت عن كتلة الأركية الأفريقية[11]. ونتيجة لمجموعة الحركات الأرضية المتعاقبة كان الرف العربي يرتفع ثم يهبط، وكانت مياه البحر تغمر أراضي ذلك الرف عند الهبوط، تم تعود فتنحصر عنه عند الارتفاع، ومن ذلك كانت الطبقات الرسوبية الرقيقة تتوالى متعاقبة ابتداء من العصر الأردوفيشي في الزمن الأول حتى الزمن الرابع[12].

1.2. التركيب الصخري للساحل

تعد البنية الجيولوجية والتركيب الصخري للساحل من أهم الأسس التي ترتكز عليها دراسة أشكال سطح الأرض الحالية (جيومرفولوجية الساحل) وتشكيلها، وهي تنتمي لمجموعة من العمليات الباطنية المكونة للتضاريس، بالإضافة إلى العمليات الخارجية، مثل التعرية المائية والهوائية، التي تقوم بدور كبير في تشكيل التضاريس الصغرى للساحل، مثل الدلتاوات، والتلال الرملية، والسهول الحصوية، والجروف، وغيرها من المظاهر الجيومرفولوجية[13]. ففي منطقة الدراسة يمكن تمييز مناطق صخرية عدَّة، يعد ظهورها من نتائج الحركات التكتونية عبر الأزمنة الجيولوجية، أو من نتائج عمليات الترسيب بواسطة عوامل التعرية المختلفة ومن هذه الصخور:

1.1.2. صخور القاعدة الاركية

وتوجد في منطقة خلف القديمة بالمكلا، وهي عبارة عن صخور اندفاعية إلى بركانيات قدمية، وتتخللها بعض الصخور المتداخلة من قواطع وسدود (قاعدية ومتوسطة). كما توجد صخور القاعدة في منطقة غرب بروم والجبال الممتدة من ميفع حتى الغبر[14].

2.1.2. صخور الزمن الثاني

وتوجد صخور العصر الطباشيري (الكريتاسي) في منطقة ساحل حضرموت حيث توجد صخور مجموعة الطويلة، وهي صخور رملية في غرب مدينة المكلا وشرقها، وفي كل من بروم، ورأس الحمراء، وحصيحصة،

[10] المحمدي، عمر (2012): مصدر سابق ص 36.

[11] المحمدي، عمر (2012): مرجع سابق ص 37.

[12] المحمدي، عمر (2012): المصدر نفسه

[13] بارشيد، محمد عوض2005: جيومرفولوجية ساحل حضرموت رسالة ماجستير الآداب في الجغرافيا، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة النيلين، جمهورية السودان. ص 40

[14] بارشيد، محمد عوض2005: المصدر نفسه

ويتخلل هذه المجموعة أحزمة من الصخور الجيرية، وتضم هذه المجموعة تكوين قشن – الحرشيات – المكلا– شروين[15].

3.1.2. صخور الزمن الثالث

وهي صخور عصر الباليوسين، وتوجد في منطقة شمال بروم وغربها، في نطاق ضيق، وتتمثل في تكوين أم الرضومة، وهي صخور جيرية عقدية كتلية، تتخللها بعض الطبقات من الصخور الجيرية الصفحية، وكذا الدولومايت وخاصة في جزئها السفلي[16].

- **صخور عصر الأيوسين الأوسط**

توجد في شكل قوس على امتداد الساحل في منطقة شرق مدينة الحامي إلى رأس شرمة، وتمثل تكوين حبشية، والتي تتكون من ترسبات متتابعة من أطيان صفحية وصخور جيرية عضوية مع أحزمة من بعض الصخور الجبسية[17].

- **عصر الأوليجو – ميوسين**

وتوجد شمال ساحل خليج المكلا، وشمال منطقة الريان، كما تطل على الساحل مباشرة في مناطق متفرقة من غرب بروم، وتضم مجموعة الشحر، وتتكون من صخور صفحية – طينية كونجلوميرات – حجر جيري عضوي[18].

- **العصر الثلاثي المتأخر– خلال حقب الحياة الحديثة**

وتنتشر صخور هذا العصر وتكويناته بشكل واسع على طول الساحل الشرقي لحضرموت، وهي عبارة عن حقول وانسياب اللافا البركانية، وتمتد من منطقة قصيعر حتى قرب مصب وادي المسيلة في شكل حقول لاقيه (مسيلات بركانية) متقطعة، تفصل بينها أودية وسواحل رملية، وتنتمي مكونات هذا العصر إلى سلسلة بركانيات عدن[19].

---

[15] Geological Map of Eastern Aden Protectorate compiled by Z.R. Beydoun

[16] بارشيد، محمد عوض2005: مصدر سابق

[17] بارشيد، محمد عوض2005: المصدر نفسه

[18] بارشيد، محمد عوض2005: المصدر نفسه

[19] بارشيد، محمد عوض2005: المصدر نفسه

4.1.2. الزمن الرابع

عصر البليوسين – الحديث (الهولوسين)

وتغطي صخور هذا العصر وتكويناته غالبية ساحل حضرموت، وهي عبارة عن شواطئ مرتفعة – مصاطب نهرية – ترسبات حيوانية دقيقة (تربة اللويس) – جلاميد – رمل – كثبان رملية[20]، وتمتد من شرق مدينة المكلا حتى وادي المسيلة شرقًا، كما تتخلل المنطقة الممتدة إلى الغرب من المكلا في ساحل خليج المكلا وخليج بروم وبعض الخلجان الصغيرة غرب بروم[21].

شكل رقم (2): جيولوجية مدينة المكلا

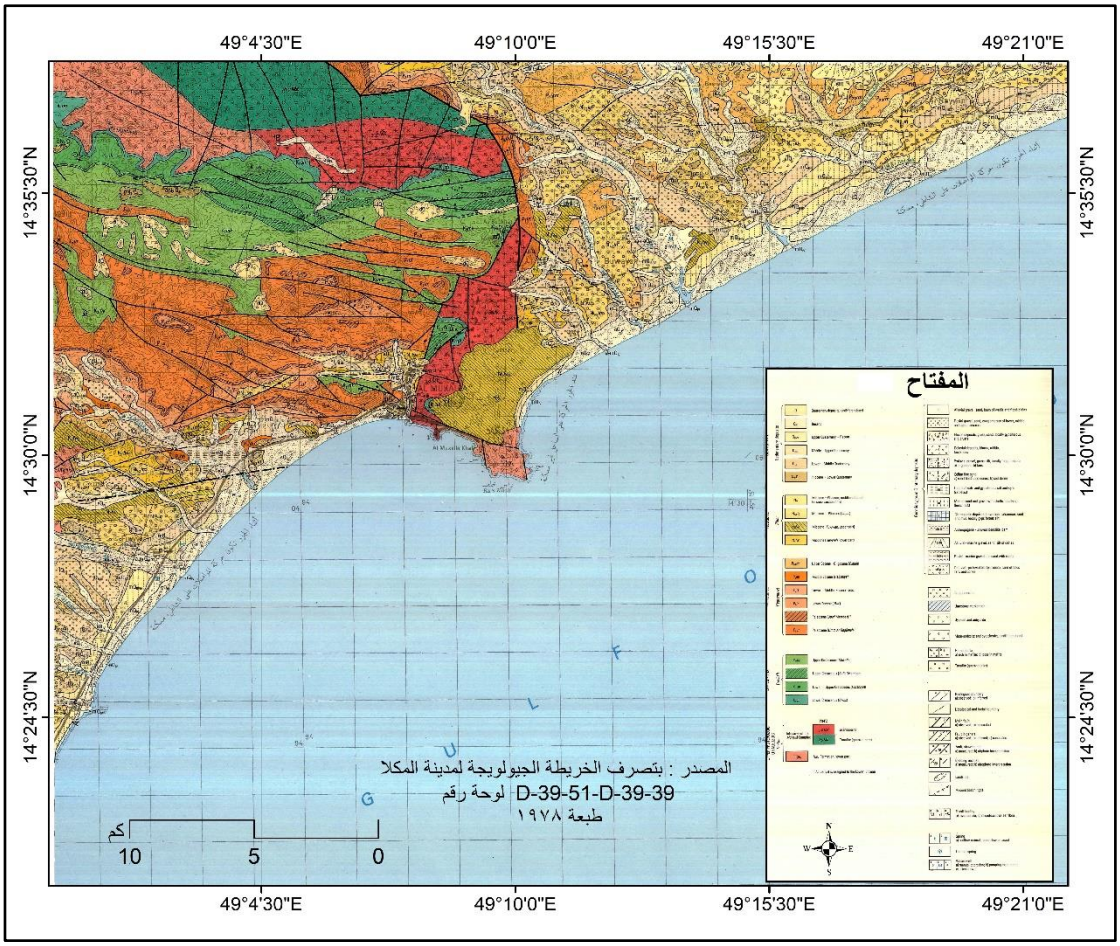

3. مظاهر السطح

يقع سطح مدينة المكلا ضمن نطاق السهل الساحلي لمحافظة حضرموت، المتمثل بالشريط الساحلي، الذي يقع ويمتد عليه موضع المدينة من بروم غربًا إلى الريان شرقًا، وبطول أكثر من (63) كيلو متر. تتبين تكوينات

[20] Geological Map of Eastern Aden Protectorate compiled by Z.R. Beydoun scale

[21] بارشيد، محمد عوض2005: مصدر سابق

هذا السهل الساحلي على امتداد المدينة نحو اليابس من حيث الانخفاض والارتفاع والضيق والاتساع للشواطئ الرملية، التي تتخللها مصبات الأودية الساحلية[22].

ونجد أن السهل الساحلي الغربي لمدينة المكلا الذي يمتد نحو جهة بروم بحوالي 34 كم يتميز بأنه يمثل سهلًا فسيحًا، عرضه بين (4–15) كم، تنتشر فيه الكثبان الرملية الشاطئية نحو أقدام دالات الأودية الساحلية المنحدرة من المرتفعات الجبلية[23].

ويضيق هذا السهل كلما اتجهنا نحو المنطقة الوسطى، حتى ينتهي بين البحر والجبل، ويمثل جروفًا من حجر الكلس (الجير) أمام المدينة القديمة ومنطقة خلف القديمة والجديدة. أما السهل الساحلي الشرقي فيبدأ في الاتساع تدريجيًا كلما اتجهنا نحو الريان، وبعرض يتسع في اليابس بين (5–20) كم[24].

شكل رقم (3) الارتفاعات الرقمية ومظاهر السطح لمدينة المكلا

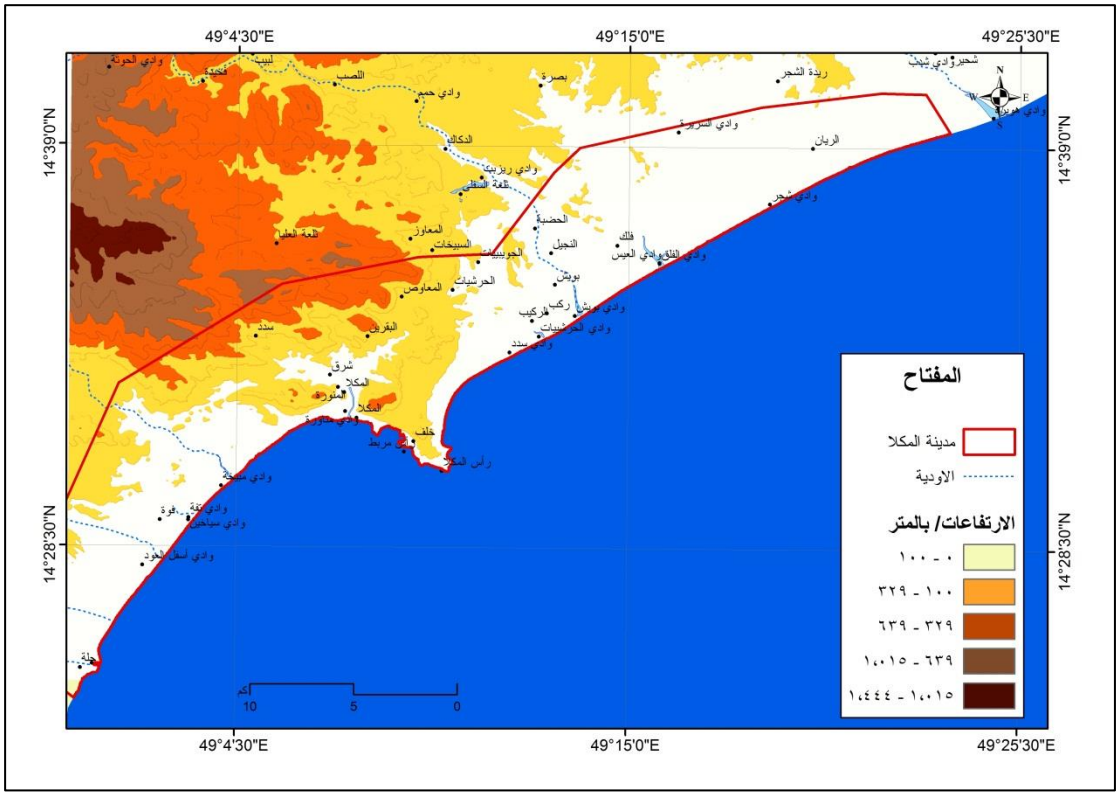

المصدر: من إنجاز الباحث بالاعتماد على برنامجي erdas imagin14, arcgis10.5

ومن جهة الشمال من هذا النطاق الساحلي يقع نطاق السلاسل الجبلية الانتقالية، التي تمتد حتى خطوط الكنتور لتقسيم المياه عند ارتفاع 2000 متر تقريبًا فوق سطح البحر، حيث تفصل بين الوديان المتجهة نحو البحر وتلك المتجهة شمالًا إلى وادي حضرموت، ويمتاز هذا النطاق بتضاريسه وشدة انحداره[25].

[22] المحمدي، عمر (2012): مصدر سابق
[23] المحمدي، عمر(2012): المصدر نفسه
[24] المحمدي، عمر(2012): مصدر سابق
[25] المحمدي، عمر (2012): المصدر نفسه

4. المناخ

يتميز مناخ ساحل مدينة المكلا بمناخ شبه استوائي، حار صيفًا ومعتدل شتاء؛ إذ تتراوح درجة الحرارة صيفًا بين (27–39)° مئوية، وشتاءً بين (19–26)° مئوية، وتتراوح كمية هطول الأمطار بين (49–80) ملم على الشريط الساحلي، و(150) ملم على ارتفاع (200) متر فوق سطح البحر، وتسقط عادةً خلال موسم الربيع (مارس – مايو)، والخريف (يوليو – سبتمبر)، وهي أمطار غير منتظمة، كما يمتاز هذا الساحل بارتفاع الرطوبة النسبية بين (70–85) %، أما التبخر السنوي فيصل (2569) ملليمتر /العام[26].

تتأثر سرعة الرياح واتجاهها بدرجة الحرارة مما يؤثر بشكل مباشر على المنخفضات الجوية بالمنطقة، حيث إن تأثير هده المنخفضات على جذب الرياح من المسطحات المائية القريبة، والتي تكون في العادة مشبعة ببخار الماء، مما يؤدي إلى رفع معدلات الرطوبة النسبية المقترنة بدرجات الحرارة العالية وبخاصة في الأجزاء الساحلية، كما يؤدي تصاعدها على السفوح الجبلية إلى تكون السحب الركامية، مُحدِثةً بذلك حركة رأسية في تيارات الهواء وسقوط الأمطار التضاريسية على القمم الجبلية، المصحوبة عادة بالبرق والرعد والرياح الشديدة، وتكون هذه الأمطار في العادة بقعية ومؤقتة ومختصة بسلسلة الجبال. مما يؤدي إلى جريان الأودية التي تؤثر مباشرة على مورفولوجيا خط الساحل.

فالرياح السائدة على طول ساحل مدينة المكلا هي رياح جنوبية شرقية غالب شهور السنة؛ إذ تبلغ نسبة تكرارها (83.3%) من مجموع الاتجاهات العامة للرياح في اليمن، في حين تسود الرياح الجنوبية والجنوبية الغربية خلال فصل الصيف فقط، هذا ما سجل في محطة الريان الواقعة في منطقة الدراسة؛ إذ بلغ المعدل السنوي لسرعة الرياح فيها (2.5م /ث)، ونتيجة لهبوب الرياح الموسمية الصيفية الشديدة من مايو– سبتمبر تصل سرعة الرياح (20–30م /ث)، وارتفاع الموج إلى20م[27]. ويعزى اشتداد سرعة الرياح عند الساحل إلى التباين الضغطي الكبير بين اليابس والماء المجاور.

5. شكل خط الساحل

يعد شكل خط الساحل ومدى تعرجه وتوجيهه بالنسبة للأمواج السائدة من أهم العوامل التي تؤثر في مورفولوجيا السواحل؛ إذ تشتد تعرية رؤوس السواحل المتوغلة في البحر، في حين يزداد الترسيب داخل الخلجان، والأخوار، وخلف تلك الرؤوس[28].

تتوقف طبيعة شكل خط الساحل بمدينة المكلا على أمور عدة، منها ما يختص بطبيعة الصخور المكونة له، وتوجيه الساحل بالنسبة للأمواج السائدة، وكذلك التفاوت في ارتفاع الجروف البحرية. فصخور الساحل قيد الدراسة تتميز بتنوعها، فمنها الصخور النارية التي تنتشر في مناطق قليلة من الساحل، مثل منطقة المكلا، أما أكثر

[26] يوسف، عبد الحكيم محمد (2000): بعض الظواهر الجوية المؤثرة في تشكيل مناخ اليمن، بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة.

[27] صبيح، عمر عوض (1995): بعض الخصائص الطبيعية وتأثيراتها على البيئة البحرية، بحث مقدم إلى مركز أبحاث علوم البحار والموارد البحرية، عدن.

[28] Azaz, L, (2012): Using GIS and remote sensing to map coastline changes of Wedam_ Alsahel area, Batinah, Oman between 1998 and 2008, the 33rd Asian Conference on Remote Sensing, Thailand.

الصخور انتشارًا في الساحل فهي الصخور الجيرية (Lime stone)، والحجر الرملي، والصخور الجبسية الهشة التي تنتشر في مناطق محدودة [29].

كذلك تركيب الصخور له دور مهم في تشكيل المظاهر الجيومورفولوجية لخط الساحل، خصوصًا إذا كانت طبقات الصخر عبارة عن طبقات متعاقبة لينة ثم صلبة فإن تكسر الأمواج يعمل على تآكل الصخور اللينة. أما أثر العامل الكيميائي فيكون تأثيرًا واضحًا في الصخور الجيرية وغيرها من الصخور التي تقبل الإذابة والكربنة؛ إذ يؤدي ذلك إلى خلق أشكال خاصة ومميزة. وتنتشر الصخور الجيرية في مناطق متعددة من الساحل، خصوصًا المناطق الساحلية الواقعة غرب المكلا، لذا نلاحظ وجود المسلات البحرية في المنطقة الواقعة غرب بروم، وانتشار الجروف والكهوف بشكل واسع في السواحل الواقعة غرب المكلا وإن كانت في بعض المناطق من هذا الساحل تختفي هذه المظاهر، وتحل محلها الخلجات الصغيرة بسبب بعد المناطق الجبلية عن ساحل البحر [30].

إنَّ ميلان الساحل يتنوع في منطقة الدراسة، فيكون في اتجاه البحر في بعض المناطق، أما في أجزاء من منطقة (خلف) بالقرب من المكلا فميلان الساحل باتجاه اليابس مما يقلل من عملية تآكل الصخر، وبالتالي تبقى الجروف فترة طويلة دون أن تتراجع نحو اليابس، ويكون تأثير الأمواج فيها ضعيفًا [31].

6. درجات انحدار المناطق الساحلية

لدرجات انحدار المناطق الساحلية دور كبير في مدى تأثر تلك السواحل بحركة الأمواج ودرجة ذلك التأثر؛ إذ نجد أن أقل المناطق تأثرًا هي مناطق الجروف التي تزيد فيها درجات الانحدار على 45 درجة، ويزيد هذا التأثير تدريجيًا بقلة درجات الانحدار، حيث تمثل تلك المناطق النسبة الغالبة لساحل مدينة المكلا، كما في منطقة الريان وخلف وفوه، وفي مناطق الأخوار ومصبات الأودية على طول خط الساحل.

ويتضح من مرئية تحليل الانحدار (Slope) في الشكل رقم (3) ما يأتي:

- أنَّ أكثر مناطق ساحل مدينة المكلا انحدارًا هو ساحل بويش وروكب وفلك، التي تتخللها مصبات الأودية، مثل وادي بويش والحرشيات، كذلك مناطق خلف والشرج وفوه، التي تتخللها أودية، مثل وادي الغليلة، الذي يصب بخور المكلا، ووادي امبيخه ووادي فوة وحلة؛ إذ تتراوح درجة الانحدار فيها بين 0–7,91 درجة.
- تأتي ساحل منطقة الريان المرتبة الثانية من حيث درجات الانحدار؛ إذ يسود غالبها درجات انحدار الجروف، وتتراوح درجة الانحدار بين 7,91 –25,44 درجة.

[29] بارشيد، محمد عوض2005: مصدر سابق

[30] بارشيد، محمد عوض2005: المصدر نفسه

[31] بارشيد، محمد عوض2005: مصدر سابق

شكل رقم (4) تصنيف درجة الانحدار بساحل مدينة المكلا

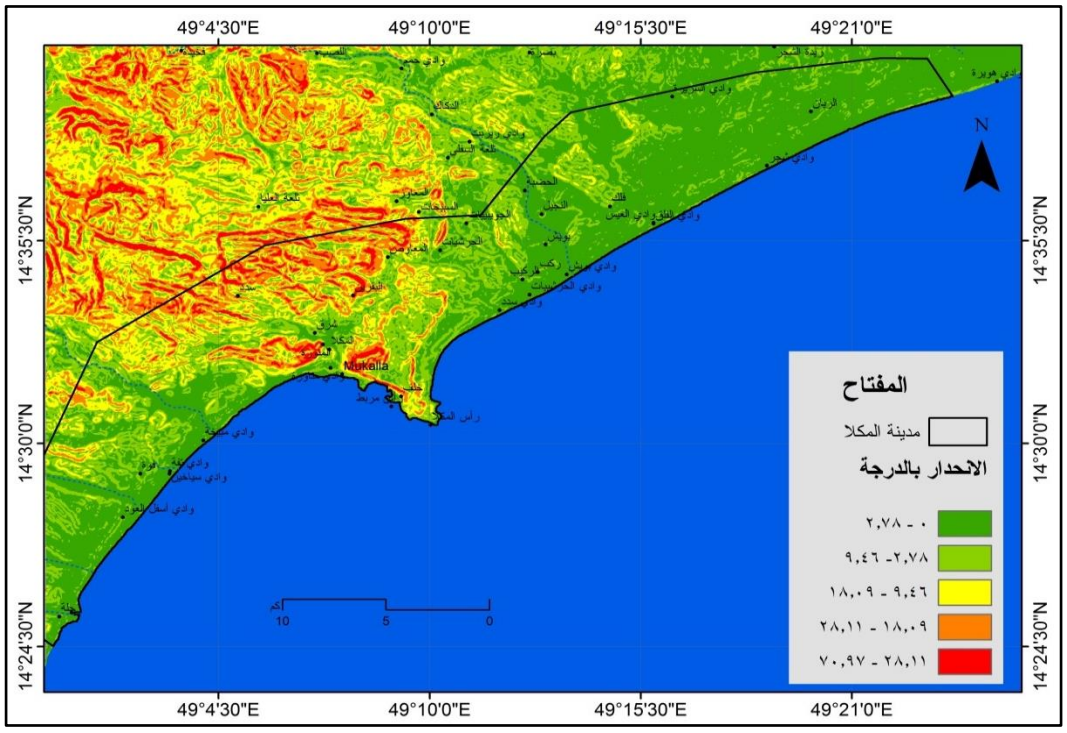

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على نموذج الارتفاع الرقمي DEM (30 متر)

7. الغطاء النباتي

يتباين الغطاء النباتي للمنطقة الساحلية من حيث نوعه (شجيرات، حشائش) ومدى كثافته؛ إذ يساعد الغطاء النباتي الكثيف على حماية السواحل بدرجة ما من تأثير الأمواج، ومن الملاحظ أن ساحل مدينة المكلا في غالبه رمال تغطيها بعض الشجيرات، مثل السيسبان، الذي يغطي أماكن واسعة، وخاصة في بطون الأودية التي تصب في البحر، كما يوجد جزء من ساحل المكلا يتميز بطبيعته الصخرية، كما في كورنيش ومنتجعات المحضار في خلف.

8 .عمق المياه

يؤثر عمق المياه أمام السواحل بصورة مباشرة على قوة الأمواج؛ إذ تعمل المياه الضحلة على تكسير الأمواج، وإضعاف طاقتها قبل وصولها إلى الشاطئ، في حين تساعد المياه العميقة على وصول الأمواج بكامل طاقتها مما يعظم تأثيرها التحاتي، وبطبيعة الحال يعد ساحل مدينة المكلا من السواحل العميقة، باستثناء مناطق مصبات الأودية (الاخوار).

شكل رقم (5) يبين أعماق البحر بساحل مدينة المكلا

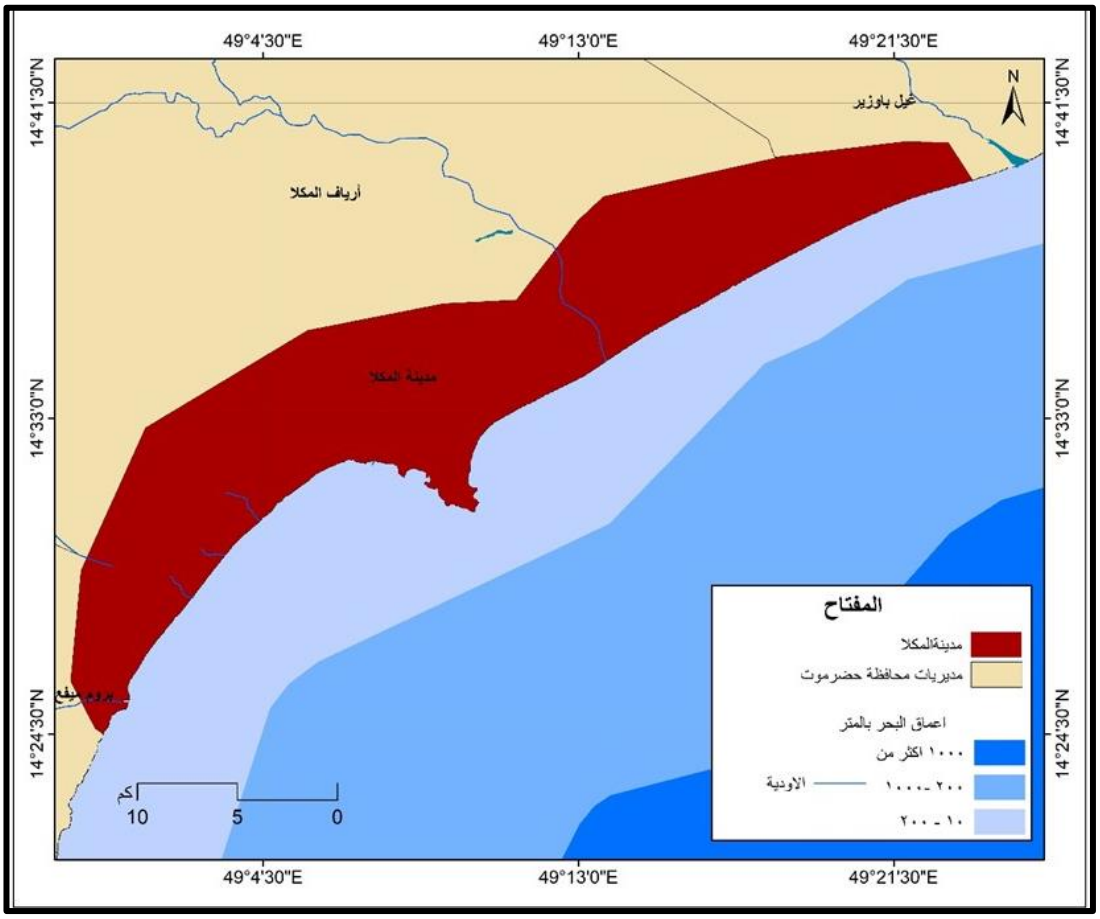

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على نموذج الارتفاع الرقمي DEM (30 متر)

9. تأثير الأمواج

تعد الأمواج من أهم عوامل التعرية البحرية، ويرتبط تأثير هذه الأمواج بعاملين آخرين، هما؛ الرياح، وتضاريس الساحل نفسه، ولأمواج العواصف أهمية خاصة؛ إذ إن تأثيرها في تشكيل السواحل في يوم واحد يعادل تأثير الأمواج العادية في أسابيع عدَّة، ولهذا فإنها تعرف بأمواج الهدم.

يتمثل العمل التحاتي للأمواج في أنماط عدة، الأول هو الفعل الهيدروليكي، وهو عملية اصطدام كتل المياه بالصخور وتحطيمها؛ إذ ينضغط الهوى الموجود في الشقوق والشروخ والفواصل التي في واجهة الجرف بشدة فتتجه لدفع المياه، وحينما ترتد الموجة يتمدد الهواء في الشقوق فجأه فيؤدي إلى انفجار عنيف[32]، وهكذا تستمر حركة الأمواج فيتحطم الصخر ويتآكل الجرف. أما النمط الثاني للعمل التحاتي للأمواج فهو النحت، ويتوقف نحت الجرف على طريقة تكسر الأمواج وأحجامها، ويخضع ذلك لطول الفترة الزمنية التي تتحرك فيها الأمواج وما تحملها الأمواج من كتل الحطام الصخري، حيث تصطدم بأسفل الجرف. أما النمط الثالث فهو الاحتكاك حيث تتصادم مكونات

[32] جودة، جودة حسنين (1996): قواعد الجيومورفولوجيا العامة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

الحطام الصخري ببعضها كما تصطدم بالجرف[33]، ويدخل في ذلك عملية الكشط، أي القطع والطحن تحت التأثير المزدوج بقطع الصخور[34]، وهذا ما يلاحظ في أجزاء مختلفة من الساحل، ووجود أحجار حصى مستديرة الشكل، خصوصًا بالقرب من السواحل الرملية المفتوحة، حيث تنشط الأمواج كما هو الحال في ساحل غرب المكلا.

والنمط الرابع لتأثير الأمواج في نحت السواحل هو الإذابة، خاصة تأثير هذه العملية على الصخور الجيرية التي تقبل الإذابة والمنتشرة على الساحل، حيث يتم ذلك عن طريق التفاوت اليومي في ما تحويه المياه الشاطئية من ثاني أكسيد الكربون، فلأن مقدرة المياه على إذابة ثاني أكسيد الكربون تزداد بتناقص الحرارة؛ لإن برودة مياه البحر أثناء الليل تؤدي إلى زيادة حمضية المياه، لذلك تزيد من قدرتها على إذابة الصخور الجيرية [35]، أو بسبب نشاط الكائنات البحرية النباتية أثناء التمثيل الضوئي مما يؤدي إلى الاختلاف اليومي لما تحويه المياه من ثاني أكسيد الكربون.

10. تأثير حركة المد والجزر

تعد ظاهرة المد والجزر عن انخفاض مياه البحر وارتفاعها، وتتم في فترات زمنية محدودة، وترتبط هذه الظاهرة بالشمس والقمر، يحدث المد والجزر مرة كل نصف يومًا، ويبلغ المعدل اليومي للمد على الساحل (1.1) مترًا، وتعمل تيارات المد والجزر على إبراز تأثير تحاتي قوي؛ حيث تتوغل مياه المد في الخلجان الضحلة والضيقة الموجودة على الساحل، وتلاطم الصخور، وتمارس فعلها كعامل نحت أو نقل للمفتتات الصخرية وإرسابها في المناطق الساحلية، خصوصًا وأن ساحل حضرموت يشهد نشاطًا بشريًا كبيرًا من خلال عمليات ردم السواحل، وتكوين الأرصفة الساحلية الحديثة، وما يتطلب ذلك من إلقاء للمواد الطينية والحصى والحصباء، والتي تقوم بنقل جزء منه تيارات المد وخاصة المد العالي، أو ما يسمى بالمد الربيعي (Springtide)، والذي يحدث مرتين كل شهر حينما يكون القمر محاقًا وبدرًا، وتنقل هذه المفتتات والحصباء إلى مناطق أخرى من الساحل وترسب فيها[36].

11. فعل التيارات البحرية

وهي عبارة عن كتلة متصلة من المياه، تتحرك حركة مستمرة، وتعد الرياح هي العامل الأول المسؤول عن تكوينها، وحيث إن المنطقة قيد الدراسة واقعة على البحر العربي فإن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية التي تهب على هذه المنطقة هي التي تتحكم في اتجاه حركة التيارات البحرية بشكل رئيس، لذلك نجد سيادة التيارات البحرية دائمًا ما تتطابق مع اتجاه الرياح الموسمية، ففي فصل الصيف حيث الرياح الموسمية الجنوبية الغربية يكون الاتجاه العام للتيارات البحرية شرقيًا، ويحدث بالقرب من الساحل تيار دوراني (باتجاه عقارب الساعة)، أما عند هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية في فصل الشتاء فيكون اتجاه حركة التيارات البحرية غربيًا، ولكن

[33] محمد، سعد جاسم وياسين عواد الدليمي (2002): أساسيات علم الجيومورفولوجية، الدار العلمية الدولية، الطبعة الأولى – عمان.

[34] لوتجنز، تاربوك – ترجمة عمر سليمان حمودة وآخرون 1984): (، الأرض – مقدمة للجيولوجيا الطبيعية

[35] يوسف، عبد الحكيم محمد (2000): مصدر سابق

[36] يوسف شريف، علي البلوشي (2014): مصدر سابق

حركة التيارات الساحلية تنعكس كحركة دورانية باتجاه عقارب الساعة، ويتجاوز معدل سرعة هذه التيارات عقدة واحدة[37]، ولأن حركة هذه التيارات بطيئة لذا فإنها لا تقوم إلا بنصيب ضئيل ومحدود في تشكيل المناطق الساحلية؛ إذ إنها تزيل نتاج تعرية الأمواج، وتكتشف أسفل الجروف، وتقوم بنقل المواد الناعمة من منطقة ساحلية إلى أخرى، ويتبع هذا العامل عامل آخر هو ما يسمى (الجرف الشاطئ والتيارات الشاطئية)، حيث إن المياه في طريق عودتها إلى البحر تأخذ اتجاهًا مستقيمًا مع الانحدار، ويعمل هذا على نقل الرسوبيات باتجاه متعرج على طول الساحل، ويسمى هذا بالجرف الشاطئ، الذي ينتج عنه حبيبات الرمل والحصباء، كما تعمل الموجات المائلة على أحداث تيارات بنطاق الأمواج المنكسرة موازيًا للشاطئ، وتقوم هذه التيارات بنقل حبيبات الرمل الدقيقة ودحرجة الحبيبات الكبيرة[38]. لذلك تتكون الرسوبيات الرملية على طول الشاطئ، والكثير منها ليس مشتقًا من تعرية الأمواج، بل أتت بفعل الأودية التي تصب في البحر، ولولا عمل الجرف وتيارات الشاطئ لندر رؤية الرمال على الشاطئ.

ثانيًا: معالجة بيانات نموذج الارتفاعات الرقمية (DEM)

لقد استخدمت في السنوات الأخيرة نماذج الارتفاعات الرقمية (DEM) باختلاف مصادرها، سواء كانت صورًا رادارية أو مشتقة من مرئيات أخرى في الدراسات الجيومورفولوجية؛ إذ تستخدم في اشتقاق خطوط الكنتور، وشبكات الأودية، وفي دراسة التضاريس المحلية ودرجات الانحدار، وغيرها من الاستخدامات.

وفي هده الدراسة تم استخدام نموذج الارتفاع الرقمي 30 مترًا (DEM 30) لسنة 2011 في عمل التحليل المكاني للمنطقة الساحلية بمدينة المكلا، وأمكن الحصول من خلال ذلك على درجات الانحدار؛ لما لها من علاقة قوية بالسواحل من حيث تقدم الساحل أو تراجعه، كما استخدم أيضًا التحليل المكاني في عمل قائمة لخطوط الكنتور من1–5 أمتار لرصد التغيرات التي من الممكن أن تطرأ على ساحل مدينة المكلا مستقبلًا.

وقد أجريت بعض الخطوات الضرورية على المرئية الفضائية لتجهزها لإجراء التحليل المكاني من خلالها وهي كالآتي:

- عمل التصحيح الهندسي لمجموعة من المرئيات الفضائية الرادارية.
- ضبط الإسقاط الذي يتوافق مع الإسقاط المستخدم بالخرائط والمرئيات الفضائية المستخدمة.
- عمل موزاييك يضم كل مناطق مدينة المكلا.
- عمل تصحيح لبعض البيانات المفقودة بنموذج الارتفاعات.
- استخدم الباحث مؤشر فرق المياه (NDWI)[39]*، ويستخدم هذا المؤشر لتحديد المناطق المائية، ورصد التغيرات في محتوى المياه السطحية، وبالتالي تحديد مناطق الجفاف، والتغيرات في مستوى المياه، والفيضانات من خلال صور المرئيات الفضائية، وتحديد الفارق ما بين المياه واليابس، وتحديد خط الساحل لمدينة المكلا.
- تم تقسيم سواحل مدينة المكلا إلى قطاعات عدة، تتوافق مع درجات الانحدار، وطبوغرافية السطح، وموقعها الجغرافي إلى عدد من القطاعات؛ حتى يتم أخذ نماذج ممثلة لتلك القطاعات لرصد تغيراتها، قد اعتمد في

[37] يوسف، عبد الحكيم محمد (2000): مرجع سابق

[38] لوتجنز، تاربوك – ترجمة عمر سليمان حمودة وآخرون 1984): مرجع سابق

* Normalized Difference Water Index مؤشر فرق الماء الطبيعي

الاختيار على أكثر المناطق تأثرًا في الوقت الحالي، والتي من المتوقع تأثرها مستقبلًا خلال تحليل نماذج الارتفاعات الرقمية؛ إذ تم تقسيم ساحل المدينة الى أربعة قطاعات، وهي من الشرق الى الغرب، تشمل مناطق الريان، روكب وخلف، المكلا والشرج، فوه بن سيناء والشافعي وحلة.

- **ثالثًا: تحليل نتائج الدراسة**

1: رصد التغير في ساحل مدينة المكلا للفترة 1973 –مايو 2019

تم تحويل جميع نتائج تحليل صور الأقمار الصناعية، إلى بيانات رقمية، يسهل التعامل معها في دراسة التغير وحساب مساحة التجريف والردم البحري، على المنطقة الساحلية؛ من أجل رصد التغير في خط الساحل من عام **1973– مايو2019**م والتي بلغت نسبة التغير 47% خلال (46) سنة الماضية، كما هو موضح في الجدول رقم (1) والشكل رقم (6).

صورة رقم (1) اعمال ردم خط الساحل مستمرة

المصدر http://www.almukallanow.com -

وبشكل عام؛ فإن أعمال التجريف والردم البحري للواجهات البحرية على خط الساحل لمدينة المكلا وما ينتج عنها من أضرار بيئية نتيجة انتشار الغبار، والعوالق الترابية ضمن عمود المياه، وما يصاحب ذلك من قتل للنباتات البحرية، وتدمير للشعاب المرجانية، التي تعد حاضنة وبيئة خاصة، وموطنًا للكثير من الأحياء البحرية، إضافة إلى كون أعمال التصريف المباشرة موجهة إلى البحر، الأمر الذي يؤثر في بيئات كثيرة من الكائنات البحرية الحي، وبالتالي؛ فإن الإضرار ببيئات كثيرة من أنواع الأسماك، عن طريق أعمال الردم والتجريف، وتدمير الشعاب المرجانية، وتصريف الملوثات في البحر، لها الدور البالغ في التأثير على مستوى تكاثر بعض الأسماك، وبالتالي نفاد المخزون السمكي، وافتقار المنطقة للتوازن البيئي البحري[40].

جدول رقم (1): التغير في خط ساحل مدينة المكلا للفترة 1973–2019

التغير في خط الساحل للفترة 1973–2019						الإجمالي لنسبة التغير (%)
العام	1973	1987	1997	2006	2019	
نسبة التغير%	67	88	70	80	99	47

المصدر: من عمل الباحث اعتمادًا على تحليل الصور الفضائية بواسطة برامج GIS

[40] هشلة، امين (2019): التدهور البيئي لساحل مدينة المكلا وتحديات التنمية المستدامة مقاربة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية؛ والاستشعار عن بعد، المؤتمر العلمي الرابع 24–25 يوليو2019 لجامعة حضرموت، المكلا.

شكل رقم(6): تغيرات خط الساحل بمدينة المكلا 1973- مايو2019

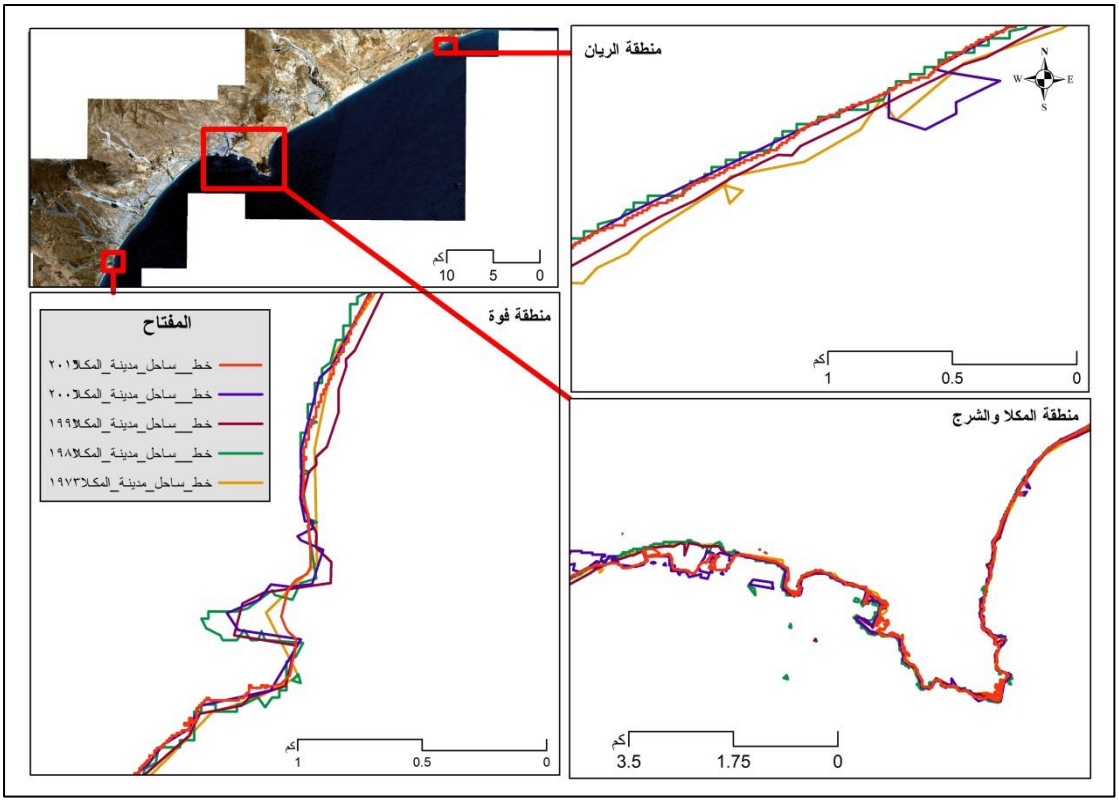

المصدر: من إنجاز الباحث بالاعتماد على برنامجي arcgis10.5، erdas imagin14

2. مدى تأثر ساحل مدينة المكلا وتغيره بارتفاع منسوب سطح البحر

اتضح من واقع التحليل المكاني للمرئيات الرادارية لساحل مدينة المكلا الموضحة بالشكل (7)، وكذلك الجدول رقم (2)، تفاوت تأثر الساحل لمدينة المكلا وتغيره بارتفاع منسوب سطح البحر. وتم التركيز على دراسة مناطق التغيير في تلك القطاعات، وهي المراوح الفيضية، والدلتاوات للأودية، والتي تمثل أكثر المناطق تراجعًا باتجاه الداخل، وتتسع مداخل خلجانها والأخوار بها.

جدول رقم (2) مؤشرات التراجع بالمتر في بعض المناطق من ساحل مدينة المكلا، في حالة ارتفاع منسوب سطح البحر من (1-5) م

ارتفاع منسوب البحر بالمتر	مناطق/أحياء			
	الريان	روكب وخلف	المكلا والشرج	فوه بن سيناء الشافعي
1	3352	2421	1135	3207
2	4442	3715	1848	4637
3	4612	3998	1540	4929
4	4726	4160	1646	4358
5	4614	4174	1235	3619

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على برنامج arc gis10.5

وبعد فحص الخرائط المشتقة لتلك المناطق المختارة، تم استخراج معدلات التراجع بها حسب ارتفاع منسوب سطح البحر المتوقع بمناسيب تتراوح من (1–5) أمتار، والممثلة في الجدول رقم (2) نستنتج الآتي:

1. **ساحل منطقة الريان**

تبدأ حدود هذا القطاع من وادي حويرة في الدلتا عند المطار إلى دلتا وادي بويش، والذي يتميز هذا القطاع من ساحل مدينة المكلا بأنه مستوٍ، ويبلغ طوله (22) كم، وأقصى ارتفاع يصل بـ(72) مترًا، ويتمثل في الهضبة الشمالية لمطار الريان، التي تبدأ في الانخفاض تدريجيًا كلما اتجهنا نحو الجنوب باتجاه البحر، يتخلل هذا القطاع بعض الأودية، أهمها وادي ريدة، الشجر، وادي فلك، ويتميز هذا القطاع بشاطئه الرملي الهش، المكوَّن من الرواسب الرباعية، هذا أدى إلى تراجع الساحل بمقدار 3352 مترًا في حالة ارتفاع منسوب البحر مترًا واحدًا، ويزداد التراجع ليبلغ ذروته عند ارتفاع المنسوب 4 أمتار ليصل 4726 مترًا، وعند ارتفاع المنسوب 5 أمتار يبدأ خط الساحل يتجه للانخفاض، هذا التراجع نتيجة لاختلاف التركيب الصخري، والذي يبدأ في التصلب كلما اتجهنا شمالًا ليصطدم بالمرتفعات الشمالية من هضبة حضرموت.

2. **ساحل منطقة بويش روكب وخلف**

أما في هذه المنطقة أو القطاع الذي يضم وادي بويش، وادي القاقين، ووادي الحرشيات، فيتصف هذا القطاع من ساحل مدينة المكلا بأنه أكثر صلابة، ويتميز بشاطئه الصخري وضيق المساحة المستوية التي تعلوها المرتفعات كلما اتجهنا شمالًا وغربًا، وقد بلغ تراجع خط الساحل عند منسوب مترٍ واحد 2421 مترًا، ويزداد التراجع ليبلغ ذروته عند منسوب ارتفاع 5 أمتار ليصل 4174 مترًا.

شكل رقم (7): صورة فضائية تبين التغيرات التي حصلت في خط الساحل 1987–2019

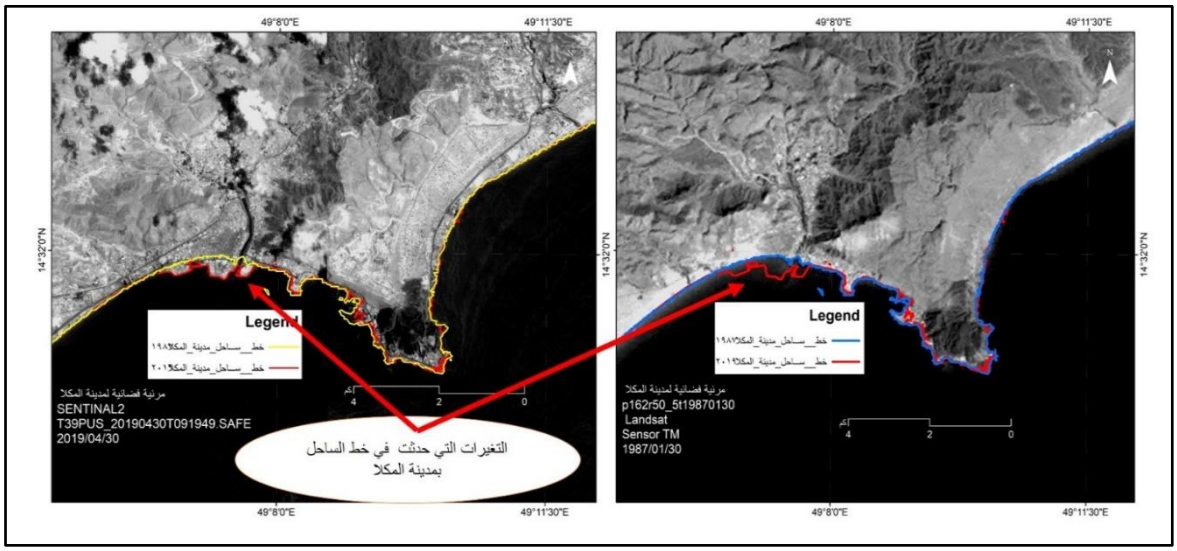

3. **ساحل منطقة المكلا والشرج**

يتميز هذا القطاع من ساحل مدينة المكلا بأنه المساحة الفاصلة بين مستوى البحر وأقدام سفوح الجبال القصيرة جدًا، ويتراوح الارتفاع بين (0–390) مترًا تقريبًا، وهذا القطاع الأكثر استغلالًا للأنشطة الاقتصادية المهمة؛ حيث يوجد الميناء والأرصفة البحرية الخاصة بالاصطياد البحري، وقد شهد في الآونة الأخيرة أعمال ردم وتوسعة تزامنًا مع إعادة تأهيل خور المكلا البحري عام 2005م، وقد أنشئت مراكز تجارية، مثل: الهايبر مول، وغيرها، واصطلح

تسمية هذه التوسعة بكبس العمودي، الذي يتصل مع الخور وهو امتداد لوادي الغليلة، والذي تم إعادة تأهيله؛ ليكون معلمًا سياحيًا وترفيها لمدنية المكلا، وساحة لعرض الأنشطة الترفيهية والثقافية والاجتماعية، وإحياء الموروث الثقافي للمدنية. هذا الجزء من الساحل عبارة عن شريط ضيق، وهو أقل القطاعات تغيرًا، عند منسوب 1–5 أمتار، مقارنة بالقطاعات الأخرى السالفة الذكر، فقد بلغ تراجع خط الساحل عند منسوب متر واحدٍ 1135 مترًا، ليصل 1848 عند منسوب 2 مترَيْنِ، ومن ثم وقف التراجع وبدأ بالانخفاض ليصل 1235 مترًا عند منسوب 5 أمتار، هذا التراجع العكسي نتيجة ضيق المساحة الأفقية لخط الساحل واصطدامه بالسلسلة الجبلية لجبال مدينة المكلا القديمة والشرج المكلا والشرج المكوِّنة للساحل الصخري في هذا المقطع من الساحل.

4. ساحل منطقة فوة (امبيخه – حلة)

يتميز هذا الجزء الغربي من ساحل مدينة المكلا بأنه أكثر اتساعًا، ويمتد على مسافة طويلة، ويغلب على تكوينه الأراضي الرملية؛ نتيجة لوجود مصبات الأودية، مثل وادي امبيخه، ووادي تفات، ووادي فوه (الخربة)، ووادي غرير، ووادي الخمر، ووادي الشياخين، ووادي حلة، حيث تعمل هذه الأودية على تجديد الرواسب النهرية في مناطق التقاء الوادي بالبحر أثناء مواسم الأمطار التي تشهدها المدينة بين الحين والآخر، ولاسيَّما عند التطرف المناخي، الذي يضرب المدينة بين الحين والآخر، كإعصار تشابالا 2015م، وإعصار ميج 2015م، وإعصار لبان 2018م[41].

هذا القطاع شهد حراكًا تنمويًا واسعًا، وإنشاء مخططات حضرية جديدة، وخاصة مع تركز بعض القطاعات الخدمية في هذا الجزء، مثل جامعة حضرموت، ومستشفى ابن سيناء، وصالة العروض الواقعة على خط الستين. ويتراوح الارتفاع عن سطح البحر من (0 – 500) متر، وهو عباره عن أراضٍ وكثبان رملية، تتخللها بعض الأودية المذكورة أعلاه، التي تصب في البحر.

وهذا القطاع من أكثر القطاعات تغيرًا عند منسوب متر واحدٍ وصل 3207 متر ليبلغ ذروة التراجع نحو 4929 مترًا، وذلك عند منسوب ثلاثة أمتار، هذا التراجع بدأ في الانحسار والهبوط ليصل 3619 عند منسوب خمسة أمتار، وتعزى أسباب هذا الهبوط والانحسار لطبيعة تركيب القشرية الأرضية، ونوع الصخور التي تأخذ في الصلابة كلما اتجهنا نحو الشمال الغربي شمالًا من خط ساحل البحر.

[41] المحمدي، وبارشيد: الأعاصير وأثرها في ساحل حضرموت، مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية، العدد 1، المجلد 14 جامعة حضرموت، يونيو 2017م.

شكل رقم (8): مؤشرات التراجع بالمتر في بعض المناطق من ساحل مدينة المكلا
(في حالة ارتفاع منسوب سطح البحر من 1 حتى 5 م)

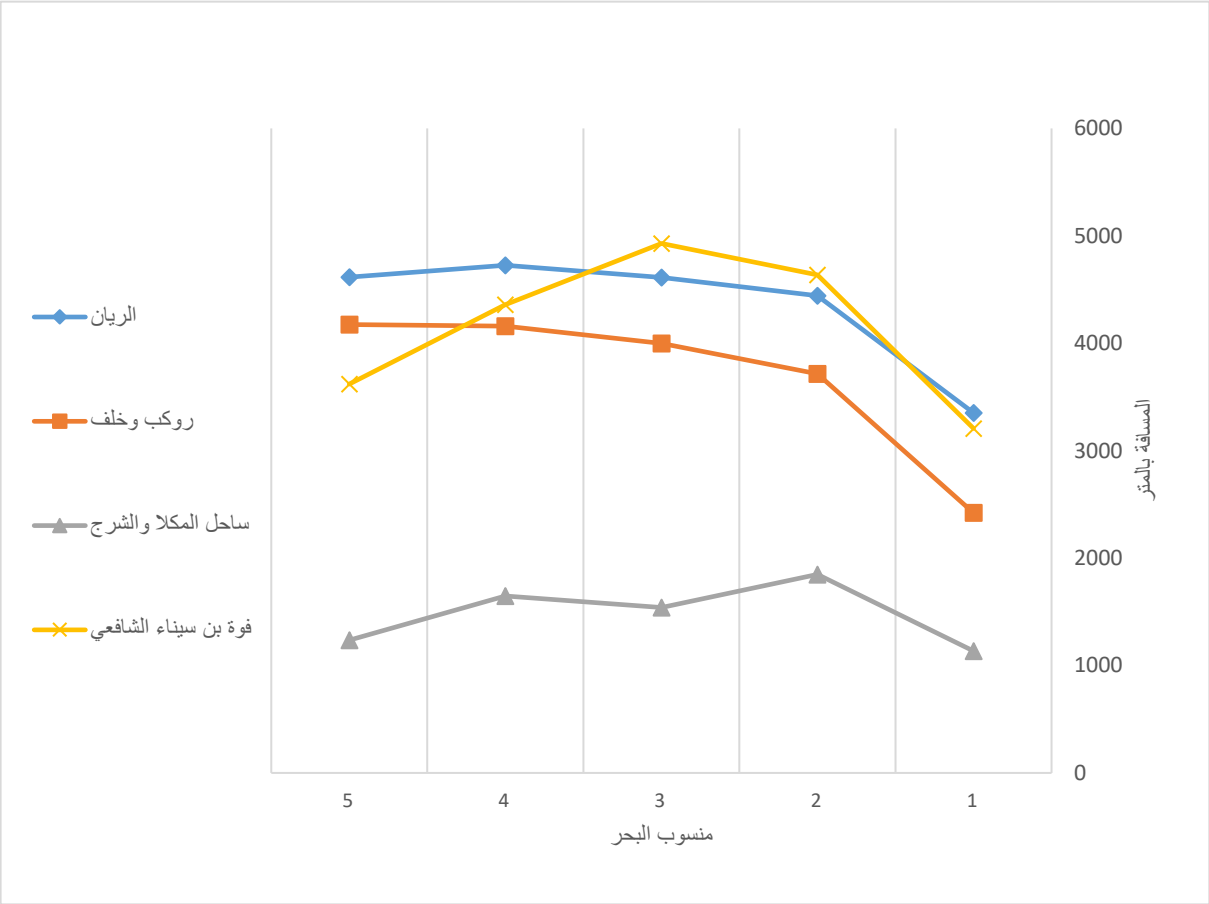

المصدر: من عمل الباحث اعتمادًا على برنامج arc gis10.5

شكل رقم(9): خطوط الساحل المتوقعة لبعض مناطق مدينة المكلا

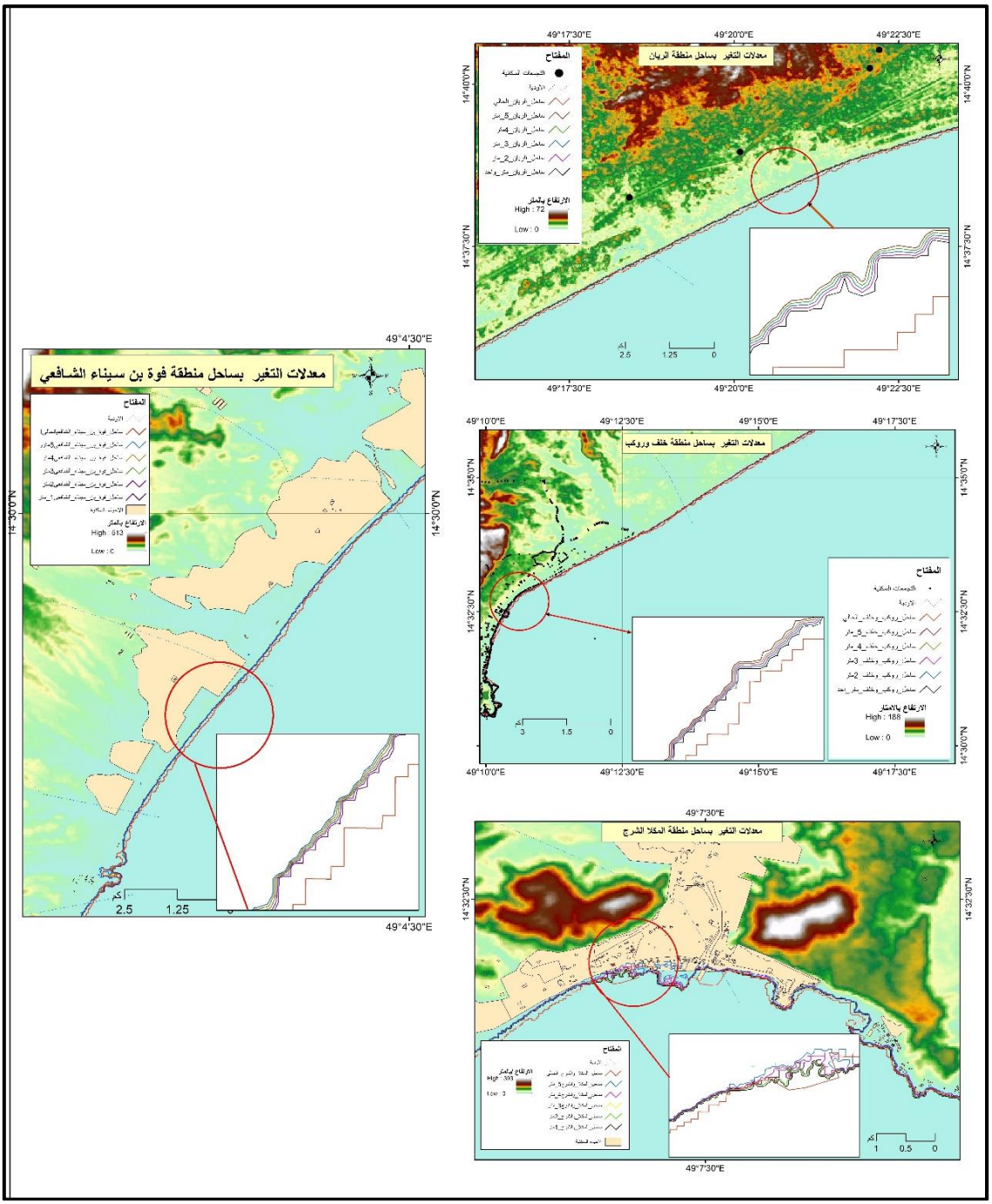

المصدر: من عمل الباحث اعتمادًا على برنامج arc gis10.5

3. سيناريوهات المناطق المعرضة للغرق في حالة ارتفاع منسوب البحر من 1-5 أمتار.

تتعرض مدينة المكلا بين الحين والآخر إلى تطرفات مناخية غير عادية، وبالتالي حدوث منخفضات جوية على البحر العربي والمحيط الهندي، والذي يمتد تأثيرها إلى السواحل اليمنية وخاصة الواقعة على بحر العرب وخليج عدن، مما يؤدي إلى حدوث أمطار غزيرة مصحوبة بعواصف رعدية، وفي الآونة الأخيرة تكررت هذه المنخفضات الجوية الممطرة، فقد شهدت اليمن تقلبات مناخية خلال الفترة 2008-2019م، كان أولها الفيضانات التي حدثت في23 أكتوبر 2008م نتيجة العاصفة المدارية القادمة من البحر العربي، وضربت محافظات شبوة وحضرموت ساحلًا ووواديًا، ثم تتالت هذه المنخفضات الجوية لتشهد المدن الساحلية لليمن، وخاصة المكلا ومحافظة المهرة فشهدت إعصار تشابالا3 نوفمبر2015، وإعصار ميج 6 نوفمبر2015م، وإعصار لبان الذي ضرب سواحل المهرة وحضرموت وشبوة في 14 أكتوبر 2018.

صورة رقم (2): الفيضانات تجتاح مدينة المكلا في إعصار شابالا2015

المصدر:
https://images.alwatanvoice.com/news/large/9998645310.jpg
https://voiceofbeladynews.com/temp/resized/medium_2018-10-19-de8e097178.jpg

تسببت هذه الأعاصير في تدفق السيول بشكل كبير، طغى على الطاقة الاستيعابية لمجاري الوديان، في ظل وجود العوائق في بطون الأودية، مثل أشجار السيبان، ومخلفات المباني، والتوسع العمراني على حساب مجرى الوادي، أدى ذلك الى انجراف التربة الزراعية، وتدهور الأراضي الزراعية. بعض هذه الأودية تصب في اتجاه البحر وخاصة أودية حضرموت الجنوبية التي تصب في البحر، مثل وادي حجر، وادي حلة، وادي فوه، وادي امبيخة، وادي العيقة، الذي يتصل بالخور في وسط مدينة المكلا الشرج، وادي بويش وغيرها.

جدول رقم (3): المساحات المعرضة للغمر بساحل مدينة المكلا(في حالة ارتفاع منسوب سطح البحر من 1 حتى 5 م)

مستوى ارتفاع البحر/ بالمتر	المساحة/كم^2	
	اليابسة	المغمورة
منسوب 1 متر	310.40	1.43
منسوب 2 متر	309.46	2.38
منسوب 3 متر	306.76	5.07
منسوب 4 متر	300.24	11.59
منسوب 5 متر	292.03	19.81

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على برنامج arc gis10.5

وبالتالي تعمل هذه السيول على زيادة منسوب مياه البحر، مما يرفع من وتيرة الفيضانات ويفاقم المشكلة، في ظل غياب خطة الطوارئ الاحترازية لمواجهة أخطار الفيضانات، وعدم صيانة مجاري الأودية، وتنظيفها من المعيقات، مثل أشجار السيسبان ومخلفات المباني... إلخ.

ويعد نظام المعلومات الجغرافية من التقنيات الحديثة التي تساعد في عمل تنبؤات بمخاطر الفيضانات وفق سيناريوهات وافتراضيات معينة، والنتيجة لهذا العمل تكمن في تحديد الأماكن المعرضة للغرق والخطيرة في مواسم الفيضانات، وبالتالي تساعد هذه التقنية وتوجه المسؤولين في الدفاع المدني إلى إخلاء هذه المناطق من السكان أثناء مواسم الفيضانات كخطة احترازية لحماية المواطنين والممتلكات العامة.

في هذا الدراسة قمنا بعمل سيناريو للتعرف على المناطق المعرضة للغرق وذلك لزيادة منسوب مياه البحر، ومجاري الأودية نتيجة الفيضانات الموسمية.

وقد كانت النتيجة كما في الجدول رقم (3) والشكلين رقم (10)، حيث تفاوتت مناطق الغرق من مكان لآخر وذلك حسب طبيعة التكوينات الجيولوجية وتضاريس المنطقة، وكانت مصاب الأودية وأماكن التقاء مياه البحر بالوادي هي الأكثر تعرضًا للغرق بسبب طبيعتها الهشة، وقد بلغت مساحة المناطق المعرضة للغرق عند مستوى (5) أمتار حوالي (6%) من إجمالي مساحة مدينة المكلا. وأكثر المناطق تأثرًا كما يوضحه الشكل رقم (11) مناطق الريان، وفوه، وامبيخة، وحلة، حيث يتخلل هذه المناطق عدد من الأودية التي تصب في البحر.

شكل رقم (10): سيناريوهات المناطق المعرضة للغمر بمياه البحر عند ارتفاع المنسوب 1-5 أمتار

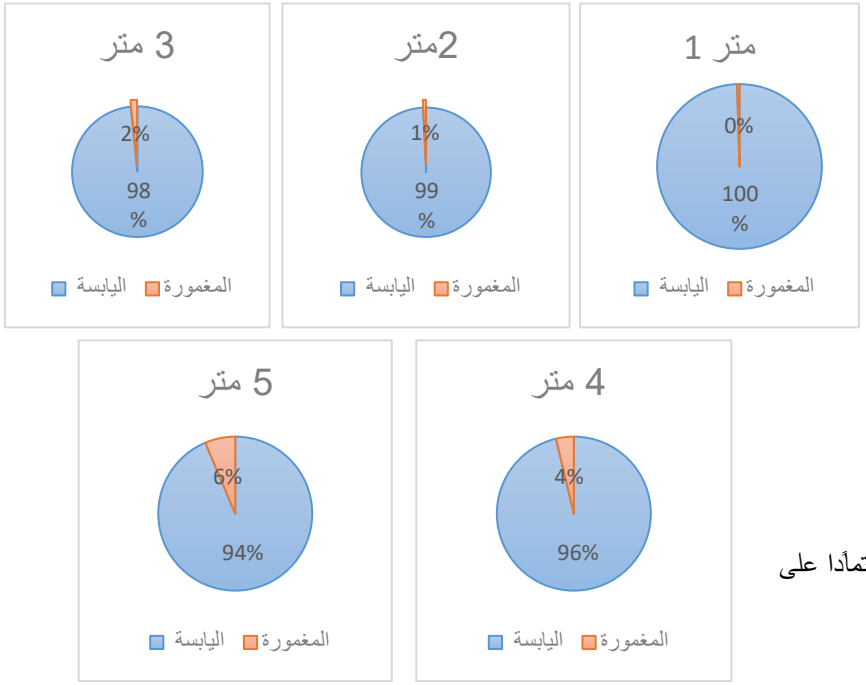

المصدر: من عمل الباحث اعتمادًا على برنامج arc gis10.5

شكل رقم (11): سيناريوهات المناطق المعرضة للغمر بمياه البحر عند ارتفاع المنسوب 1-5 متر

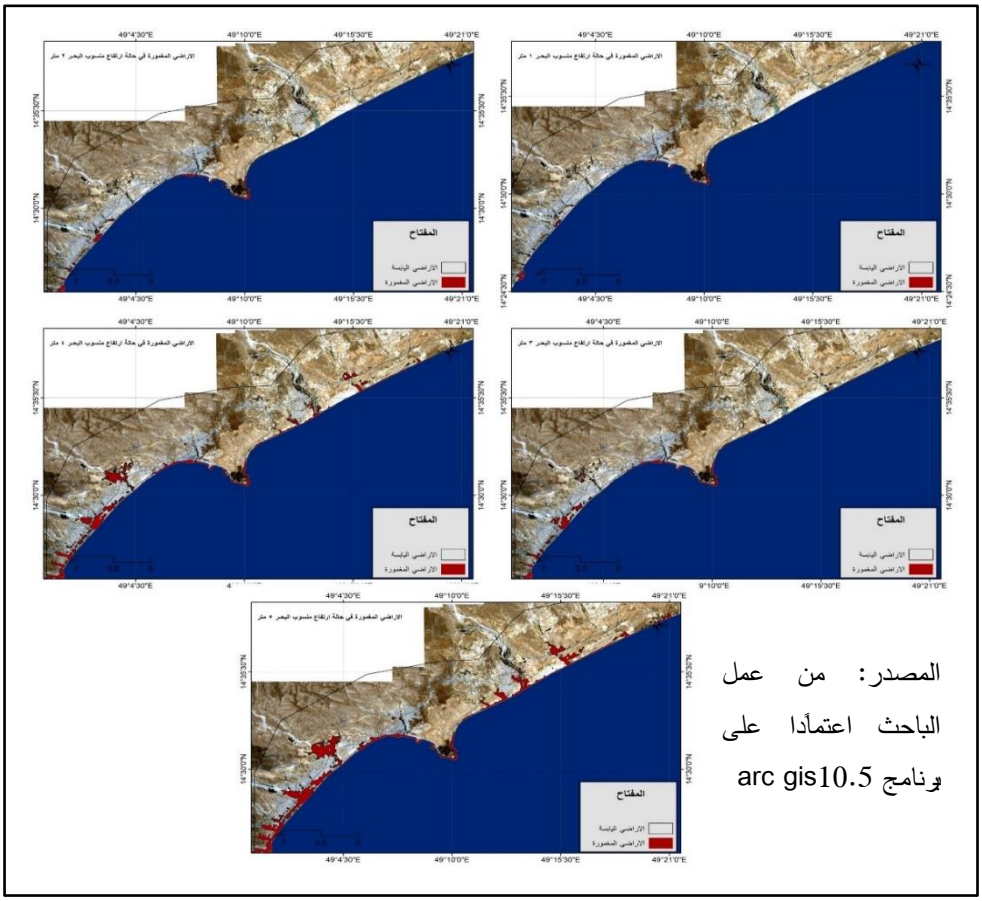

المصدر: من عمل الباحث اعتمادًا على برنامج arc gis10.5

صورة رقم (3) آثار الفيضانات والأعاصير التي ضوبت سواحل مدينة المكلا

المصدر

https://m.youtube.com/watch?v=6pDlg36Iavw#menu

رابعًا: التوصيات

1. توصي الدراسة بتكثيف الجهود في مجال دراسة السواحل؛ إذ اتضح للباحث مدى الحاجة العاجلة للدراسة التفصيلية والدقيقة لبعض قطاعات السواحل في المحافظات اليمنية، وخاصة الواقعة على خليج عدن والبحر العربي، نظرًا لتكرار المنخفضات الجوية والعواصف المدارية.
2. الاستفادة من هذه الدراسة الجزئية، وتبنيها كنواة لعمل جماعي، تشكيل فريق من المختصين في الجيولوجيا، الجغرافيا، والبيئة، وعلوم البحار لدراسة التغيرات على السواحل اليمنية بشكل أوسع وأعم، والاستفادة من التقنيات الحديثة في هذا المجال.
3. ضرورة إنشاء وحدة الإنذار المبكر من أخطار الفيضانات والأعاصير في محافظة حضرموت، والتي مهمتها مراقبة السواحل الواقعة على خليج عدن والبحر العربي محافظات شبوة وحضرموت والمهرة وسقطرى، وتزويدها بالوسائل الحديثة والتجهيزات، وتدريب الكادر القادر على التعامل مع هذه الأجهزة واستخدامها بشكل سليم.

4. تفعيل قانون أراضي وعقارات الدولة، والخاص بتحديد الحدود العامة للأودية، وعدم السماح بالاعتداء والبناء في بطون الأودية، ومراقبة ذلك باستمرار وتطبيق القوانين الرادعة للمخالفين.
5. إن تغير المناخ أصبح حقيقة واقعة، وأن زيادة منسوب سطح البحر هي نتيجة حتمية، وإن اختلفت توقعات الارتفاع، وهنا يجب على الباحثين في مجال العلوم البحرية والجغرافية والدراسات البيئية مضاعفة الجهود، والتنسيق فيما بينهم كل في مجاله، لتقليل الأخطار الناتجة عن ارتفاع منسوب سطح البحر.
6. يجب إنشاء قاعدة بيانات جغرافية للرصد المنتظم لمستوى سطح البحر، ومتابعة العواصف، وحركة التيارات البحرية وملوحة التربة، ودرجات الحرارة الساحلية والعوالق النباتية، والتعرية الساحلية، وأن تكون متاحة للباحثين في هذا المجال.
7. مطالبة الجهات المختصة على المستوى الوطني، لزيادة الثقافة التوعوية والإرشادية بخطورة التغيرات المناخية
8. الاهتمام بظاهرة التغير المناخي من خلال تشجيع الدراسات والبحوث، وإقامة الندوات والمؤتمرات، التي تعتني بهذه الظاهرة.

المراجع:

بارشيد، محمد عوض. (2005). *جيومرفولوجية ساحل حضرموت*. رسالة ماجستير الآداب في الجغرافيا، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة النيلين، جمهورية السودان.

الجمهورية اليمنية، رئاسة مجلس الوزراء، محافظة حضرموت. (2008). *إنجازات حاضرة لتنمية مستدامة 2003 -2008*.

جودة، جودة حسنين. (1996). *قواعد الجيومورفولوجية العامة*. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية

صبيح، عمر عوض. (1995). *بعض الخصائص الطبيعية وتأثيراتها على البيئة البحرية*، بحث مقدم إلى مركز أبحاث علوم البحار والموارد البحرية، عدن.

عبد الفتاح البنا. (2009). مواجهة آثار التغيرات المناخية المرتقبة على المدن التراثية الساحلية في مصر، *مؤتمر التغيرات المناخية وأثارها في مصر*. شركاء التنمية القاهرة، 2-3 نوفمبر 2009.

لوتجنز، تاربوك. (1984). *الأرض – مقدمة للجيولوجيا الطبيعية*. تر. عمر سليمان حمودة وآخرون.

محمد، سعد جاسم وياسين عواد الدليمي. (2002). *أساسيات علم الجيومورفولوجية*. الدار العلمية الدولية، الطبعة الأولى – عمان.

المحمدي، عمر. (2012). *مدينة المكلا واقليمها الوظيفي (دراسة في الجغرافية الحضرية)*. أطروحة دكتوراه، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة عدن

المحمدي، وبارشيد: الأعاصير وأثرها في ساحل حضرموت. *مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية*. العدد 1، المجلد 14 جامعة حضرموت، يونيو 2017.

هشلة، أمين. (2019). التدهور البيئي لساحل مدينة المكلا وتحديات التنمية المستدامة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد. *المؤتمر العلمي الرابع 24-25 يوليو2019 لجامعة حضرموت*. المكلا

يوسف شريف، علي البلوشي. (2014). مؤثرات التغير المناخي على مورفولوجيا الساحل العماني، *المجلة الجغرافية العربية*، العدد64 الجزء الثاني.

يوسف، عبد الحكيم محمد. (2000). *بعض الظواهر الجوية المؤثرة في تشكيل مناخ اليمن*. بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة.

المراجع الأجنبية:

Azaz, L. (2012). Using GIS and remote sensing to map coastline changes of Wedam_Alsahel area, Batinah, Oman between 1998 and 2008. *the 33rd Asian Conference on Remote Sensing*, Thailand.

European Environment Agency (2005). *Vulnerability and Adaptation to Climate Change in Europe*. EEA Technical Report No.,7/2005*Geological Map of Eastern Aden Protectorate compiled by Z.R. Beydoun*

Mangor, K. (2004). *Shoreline Mangement Guidelines, DHI Water & Environment*. Hersholm, Denmark.

Nguyen, P. K. (2009). *Climate change and Sea level rise scenarios*. Ministry of Natural Resources and Environment. Hanoi, Vitnam.

مواقع إلكترونية

https://images.alwatanvoice.com/news/large/9998645310.jpg
https://m.youtube.com/watch?v=6pDlg36Iavw
https://m.youtube.com/watch?v=6pDlg36Iavw#menu
https://m.youtube.com/watch?v=hwK660LzU2c
https://voiceofbeladynews.com/temp/resized/medium_2018-10-19-de8e097178.jpg

SHU Journal for Humanities and Applied Sciences
Volume 1, Issue 1, June 2023, pp.60-87
https://shu.edu.ye

مجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية
المجلد الأول، العدد الأول، يونيو 2023، ص60-87

The Impact of Climatic Changes on the Coast of Mukalla City, Hadramout Governorate: Using Technologies of Geographic Information Systems

Ameen Abdulqader Heshlah
Asst. Prof. of maps and GIS
Dept. of Social Sciences, College of Education – Mukalla, Hadhramout University

Abstract
Climate change is currently one of the most serious natural challenges facing the world. Several factors have contributed to climate change; causing huge amounts of ice to melt and resulting in sea level rise that worries costal countries. To this end, the researcher selected Mukalla as a case study of climate change impact on the morphology of its coastline which extends about 63 km on the Gulf of Aden Sea. This paper aims to use GIS and remote sensing to develop a future vision of the shape of the coast of Mukalla in case the sea level increases from one meter to five meters, and what neighbourhoods are subject to flooding with sea water. The spatial analysis of digital elevation data (DEM) shows that the coast of Mukalla has witnessed a 47% change during the period 1973 - May 2019. The coast line will also change significantly if the sea level increases from one meter to five meters. Geological structure and topography of the coast will determine the amount of change. The places that will be immersed in sea water are mostly the areas where sea meets valleys in the neighbourhoods of Rayyan, Buish, Khor Mukalla and Fouh.

Paper Information
Received:19.03.2023
Accepted:21.05.2023

Keywords
climate change, GIS and remote sensing

تأثير الحرارة والرطوبة وفترة الخزن في بعض أصناف الذرة الرفيعة Sorghum Bicolour (L) Moench والفطريات المصاحبة لها في بعض مديريات محافظة أبين

د. هدى أحمد محسن عبدالله
قسم الوقاية، كلية ناصر للعلوم الزراعية، جامعة لحج

د. سالم محمد علي الصملة
قسم الأحياء، كلية التربية – عتق، جامعة شبوة

د. ياسر الخضر ناصر حسين
قسم الأحياء، كلية التربية – لودر، جامعة أبين

الملخص

نفذت هذه التجربة في مختبر مركز بحوث الأغذية وتقنيات ما بعد الحصاد بخور مكسر في عدن خلال موسمي (2020/2019م و 2021/2020م)؛ لمعرفة تأثير حرارة المخزن ورطوبته وفترة الخزن على أعفان بذور صنفي (سنيسلة وبيني) من الذرة الرفيعة، في أوعية خزن بلاستيكية (دبب زيت الطعام)، الأوعية الشائعة الاستخدام، حيث خزنت العينات في غرفة من البردين تحتوي على نوافذ تهوية (إحدى مخازن الحبوب لدى الباحث بمديرية لودر بمحافظة أبين)، ولقد خزنت البذور المدروسة للموسمين عند متوسط درجة حرارة خزن ومتوسط رطوبة نسبية في المخزن (24.7 – 30.3مْ) و(40–44.7%) على التوالي، ومن ثم تم فحصها مختبريًا كل ثلاثة أشهر، خلال (3، 6، 9،12 شهرًا) بعد الخزن للموسمين، وحللت النتائج إحصائيًا للتجربة باستخدام التصميم العشوائي التام في أربعة مكررات لكل معاملة، وتشير نتائج الدراسة زيادة محتوى البذور من الفطريات بزيادة مدَّة الخزن للموسمين؛ إذ بلغ عدد الخلايا الفطرية AspergillusflavusAspergillusniger, Penicilliumsp, بعد (3 أشهر) (1000,1052خلية/جم بذور) للصنفين على التوالي، وبعد (6 أشهر) بلغت (1350,1418خلية/جم بذور) للصنفين على التوالي، وأصبح بعد (9 أشهر) (2210,2301 خلية/جم بذور) للصنفين على التوالي، وبعد (12 شهرًا) أصبح (2350,2676 خلية/جم بذور) لكلا الصنفين على التوالي، وكان صنف البيني أقل محتوى فطري من صنف السنيسلة.

معلومات البحث
تاريخ الاستلام:
2023.03.20
تاريخ القبول:
2023.05.21

الكلمات المفتاحية
أجناس فطريات التخزين، أصناف الذرة الرفيعة، ظروف بيئية

1. المقدمة Introduction:

تنتمي الذرة الرفيعة إلى العائلة النجيلية (*Graminae*) والاسم الجديد (*Poaceae*) وإلى جنس *Sorghum* ويحتوي على طرز عدة، هي: (ذرة الحبوب، ذرة المكانس، الذرة الرفيعة السكرية، وحشيشه السودان) (المجاهد,1986,86)، ويزرع في الجمهورية اليمنية عدد من الأصناف تتبع هذا الجنس، وأهمها: البيني، الصيفي، الغربة، البكر، الزعر، السنيسلة البيضاء والحمراء، الحيمر الأبيض والأحمر، الذرة ، الصومي، أبو علي، الرباب، الغنيمي، با حمار، باقوير، الرباط، باعبيد، الكوري، العوبلي، التيمي والمنزلة، وهي أصناف

©2023 SHABWAH UNIVERSITY JOURNAL

تتميز بطول مدَة النضج، وكذا طول النبات، (المجاهد,1986,86)، كما أشار (السقاف,2002,200) إلى الأصناف: الجراعة، المنزلة، الغربة، السفاري، الذرة الصنعاني والذرة الحمراء.

وتُعَدُّ حبوب الذرة الرفيعة من أهم محاصيل الحبوب؛ كونها تستعمل في معظم المناطق الريفية، وعلى وجه الخصوص المناطق المتوسطة الارتفاع والمرتفعة (الجبلية)، وفي جزء لا يستهان به في المناطق الساحلية من المناطق الجنوبية والغربية، ويقل استعمالها الغذائي في العواصم والمدن الريفية الكبرى؛ إذ تأتي في المرتبة الثالثة بعد الأرز، ودقيق القمح (نعمان,2014م,137-164).

وقد أشار المسح التشخيصي الذي قام به (صقران,2001م,79) من محطة الأبحاث الزراعية بالكود خلال العام 2000/1999 إلى أهمية زراعة الحبوب من المناطق المتوسطة الارتفاع من محافظة أبين (مديرية لودر, مودية, الوضيع)؛ إذ تحتل محاصيل الحبوب المرتبة الأولى في منطقة الدراسة، وتعود زراعة الحبوب إلى الزمن الماضي البعيد في تلك المناطق؛ إذ إن غالب سكانها يعدون الحبوب غذاءهم الرئيس، وقد بلغت المساحة المزروعة من الحبوب في م/أبين حوالي (3114) هكتارًا، محققة حوالي (3412) طنًا من الحبوب.

وبلغ إنتاجية اليمن من الذرة الرفيعة (412) ألف طن عام (2013)، وبحسب إحصائية وزارة الزراعة بلغت المساحة المزروعة من المحصول (460) ألف هكتار، وجاءت محافظة الحديدة في المركز الأول في إنتاج الذرة الرفيعة، تلتها حَجَّة، ثم عمران (كتاب الإحصاء الزراعي2013م، 3-46). وتعد الذرة الرفيعة نموذجًا لنباتات المنطقة الاستوائية الممطرة صيفًا، فهي تحتاج إلى حرارة عالية لكي تنمو جيدًا؛ إذ تتراوح درجة الحرارة المثلى بين (27-28 مْ)، كما أنها تتميز بقدرة عالية على مقاومة الحرارة مقارنة بالمحاصيل الأخرى. وتتباين الأصناف من حيث احتياجاتها المائية، وللحصول على أعلى محصول تكفي كمية أمطار تتراوح بين (500-600 ملم). تنمو الذرة الرفيعة في الأراضي الرطبة، وتتميز كثير من أصنافها بدرجة مقاومة عالية للبرودة والجفاف، وترجع مقاومتها للجفاف إلى انخفاض معدل النتح وغزارة المجموع الجذري وتعمقه في التربة، فضلًا عن الكفاءة العالية في تبادل العناصر المغذية والتوقف المؤقت عن متابعة النشاط الحيوي تحت الظروف غير الملائمة للنمو (السيد,2006م,99)، (الشبيحي,2001م,132).

تصيب فطريات الأعفان ومنها: *Penicillumsp , Aspergillusniger, Aspergillusflavus* مدًى واسعًا من العوائل النباتية، ومنها العائلة النجيلية *Poaceae*، وتحدث أضرارًا للثمار والأوراق والجذور، مسبِّبةً أعفان البذور في المخازن (Agrios, 2005, p.57).

وتعمل الفطريات التي توجد على البذور في أثناء تخزينها على تدهور حيويتها، وصفاتها الأخرى، ولقد قام عدد من الباحثين بدراسة التغييرات الكيميائية التي تحدث في البذور المصابة بالفطريات فجدوا زيادة في سرعة التنفس، وزيادة في الأحماض الدهنية، ونقصًا في السكريات المختزنة نتيجة الإصابة بالفطر، ومن أهم أنواع الفطريات جنس *Penecilliumsp,Aspergillussp,Rhizopussp* على حبوب الذرة غير أنها لا تكون مشكلة في التخزين للاحتياجات المرتفعة من الرطوبة للفطر، ولتجفيف حبوب الذرة قبل تخزينها لدرجة لا تسمح لنمو الفطر (ميخائيل،2000م)، وتعد الفطريات من جنس *Aspergillussp* من الفطريات الشائعة ومن أهمها الفطرين *A.niger ,A.flavus*، ونموهما على المواد الغذائية يؤدي إلى تعفنهمـــــا (Saleemulla.,et.al. (2006.98).

إن فساد الحبوب المخزونة بفطريات العفن *Aspergillussp, Penicilliumsp* يجعلها غير صالحة للاستهلاك الآدمي أو الحيواني أو حتى استعمالها كبذار (رويشد, وآخرون, 2001م، 70-74).

وتبلغ درجة الحرارة الصغرى لنمو فطريات التخزين (5مْ)، وتتراوح الدرجة المثلى بين 30-35مْ (Sharon.,et.al.2002,257)، وتنمو فطريات التخزين ببطء شديد عند درجات حرارة من 12-15مْ (ميخائيل,1992,47)، وعند وضع البذور على درجة حرارة حوالي (20مْ) فإن الرطوبة النسبية في الجو يجب ألا تزيد عن (60%)، في حين درجه الحرارة من (4-10مْ) التي تكون مناسبة لتخزين غالب أنواع البذور، ولا بد من بقاء الرطوبة النسبية على مستوى يفضل أن يكون (50%) ولا يزيد عن (70%) (نيرجارد,95,1995).

وجد (ميخائيل,17,1992) و(Sharon.et.al.2002,257) أن الفطريات التي تنمو على الحبوب بعد تخزينها أن غالبها يستطيع النمو دون توفر رطوبة عالية، وتنتمي أغلب تلك الفطريات إلى الأجناس *Aspergillussp,Penicillumsp,Fusariumsp*، وتوجد على هيئة ميسيليوم كامن داخل أنسجة القصرة. تنمو فطريات التخزين عند محتوى رطوبي متوازن مع الرطوبة النسبية في المخزن، التي تتراوح بين (65-90%)، ويسمح هذا المدى بنمو أنواع مختلفة من (*Aspergillus* ,*Penicillum*) ((Sharon.et.al.2002,104).

لهذا تهدف الدراسة لمعرفة تأثير مدة الخزن على حيوية إنبات بذور صنفي الذرة الرفيعة (سنيسلة وبيني)، والمحتوى الفطري المصاحب لها في ظروف المخزن.

2. مواد البحث وطرقه Materials and Methods:

1.2. موقع تنفيذ التجربة ومدتها:

زرعت نباتات تجربة لصنفي الذرة الرفيعة (سنيسلة وبيني) للموسم الأول في شهر يونيو2019، وتم الحصاد بشهر سبتمبر 2019، وتمت فترة التخزين من شهر أكتوبر 2019 إلى شهر سبتمبر2020، وتمت زراعة الموسم الثاني في شهر مايو 2020، وتم الحصاد بشهر سبتمبر 2020م، وتمت فترة التخزين من شهر أكتوبر 2020م إلى شهر سبتمبر2021. زرع المحصول بمياه الأمطار، والغرض من التخزين هو استخدام البذور للتقاوي.

خزنت العينات في أوعية خزن بلاستيكية (دبب زيت الطعام)، الأوعية الشائعة الاستخدام، ثم خزنت العينات في غرفة من البردين تحتوي على نوافذ تهوية (إحدى مخازن الحبوب لدى الباحث بمديرية لودر في محافظة أبين). لقد تم خزن الحبوب المدروسة لموسم 2020/2019 عند متوسط درجة حرارة مخزنية (24.7مْ)، ومتوسط رطوبة نسبية في المخزن (40%)، وكذلك موسم 2021/2020 عند متوسط درجة حرارة(30.3مْ)، ومتوسط رطوبة نسبية في المخزن (44.7%).

2.2. أخذ عينات البذور للفحص:

حددت عينات الدراسة (200-400) بذرة لكل مكرر بصورة عشوائية حسب توصيات الجمعية العالمية لفحص البذور وفقًا للقواعد الدولية لفحص البذور (ISTA,1976,3-28). وقد استعمل قلم العينات للأوعية المعدنية والبلاستيكية.

3.2. أدوات مختبرية:

أطباق بتري بلاستيكية، شرائح زجاجية، أغطية شرائح، أنابيب اختبار (pyrex)، حامل أنابيب، دوارق زجاجية (500مل)، ورق نشاف، ماء مقطر، ورق ترشيح، ورق ألمنيوم، سدادات فلين، قنينات زجاجية ملونة.

4.2. الأجهزة المختبرية:

جهاز قياس الرطوبة والحرارة (Temperature andThermo hygrograph) Humidity إنتاج شركة هندية (Readmell touch)، ميكروسكوب، أوتوا كلاف (جهاز تعقيم بالبخار تحت ضغط 15 رطل/ بوصة مربعة) Autoclave, حضانة Incubator.

5.2. البيئات الغذائية المستخدمة للفحص الميكروبيولوجي:

في هذه الدراسة تم استعمال البيئات الغذائية مسحوق جاهز من إنتاج شركة هندية (Haimedia)، وتتكون هذه البيئات من: – البيئة المستعملة للفطريات PotatoDextroseAgar(PDA) وهي مكونة من: 20 gm Potato,Dextrose 20gm Agar,250gm ماء مقطر 1000 ml.

6.2. تحضير بيئة PDA:

وضعت (39gm) من البيئة الغذائية المستخدمة في لتر ماء مقطر، في دورق زجاجي بيركس (500 مل)، وسد فوهة الدورق بورق ألمنيوم، ثم وضعت في (أوتوا كلاف) حتى درجة 121مْ، وتحت ضغط 15 رطلًا / بوصة مربعة للأوتوكلاف لمدة 15 دقيقة، وبعد التعقيم حفظت البيئة في الثلاجة إلى حين الاستعمال، بعد إسالتها، وتبرد إلى درجة 45مْ.

7.2. رصد درجة حرارة والرطوبة للمخزن:

لقد تم قياس الرطوبة والحرارة يوميًا صباحًا ومساءً بواسطة جهاز (Thermohygrograph) في المخزن، ثم أخذ متوسط درجة الحرارة والرطوبة للمخزن كل ثلاثة أشهر (12,9,6,3) لمدة عام من مدّة الخزن، وكان متوسط درجة الحرارة في المخزن يتراوح بين (24.7–30.3مْ)، ومتوسط الرطوبة النسبية في المخزن يتراوح بين (34%–44.7%) للموسم الأول، وفي الموسم الثاني كان متوسط درجة حرارة المخزن (30.3–30.4 مْ)، ومتوسط رطوبة المخزن (28.7%–44.7%).

8.2. طريقة العمل:

جمعت عينات من صنفي الذرة الرفيعة ـــ (سنيسلة، بيني*Sorghum bicolor*) على أساس وزن العينة الواحدة (60 كجم) من صنفي (سنيسلة، بيني) من منطقة الدراسة مديرية (لودر، مودية، الوضيع) بمحافظة أبين، وبلغ وزن جميع العينات لجميع المعاملات بـ(120كجم)، وتم تخزين بذور صنفي سنيسلة والبيني من الذرة الرفيعة الشائعة زراعيًا لمدة عام كامل لموسمين، وتم فحصها كل ثلاثة أشهر الفحوصات المختبرية (المحتوى الفطري خلية/جم للبذور)، تحت ظروف بيئية موحدة حرارة، رطوبة، وتتضمن الفحوصات أربعة مكررات لكل صنف، تمت الفحوصات المختبرية (المحتوى الفطري) في مختبر مركز بحوث الأغذية وتقانات ما بعد الحصاد خور مكسر/ عدن.

9.2. العد الكلي للمحتوى الفطري:

استخدمت طريقة العد الكلي للمحتوى الفطري بحسب الطريقة التي وصفها (Refai, 1979, p.39).

1-عُقِّمت الأدوات الزجاجية في فرن كهربائي عند درجة حرارة 150-160مْ لمدة ساعة.
2- أخذ لكل تكرار (100) حبة لكل مكرر بعد تطهيرها سطحيًا باستعمال الماء المقطَّر المعقم ولمدة 3-5 دقائق.
3- زرعت البذور على ورق نشاف الترشيح، في أطباق بتري قطر (25 سم) بمعدل.
4- للحصول على تخفيف أولي 10:1، أضيف 9 مل ماءً مقطرًا إلى (1جم بذور) من أوعية الخزن، وكررت أربعة مكررات لكل فحص، بحيث وضعت البذور المستهدفة للفحص من كل معاملة في أربعة أنابيب اختبار.
5- رجت الأنابيب جيدًا، ثم تم نقل من كل أنبوبة (1مل) بواسطة ماصة معقمة إلى أنبوبة أخرى، تحتوي (9 مل) ماءً معقمًا، تكررت هذه الخطوة مراتٍ عدَّةً، حتى حصل على تخفيفات عدَّة (10^{-1}-10^{-4},10^{-2},10^{-3},).
6- عُقِّمت الأطباق البتري، ووضعت بها 10 مل من البيئة الغذائية المسالة، ثم تركت لتبرد إلى درجة (45مْ) للفطريات Potato Dextrose Agar, وأضفنا لكل طبق بتري (1 مل) من العينات المخففة (10^{-1}-10^{-4},10^{-2},10^{-3},) والمستهدفة للفحص.
7- خُلطت محتويات كل طبق (البيئة الغذائية والتخفيف) بتحريكه للأمام وللخلف تحريكًا دائريًا، وبعد ذلك تركت حتى يتصلب.
8-وضعت الأطباق في حضانة وهي مقلوبة، عند درجة حرارته (22-28مْ) درجة مئوية، وعادة كانت مدة التحضين (3-10) أيام للفطريات.
9- تم اختيار التخفيف المناسب الذي تظهر فيه عدد من المستعمرات تتراوح بين 20-200 مستعمرة في الطبق الواحد وعدها، وقسم الطبق البتري على أربعه أقسام بخطين متعامدين؛ وذلك حتى لا يتم التداخل في عد الخلايا، وتم عد الخلايا في كل قسم بصورة منفصلة، ثم جمعت الأقسام الأربعة وحسبت كالآتي:

عدد الخلايا الحية في (1جم) من البذور = متوسط عدد المستعمرات× مقلوب التخفيف

(Refai, 1979, p.38)

10.2. عزل الفطريات:

عُرِفَت الفطريات التي لم يُتعرَّف عليها بالعين المجردة بعد عزلها وتنقيتها بتجهيز غشاء من المستعمرة النامية في الأطباق البتري على البيئات الغذائية (PDA) على شريحة زجاجية، تم وضع غطاء على الشريحة بصورة مائلة؛ تجنبًا لتكوين فقاعات هوائية وباستعمال الميكرسكوب الضوئي على قوة 40 مرة، وتحديد جراثيم الفطريات وشكلها ومواصفاتها المزرعية؛ إذ ينتج أعداد كبيرة من الجراثيم سوداء اللون، وفطريات ذات خيوط نسيجية بيضاء تحمل أكياسًا ذات لون مصفر فاتح، وفقًا للمراجع الآتية: (السيد,29,2006)، (المجاهد, 1986م,63)، (بايونس و السنيدي2008م,233-243)، (صقران و كراد2001م,99-103)، (ميخائيل2000م,165).

3. التحليل الإحصائي:

حللت النتائج إحصائيًا حسب التصميم العشوائي التام Completely Randomize Desige وباستخدام برنامج Genstat5 حيث إن لكل معاملة أربعة مكررات، وعرضت البيانات المتحصل عليها لتحليل التباين (ANOVA) في اتجاه واحد عند مستوى 5%، ولقد تم اختبار جميع الفروقات لجميع المتوسطات الداخلة في

هذه الدراســة من البيانات المتحصــل عليها باســتخدام اختبار معنوية الفروق بين المتوســطات باســتعمال اختبار (L.S.D.) Least Significant Difference عند مســتوى معنوية 0.05 لبيان معنوية النتائج (الراوي وخلف الله,17,2000).

4. النتائج والمناقشة Results and Discussion:

1.4. نتائج فحص البذور قبل الخزن:

لقد أظهر الفحص الميكروبيولوجي لعينات عشــوائية قبل البدء بعملية التخزين للموســم الأول وجود فطر *Aspergillusniger* بكثافة 18,20 خلية/جم بذور للصنفين السنيسلة، والبيني على التوالي، وبالنسبة للموسم الثاني لا وجود للفطريات في كلا الصنفين جدول(1).

جدول(1) محتوى*Aspergillusniger* (خلية/جم) للبذور قبل التخزين لصــنفي الذرة الرفيعة لموســمي 2021/2020-2020/2019

الموسم	2020/2019	2021/2020
الصفة / الصنف	خلية/جم بذور	خلية /جم بذور
السنيسلة	20	ـــ
البيني	18	ـــ

2.4. نتائج فحص البذور بعد (3) أشهر من الخزن:

من نتائج جدول (2) لوحظ أن عدد الخلايا الفطرية يزداد بعد (3) أشهر من الخزن في الأصناف المدروسة، وتحت ظروف مخزنة (حرارة، رطوبة) في الموسم الأول لصنفي السنيسلة، والبيني، بمتوسط درجة حرارة المخزن (24.7مْ)، ومتوسط رطوبة المخزن (40%)، بلغ عدد الخلايا الفطرية (995,1109 خلية /جم بذور) على التوالي بفارق L.S.D (14.89)، وفي الموسم الثاني لصنفي السنيسلة، والبيني عند متوسط درجة حرارة المخزن (30.3مْ)، ومتوسط رطوبة المخزن (44.7%) خلال (3 أشهر) الأولى من الخزن بلغ عدد الخلايا الفطرية (910,1090 خلية /جم بذور) على التوالي بفارق L.S.D (14.74) عند مستوى 5%.

كما لوحظ انخفاض نسبة إنبات البذور بعد (3) أشهر من الخزن للأصناف المدروسة في الموسم الأول لصنفي السنيسلة، والبيني خلال (3أشهر) الأولى من الخزن كانت أعلى نسبة إنبات (96.36%,96.70%) على التوالي بفارق L.S.D(0.2650)، وفي الموسم الثاني كانت أعلى نسبة إنبات (97.6%,97.8%) لكلا الصنفين على التوالي بفارق L.S.D (0.2799) عند مستوى 5%.

جدول(2) محتوى *AspergillusflavusAspergillusniger , Penicillium*sp, (خلية/جم بور) ونسبة الإنبات للبذور بعد (3) أشهر من الخزن لصنفي الذرة الرفيعة لموسمي 2021/2020-2020/2019

الموســـــم	2020/2019	2021/2020
فترة الفحص	أكتوبر ـ ديسمبر 2019	أكتوبر ـ ديسمبر 2020
متوسط رطوبة التخزين	%40	%44.7

متوسط درجة حرارة التخزين	مْ 24.7		م 30.3°	
الصفة / الصنف	خلية/جم بذور	نسبة الإنبات%	خلية/جم بذور	نسبة الإنبات%
السنيسلة	1109	%96.36	1090	%97.60
البيني	995	%96.70	910	%97.80
L.S.Dعند مستوى5%	14.89	0.2650	14.74	0.2799

3.4. نتائج فحص البذور بعد (6) أشهر من الخزن:

من جدول (3) لوحظ زيادة عدد الخلايا الفطرية بعد ستة أشهر من التخزين وذلك بالمقارنة بعدد الخلايا الفطرية بعد (3) أشهر من الخزن، وعند متوسط درجة حرارة المخزن (27.7مْ)، ومتوسط الرطوبة المخزنية (34%) بلغ عدد الخلايا الفطرية للموسم الأول (1375,1462خلية/جم بذور) لكلا الصنفين على التوالي بفارق L.S.D (17.46)، وفي الموسم الثاني عند متوسط درجة حرارة المخزن (26.2مْ)، ومتوسط الرطوبة المخزنة (31.6%) بلغ عدد الخلايا الفطرية (1300,1400خلية/جم بذور) للصنفين على التوالي بفارق L.S.D (16.58) عند مستوى5%.

كما لوحظ تناقص نسبة الإنبات بعد (6أشهر) من التخزين للموسم الأول وذلك بالمقارنة بنسبة الإنبات بعد فترة (3) أشهر من التخزين؛ إذ بلغت نسبة الإنبات (93.83%,93.97%) لكلا الصنفين على التوالي بفارق L.S.D (0.2648)، وفي الموسم الثاني بلغت نسبة الإنبات (95.7%,95.9%) للصنفين على التوالي بفارق L.S.D(0.2798) عند مستوى 5%.

جدول(3) محتوى *Penicillium*sp, *AspergillusflavusAspergillusniger* (خلية /جم بذور) ونسبة الإنبات (%) للبذور بعد (6) أشهر من الخزن لبذور صنفي الذرة الرفيعة لموسمي 2021/2020-2020/2019

الموسم	2020/2019		2021/2020	
فترة الفحص	يناير– مارس2019		يناير– مارس2020	
متوسط رطوبة التخزين	%34		%31.6	
متوسط درجة حرارة التخزين	مْ 27.7		م 26.24°	
الصفة / الصنف	خلية/جم بذور	نسبة الإنبات%	خلية/جم بذور	نسبة الإنبات%
السنيسلة	1462	%93.83	1400	%95.70
البيني	1375	%93.97	1300	%95.90
L.S.Dعند مستوى5%	17.46	0.2648	16.58	0.2798

4.4. نتائج فحص البذور بعد (9) أشهر من الخزن:

من جدول (4) وبعد (9أشـــهر) من الخزن وعند متوســـط درجة حرارة المخزن (30.3مْ) ومتوســـط رطوبة المخزن (39.8%) أصـــبح عدد الخلايا الفطرية بالمقارنة مع فترة (6) أشـــهر من الخزن (2134,2468خلية/جم بذور) للصـــنفين على التوالي بفارق L.S.D (31.58)، وفي الموســـم الثاني عند متوســـط درجة حرارة المخزن (28.7مْ)، ومتوســـط رطوبة المخزن (28.7%) بالمقارنة مع فترة (6) أشـــهر من الخزن بلغ عدد الخلايا الفطرية (2030,2390خلية/جم بذور) لكلا الصنفين على التوالي بفارق L.S.D (30.48) عند مستوى 5%، ومن نتائج جدول (4) بعد (9أشـــهر) من الخزن بلغت نســـبة الإنبات للموســـم الأول مقارنة بفترة (6) أشـــهر من التخزين (92.90%,92.91%) لكلا الصـــنفين على التوالي بفارق L.S.D (0.2647)، والموســـم الثاني بلغت نســـبة الإنبات (94.5%,94.7%) للصنفين على التوالي بفارقL.S.D (0.2797) عند مستوى 5%.

جدول(4) محتوى *Penicillium*sp, *AspergillusflavusAspergillusniger* , (خلية /جم بذور) ونسبة الإنبات (%) للبذور بعد (9) أشهر من الخزن لبذور صنفي الذرة الرفيعة لموسمي 2021/2020-2020/2019

الموســـــم	2020/2019		2021/2020	
فترة الفحص	أبريل ــ يونيو2020		أبريل ــ يونيو2021	
متوسط رطوبة التخزين	%39.8		%28.7	
متوسط درجة حرارة التخزين	30.3 مْ		28.7 م	
الصفة / الصنف	خلية/جم بذور	نسبة الإنبات%	خلية/جم بذور	نسبة الإنبات%
السنيسلة	2468	%92.90	2390	%94.50
البيني	2134	%92.91	2030	%94.70
L.S.Dعند مستوى5%	31.58	0.2647	30.48	0.2797

5.4. نتائج فحص البذور بعد (12) شهرًا من الخزن:

من نتائج جدول (5) وبعد (12شهرًا) من الخزن وعند متوسط درجة حرارة المخزن (30.3مْ) ومتوسط رطوبة المخزن (44.7%) بلغ عدد الخلايا الفطرية بالمقارنة بفترة (9) أشهر من التخزين للموسم الأول (2478,2875خلية/جم بذور) لكلا الصنفين على التوالي، وفي الموسم الثاني وعند متوسط درجة حرارة المخزن (30.4مْ) ومتوسط رطوبة المخزن (37.5%) أصبح عدد الخلايا الفطرية (2300,2400خلية/جم بذور) لصنفي السنيسلة والبيني على التوالي، وذلك بالمقارنة بفترة (9) أشهر من الخزن؛ إذ إن صنف البيني كان أقل من حيث عدد الخلايا الفطرية مقارنة بصنف السنيسلة للموسمين بفارق معنوي L.S.D (,33.89, 32.56) على التوالي عند مستوى 5%، وبلغت نسبة الإنبات (91.86%,91.96%) للصنفين على التوالي للموسم الأول، في حين كان في الموسم الثاني بلغت نسبة الإنبات (92.9%,92.9%) لكلا الصنفين على التوالي بفارق معنوي L.S.D

(0.2645)، وفي الموسم الثاني (94.7%,94.9%) على التوالي بفارق معنوي L.S.D (0.2795) عند مستوى 5 %.

جدول (5) محتوى *Penicillium*sp, *AspergillusflavusAspergillusniger* (خلية /جم بذور) ونسبة الإنبات (%) للبذور بعد (12) شهرًا من الخزن لبذور صنفي الذرة الرفيعة لموسمي 2020/2019-2021/2020

الموســـــم	2020/2019		2021/2020	
فترة الفحص	يوليو ـ سبتمبر 2020		يوليو ـ سبتمبر 2021	
متوسط رطوبة التخزين	%44.7		%37.5	
متوسط درجة حرارة التخزين	مْ 30.3		م 30.4	
الصفة / الصنف	خلية/جم بذور	نسبة الإنبات%	خلية/جم بذور	نسبة الإنبات%
السنيسلة	2875	%91.86	2400	%92.90
البيني	2478	%91.96	2300	%92.90
L.S.D عند مستوى 5%	33.89	0.2645	32.56	0.2795

من خلال جدول (2,3,4,5) يمكننا ملاحظة أن زيادة محتوى البذور بالفطريات يزداد بزيادة مدَة التخزين خلال الموسمين، وكان أقل محتوى (خلية /جم) في (3 الأشهر) الأولى من الخزن؛ فقد بلغت عدد الخلايا الفطرية (995,1109 خلية/جم بذور) على التوالي، في حين كان أعلى محتوى (خلية /جم) بعد (12 شـــهرًا) من مدَة الخزن؛ إذ بلغ عدد الخلايا الفطرية (2478,2875 خلية/جم بذور) على التوالي للصنفين في الموسم الأول، وفي الموسم الثاني بلغ عدد الخلايا الفطرية بعد (3) أشهر من الخزن (910,1090خلية/جم بذور) على التوالي، وبعد (12) شـــهرًا بلغ عدد الخلايا (2300,2400 خلية/جم بذور) على التوالي للصـــنفين، ولوحظ من نتائج جدول(2,3,4,5) أن نسبة إنبات بذور صنفي (السنيسلة، والبيني) تتناقص كلما زادت مدَة التخزين للموسمين؛ إذ أصبحت نسبة الإنبات بعد (12) شهرًا من مدَة التخزين (91.86%,91.96%) على التوالي مقارنة بالأشهر (3) الأولى من الخزن فقد كانت نســبة الإنبات فيها (96.36%,96.7%) للموســم الأول على التوالي، في حين أن الموسـم الثاني أصـبحت نسـبة الإنبات بعد (12) شـهرًا (92.9%,92.9%) على التوالي مقارنة بالأشـهر (3) ألأولى من الخزن؛ فقد كانت نسبة إنبات البذور (97.6%,97.8%) للصنفين على التوالي.

وقـد أظهرت النتـائج في الجـداول أعلاه خلال عـام وهي مـدَة التخزين للموســمين أن فطريـات *Penicillium* sp, *AspergillumsflatusAspergillumsNiger* تزداد بعد ســتة أشــهر من التخزين (12.9.6.3 شهرًا) في صنفي (السنيسلة، والبيني)؛ إذ يزداد محتوى البذور من الفطريات بزيادة مدَة التخزين، وهو ما أكده كل من (6,18)، بأن مدَة التخزين تؤدي دورًا في زيادة فطريات المخزن؛ إذ وجد أن زيادة فترة التخزين من (2-6) أشـهر قد أدى إلى زيادة فطريات المخزن خاصـة الأجناس *Penicillium* , *Aspergillus*، كما أظهرت الدراسـة أن نسـبة الإنبات تتناقص خلال مدَة الخزن كلما زادت شـدة إصـابة البذور بالميكروبات، هذا الانخفاض في نسـبة

الإنبات وحيوية البذور ربما كان في اختلاف درجات الحرارة ورطوبة المخزن خلال فترة التخزين، أن الفطريات التي تنمو على الحبوب بعد تخزينها غالبها يستطيع النمو دون توفر رطوبة عالية، وهذا يتفق مع ما أشار إليه كل من (بايونس و السنيدي20,2008,)، و(ميخائيل92,1992)، و(EL-Azab.2001) .

شكل(1) المحتوى الفطري خلية/جم بذور خلال فترة الخزن لبذور أصناف الذرة الرفيعة.

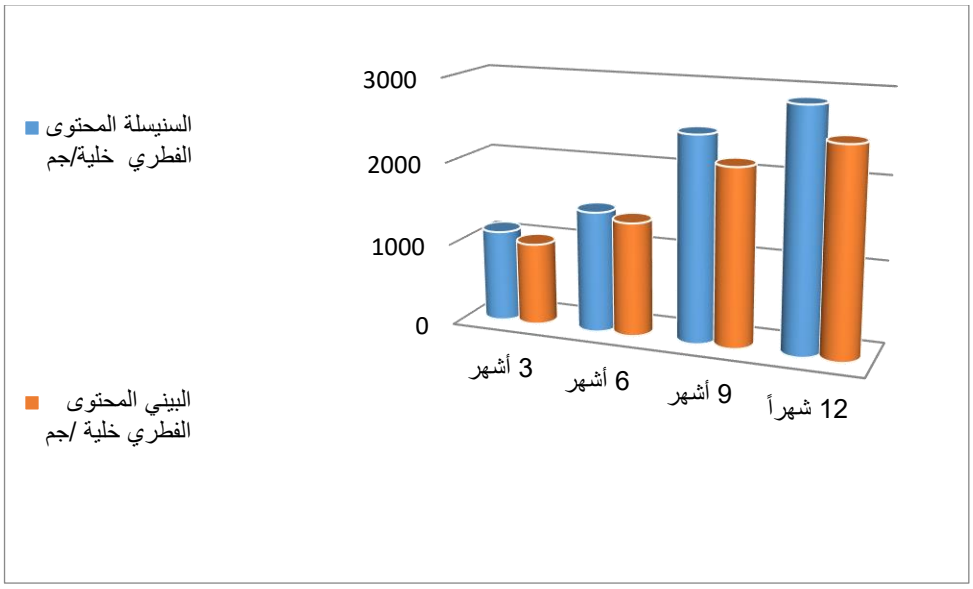

شكل(2) أصناف لبذور الذرة الرفيعة ـ نسبة الإنبات خلال فترة الخزن

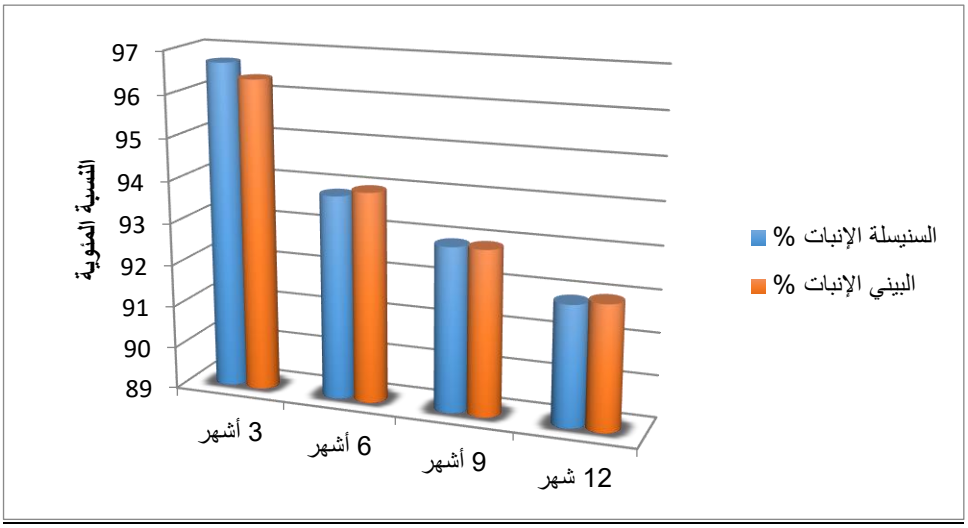

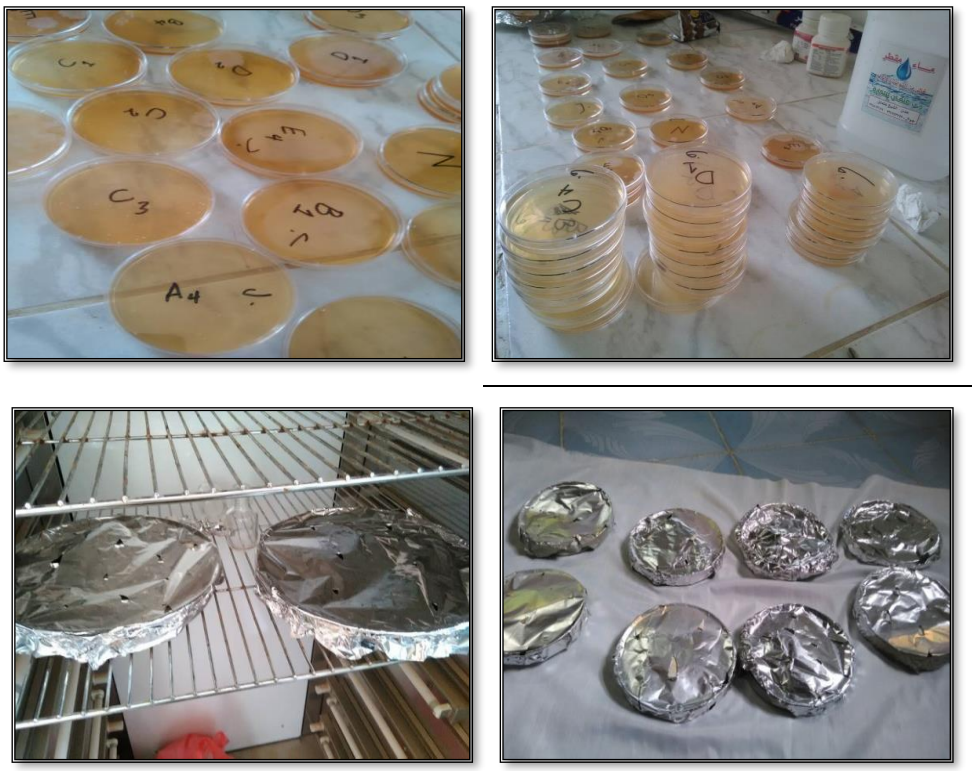

صور(1)الفحص الميكربيولوجي للفطريات في اصناف الذرة الرفيعة

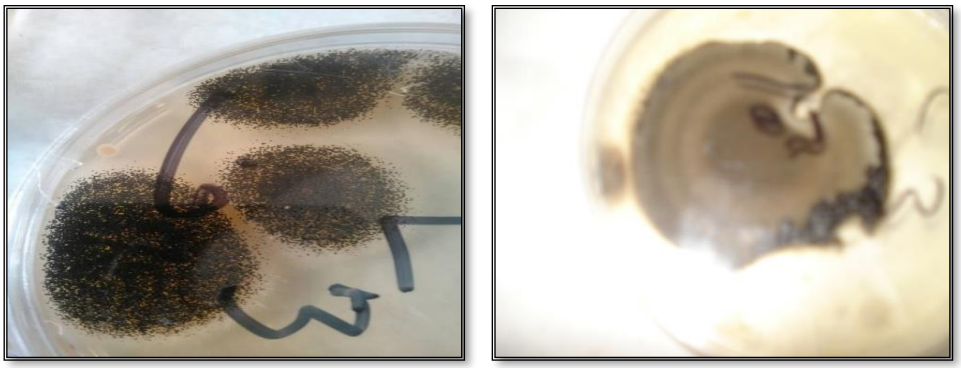

Aspergillussp

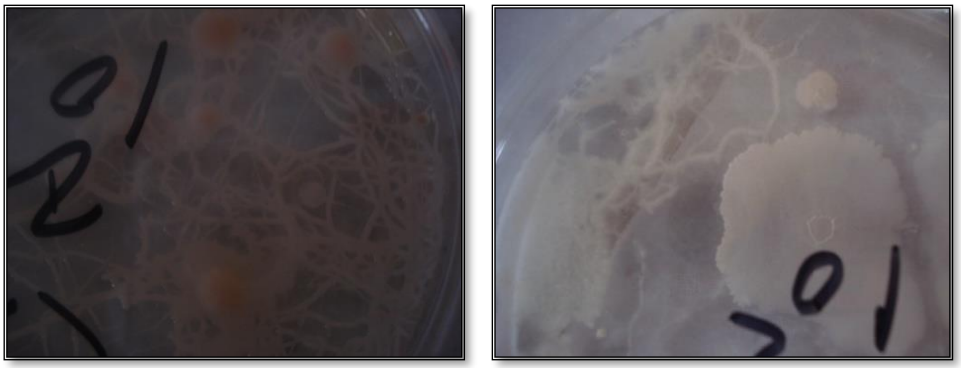

Pencillumsp

صورة(2) فطريات بذور الذرة الرفيعة كما ظهرت بالإطباق البتري

5. الاستنتاجات:

1- أوضحت الدراسة أن مدة التخزين لها أثر في زيادة فطريات المخزن *AspergillusflavusAspergillusniger* و *Penicilliumsp* ,؛ إذ وجد أن مدة التخزين بعد (6) أشهر قد أدى إلى زيادة فطريات المخزن .

2- القاعدة الأساسية عند تخزين البذور هي أن تخزن جافة وباردة.

المراجع العربية:

الراوي, خاشع محمود وعبد العزيز خلف الله(2000). *تصميم وتحليل التجارب الزراعية*-كلية الزراعة والغابات- جامعة الموصل, العراق ,دار الكتب للطباعة والنشر/ جامعة الموصل . 488 صفحة .

السقاف, علي عيد روس (2002م).*إنتاج المحاصيل الحقلية(الحبوب والبقول)*,سلسلة الكتاب الجامعي(1),دار جامعة عدن للطباعة والنشر (199 صفحة).

السيد, عرفات محمد كامل(2006م).*الإدارة المتكاملة لمكافحة الآفات الزراعية*, كلية الزراعة ,جامعة أسيوط – مصر (460صفحة).

الشبيحي, هادي محمد, جمال علي النقيب, محسن محمد منصور ومحمد صالح فرج(2001م) *تقييم أصناف الذرة الرفيعة والبقوليات تحت مستويات مختلفة من الرطوبة لمدى مقاومتها للجفاف*. محطة الأبحاث الزراعية- الكود, مشروع الجزيرة والخليج, الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي.

المجاهد, عبد الله محمد(1986م).*أسس زراعة وإنتاج المحاصيل الحقلية في الأراضي اليمنية, الجزء الثاني-الطبعة الثانية-قسم المحاصيل والإنتاج الزراعي* – كلية الزراعة –جامعة صنعاء(300صفحة).

بايونس, عبدالله أحمد ومحمد علي محمد السنيدي(2008م). *فعالية المساحيق النباتية في حماية بذور السمسم ضد فطر Macrophominaphaseolina في الصوبة*, قسم الوقاية-كلية الزراعة- جامعة عدن/مجلة جامعة عدن للعلوم الطبيعية والتطبيقية-المجلد الثاني عشر-العدد الثاني , ص233-243.

رويشد، علي خميس، نجيب أحمد محسن وسالم السقاف (2001م). السلامة الصحية لبذور الأقماح المستخدمة في صناعة الخبز في اليمن. *الندوة العلمية الثالثة حول أثر مدخلات الإنتاج وتقانات التصنيع على جودة الخبز*، المكلا، اليمن 16 يوليو 2001م(ص70-75).

صقران, صالح سالم ومحمد علي كراد (2001م) *دراسة اقتصاديات إنتاج الحبوب في المرتفعات الوسطى(مديريات لودر، مودية، الوضيع م/أبين) التقارير الفنية للموسم**2001/2000م*-الجزء الثاني- النظام الإنتاجي المروي بالسيول-النظام الإنتاجي المطري محطة الأبحاث الزراعية /الكود، الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي، وزارة الزراعة (ص99-103) .

كتاب الإحصاء الزراعي (2013). الإدارة العامة الإحصاء الزراعي, وزارة الزراعة والري-الجمهورية اليمنية (103صفحة).

ميخائيل، سمير (1992). *أمراض البذور*. النشر منشأة المعارف بالإسكندرية جلال حزي وشركاؤه (195صفحة).

ميخائيل، سمير (2000). *أمراض البذور*. منشأة المعارف – الإسكندرية – الطبعة الثالثة (334 صفحة).

نعمان, عبد الحكيم أحمد، درهم عبد المهدي نعمان (2014). تأثير انتخاب السلالة النقية على صفات النمو والإنتاجية لصنف الذرة الرفيعة المحلي (قيرع) Sorghumbicolor (L.) Moench، *المجلة اليمنية للبحوث والدراسات الزراعية*, مجلة علمية محكمة تصدر عن الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي, وزارة الزراعة والري, الجمهورية اليمنية, العدد التاسع والعشرون (ص137–164).

نيرجارد. (1995). *أمراض البذور* (المجلد الثاني) الطبعة الأولى (1995)، جامعة عمر المختار، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، البيضاء، (670صفحة).

المراجع الأجنبية:

Agrios, G.N. (2005). *Plant Pathology*. (5th ed.). New York: USA.

El-Azab. M. M. A. (2001). *Pathological Studies on deterioration of sorghum stored grains in Yemen*. (Master's Thesis). Faculty of Agriculture, Sana'a University.

ISTA, (1976). *International Seed Testing Association*. (pp3-49).

Refai, M. K. (1979). *Manuals food quality control, microbiological analysis*. FOOD AND AGRICULTURE ORGANIZATION OF THE UNITED NATION Rome 1979.

Saleemulla, A. I., Khalil, I. A., Shah, H. (2006). Aflatoxin contents of stored and artificially inoculated cereals and nuts. *Food Chem*, 98, 699-703.

Sharon, M. T., Phyllis, D. Coley, T., & Kursar, A. (2002). *The effects of weather on fungal abundance and richness among 25 communities in the intermountain West*. Center for Turbulence Research, Stanford University Stanford & Department of Biology, University of Utah. USA.

SHU Journal for Humanities and Applied Sciences
Volume 1, Issue 1, June 2023, pp.88-101
https://shu.edu.ye

مجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية
المجلد الأول، العدد الأول، يونيو 2023، ص88-101

Effect of Temperature, Relative Humidity and Period of Storing on the Fungi for Seeds of some Varieties of Sorghum Bicolor (L.) Moench. in Some Districts of Abyan Governorate

Dr. Huda Ahmed Mohsen Abdulla
Dept. of Protection, Nasser Faculty for Agricultural Sciences, Lahj University

Dr. Salem Mohammed Ali Al-Semlah
Dept. of Biology, Faculty of Education – Ataq, Shabwa University

Dr. Yasser Al-Khedher Nasser Hussein
Dept. of Biology, Faculty of Education – Lawdar, Abyan University

Abstract
This experimented was achieved in the food and postharvest technicality center laboratory of center in Khawrmaksar, Aden, during two seasons (2019/2020, 2020/2021) to know the effect of temperature and relative humidity and period of storing on the Fungi for Seeds in two varieties as (Sanisalah and Bini) of Sorghum bicolour seeds. The studied seeds were stored for two seasons at storing average temperature and with average humidity ranging (24.7-30.3C) and (40%-44.7%) respectively, the laboratory tests were done during (3,6.9,12 months) after storage for two season, results have been analysed by using Randomized Complete Block Design with four replications. The results indicated that the fungal content of seeds increases when the storing period extended in two seasons after (3) months was (1052,1000 cell/ gm seeds) respectively, (6) months (1418,1350 cell/gm seeds) respectively, (9) months (2301,2210cell/gm seeds) respectively, and after (12) months became (2676,2350cell/gm seeds) respectively for two seasons. the fungus content of Bini was less than Sanisalah.

Paper Information
Received:20.03.2023
Accepted:21.05.2023

Keywords
varieties of fungi, temperature, relative humidity, varieties of Sorghumbicolor seeds

©2023 SHABWAH UNIVERSITY JOURNAL

القيود الفونولوجية على بنية الكلمة في النظرية اللسانية: من البنيوية إلى التوليدية

سفيان وعكي
باحث في اللسانيات، جامعة محمد الخامس، الرباط
ouaki.soufiane19@gmail.com

أ. د. محمد مرزوق
أستاذ اللسانيات، جامعة محمد الخامس، الرباط
medmerz@hotmail.fr

الملخص

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن القيود الفونولوجية على بنية الكلمة في النظريتين البنيوية والتوليدية؛ وذلك عبر دراسة مجموعة من التصورات النظرية والمنهجية التي قدمتها النظريتان لفهم القيود التي تصف وتفسر بنية الكلمة في اللغة. وقد وجّه نتائج البحث في هذا الموضوع عدد من الدراسات النظرية والتطبيقية كأعمال رومان جاكبسون ونيكولاي تروبتزكوي في النظرية البنيوية، ودراسات نعوم تشومسكي وموريس هالي في النظرية التوليدية. وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي والذي بموجبه قُسّمت الورقة على قسمين أساسيين: قسم أوّل، يتعلّق بالكشف عن طبيعة القيود الفونولوجية في النظرية البنيويّة. وقسم ثان، يهتمُّ بطبيعة القيود الفونولوجية في النظرية التوليديّة. وقد شملت هذه الدراسة عقد مقارنات بين التصوّرين معًا. ومن خلال تتبُّع المسار التاريخي لتطور مقاربة هذا الإشكال في النظريتين السابقتين، فقد توصل البحث إلى وجود حلقة بين النظريتين يمكن وصفها بنقطة الوصل والفصل في تطوير تصورات القيود الفونولوجية على بنية الكلمة. لقد انطلق تشومسكي وهالي في كتابهما المرجعي (1968) من النقطة التي توقف فيها جاكبسون، تحديدًا في نظرية السمات، لوصل البحث في الإشكال ذاته، لكنهما في الوقت نفسه قَطَعَا مع مستويات أخرى من البحث. بهذا المعنى، يمكن القول إن البحث في القيود الفونولوجية، في هاتين النظريتين، انطلق من الوصل ليصل إلى الفصل فيما يتعلق بالمنهج والتصورات والاستنتاجات.

معلومات البحث
تاريخ الاستلام:
2023.04.02
تاريخ القبول:
2023.05.21

الكلمات المفتاحية
قيد فونولوجي، فونيم، سمات، تمثيل فونولوجي

مقدّمـــــــــــــة

عرفت النظرية الفونولوجيّة تطورات كثيرة خلال القرن العشرين؛ إذ كان لكل النظريات اللسانية الحديثة تصوّر وموقف من بنية التمثيل الفونولوجي، ومن دراسة أصوات اللغة. يظهر ذلك من خلال مجموعة من الأعمال الرائدة التي أنجزها باحثون ولسانيون ينتمون إلى هذه المدرسة أو تلك الحلقة سواء في اللسانيات الغربية أو العربية.

إنّ الدرس الفونولوجي في القرن العشرين خضع لمساءلة القرارات المنهجية، والتصورات النظرية، التي قرّرها سوسير والبنيويون الأوروبيون والأمريكيون. تظهر تلك القرارات واضحةً في كتاب نيكولاي تروبتزكوي (Nikolay Trubetzkoy) *"مبادئ الفونولوجيا* 1939"، وكتب أخرى "لرومان جاكبسون (Roman Jacobson, 1956)" على سبيل التمثيل، و"فانت وهالي (Fant and Halle, 1952) ...إلخ. وفي المقابل، ظهرت الفونولوجيّة

©2023 SHABWAH UNIVERSITY JOURNAL

التوليدية لتُقدّم مفاهيم جديدة، وتستأنف التساؤل عن الثغرات التي اعترت النتائج التي توصل إليها جاكبسون ورفاقه في أوروبا، وفرانز بواس (franz boas) وأصدقاؤه في أمريكا، محاوِلةً بذلك نقد تصورات، ونقض طروحات أخرى. لقد كان كتاب (1968) عملًا رائدًا في التأسيس لطرحٍ توليديٍّ جديدٍ في الدراسة الفونولوجيّة. من هنا، تحاول هذه الورقة التساؤل عن طبيعة العلائق التي اتّسمت بها الدراسة الفونولوجيّة بين البنيويّة والتوليديّة. ويعني هذا، البحث في المشترك بين النظريّتين السابقتين داخل حقل الاختلافات المنهجيّة والنظريّة، وذلك من خلال مساءلة القيود الصواتية في الفونولوجيا عند البنيويين والتوليديين.

1. القيود الفونولوجية في بناء الكلمة: منظور بنيويّ

1.1. مفهوم البنية

ليس مفهوم البنية مفهومًا متّفقًا عليه. فمن الناحية التاريخية، لم يستقر على تحديدٍ واحد، أو استعمالٍ واحد. أمَّا في اللسانيات، فقد لاحظ إيميل بنفنست Emile Benveniste أن البنية في الأدبيات الأوروبية تحيل على "ترتيب الكلِّ في أجزاء، مع الإبقاء على تماسك واضح بين الأجزاء المحكومة بالاستبدال في المجمل (Benveniste, 1971). وتدل في الأدبيات الأمريكية على "توزيع العناصر كما تمت ملاحظتها، مع الإبقاء على قدرة هذه العناصر على التركيب والاستبدال" (Benveniste, 1971). وعلى الرغم من أنّ مفهوم البنية لم يكن في استعماله اللساني مرتبطًا بالنظرية البنيوية فقط، إذ كان له استعمال تاريخي قبل ذلك، فإنّ قوته التفسيرية والوصفية كانت واضحة جدًا في بنيوية دو سوسير والحلقات التي تلته (غلفان 2013، ص. ص 178–183).

يبدو أنّ تحديد مفهوم البنية في النظرية البنيوية، سواء في أمريكا أو أوروبا، يُعدّ خطوة منهجيّة مهمّة لبناء فهم واضح للتصور البنيوي في الفونولوجيا. ويعني هذا أنّ التصوّرات النظريّة والقرارات المنهجية لدراسة اللغة في البنيوية مرتبطة بفهم البنية أساسًا، ويظهر ذلك بوضوح في الطرح السابق لبنفنيست. على هذا الأساس، سنجد هذا المفهوم في الفونولوجيا البنيوية يطرح نفسه بقوة كبيرة.

ينطلق دو سوسير (de Saussure) من مسلّمةٍ مفادها أنَّ الاختلافات، فقط، هي الموجودة في نسق اللسان[1] (Mathews, 2011: p19). ويعني ذلك أنَّه لا توجد وحدة مستقلة بذاتها عن وحدات أخرى. إنَّ المحدِّدَ الأساسيَّ لقيمةِ العناصرِ داخلَ النِّظامِ هو العلاقات بينها. فقيمة الكلمات في معانيها، يعني علاقة الدال بالمدلول، وقيمة الأصوات في علاقاتها الاستبدالية والتمييزيّة، ثم الاختلافيّة بأصوات أخرى... إلخ. ومن الواضح أنّ المفاهيم الأساسيّة في دراسة اللغة، بمكوناتها المختلفة، في الطرح البنيويّ مرتبطة باللسان أساسًا، فالبنية موجودة في اللسان ذاته. ولمَّا كانت البنية مجموعةً من العناصر، فإنّها محكومة بالاختلافات من جهة، وبالعلاقات التي تربط العناصر فيما بينها وفق القيم التي تتميّز بها من جهة أخرى. لكن السؤال المطروح ههنا هو: كيف يمكن الكشف عن التصوّرات الفونولوجيّة للبنيويّة من خلال المفاهيم السابقة؟

[1] المقصود باللسان في هذا السياق هو موضوع اللسانيات في النظرية البنيوية، فمن المعروف أن سوسير يميز بين اللسان langue واللغةlanguage . للمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى كتاب "محاضرات في اللسانيات" لسوسير، أو "مدخل إلى لسانيات سوسير" لمبارك حنون.

يلاحظ ستيفان أندرسون (Stephen Anderson) أنّه يجب علينا "التركيز في الدراسة الفونولوجيّة على مجموعة من التمثيلات الفونولوجيّة التي تزودنا بها النظريّة اللسانية للبنيات اللغوية... وهذه التمثيلات الفونولوجيّة ستكون محدّدة فقط بالخصائص التمييزية للبنيات التي تطابقها" (Anderson, 1985: p43). من الواضح أنّ الدارسة الفونولوجيّة في البنيويّة تقوم على مجموعة من التمثيلات، التي تقترحها النظريّة للبنيات اللغوية، أو البنيات الفونولوجية بشكل أدق. ومن مهام اللساني، في هذا الصدد، تحديد جوهر هذه التمثيلات من جهة، وأساسيات دراسة أصوات اللغة بها من جهة أخرى. ويفترض في هذه الدراسة أن تأخذ بعين الاعتبار مفهوم البنية، والمفاهيم المتعلقة بها، التمييز، الاختلاف أو التعارض، والاستبدال... إلخ. إنّ هذه المفاهيم هي التي ستحدد التصوّر البنيويّ للقيود الصواتية في الدراسة الفونولوجيّة، ولمزيد من التوضيح يمكن أن نضرب المثال الآتي: لنفترض أنه لدينا فعلان هما: كتب، بات، فالملاحظ أن الفعل "كتب" يتكون من ثلاثة أصوات، وهي "ك. ت. ب"، وهي مختلفة في سماتها ومخارجها، كما أنها متعارضة، وقانون الاختلاف هذا هو الذي سمح بتأليفها في كلمة واحدة. أما الفعل الثاني "بات"، فيمكن القول إن صوت الباء تمييزي؛ لأنه يميّز الفعل عن فعل قريب منه هو "مات"، فالفعلان متقاربان في الأصوات، وبسبب قانون الاستبدال استطعنا تمييزهما عن بعضهما، وبذلك خلقنا قيمةً تميزية لكل فعل من خلال قانون الاستبدال، وهكذا دواليك.

2.1. مفهوم القيد الفونولوجي

بعد الحديث عن مفهوم البنية، سيكون من المفيد تحديد المقصود بالقيد الفونولوجي في النظرية اللسانية، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقول المناطقة. يمكن القول إن هنالك اختلافًا في تحديد بداية التفكير في القيد الفونولوجي؛ باعتباره إشكالًا في الفونولوجيا، سواء البنيوية أو التوليدية؛ إذ تشير أدبيات البحث اللساني إلى أن الفونولوجيا البنيوية كانت قائمة على البحث في قواعد التأليف الصوتي، بمعنى أن كل تأليف يخضع لقاعدة معنية، وأنّ التمثيل السطحي لمتوالية من المورفيمات مشتق من تمثيلاتها التحتية، وهذا الاشتقاق يحدث من خلال تطبيق سلسلة من القواعد، لقد استمر هذا الوضع، أي الاعتماد على الفونولوجيا القائمة على القواعد، حتى في النظرية التوليدية، غير أنه في بداية التسعينيات من القرن الماضي، أي مرحلة طرح تشومسكي نظريته الأمثلية optimality theory في التركيب، اتجه الفونولوجيون إلى إعادة التفكير في صياغة عميقة ليس لإشكال القواعد فقط، بل للنظرية الفونولوجية جميعها، إذ تمكّن جون مكارثي John McCarthy، وبول سمولينسكي Paul Smolensky من بين فولونولوجيين آخرين من تغيير طريقة طرح الأسئلة، وطريقة دراستها. ومن بين تلك الإشكالات التي تغيرت طريقة دراستها قولهم إن التمثيلات التحتية للمورفيمات بنظيرتها السطحية عن طريق قيود كلية قابلة للخرق، ويُدّعى أن الاختلاف بين اللغات الطبيعية راجع على نحو حصري إلى الاختلاف في تصنيف تلك القيود.

إن التحوّل الأساسي من هذا المنطلق يمكن في التخلّي عن القواعد لصالح القيود، فالقواعد ترتبط بالوسائط الفونولوجية، بمعنى أن كل ظاهرة فونولوجية، مثل؛ الاستبدال، أو التعارض... إلخ، يقتضي قاعدة في كل عملية اشتقاقية يقوم بها المتكلمة، وهي مرتبطة بلغة واحدة حصرًا، غير أن قيودًا تبدو كلية في تطبيقاتها على اللغات، أو لنقل يمكن تعميمها.

رغم أن غالب الفونولوجيين يربطون ظهور القيود الفونولوجية في النظرية اللسانية بالنظرية الأمثلية في التوليدية في تسعينيات القرن الماضي، غير أنه يوجد آخرون يُرجعونها إلى النظرية البنيوية والنماذج الأولى للتوليدية. وفي هذا السياق، تلاحظ دارلين لاشاريت وكارول باراديس Lacharite Darlene and Paradis Carole أن ظهور مفهوم القيد الفونولوجي كان مع البنيوية، غير أن الاهتمام بفعاليّته الوصفية والتفسيرية، ومنحه مساحة كبيرة في الدراسة كان مع التوليديين خصوصًا (Lacharite and Paradis, 1993). إن هذه الاختلافات في تحديد الطفولة المبكرة لظهور القيد الفونولوجي لها أثر واضح في فهمه وتطبيقه أيضًا، فحتى في التوليدية التي يُفترض أن تكون استنتاجاتها متسقة بهذا الصدد، تَبيّن، من خلال بحث لاشاريت وآخرين عن القيد الفونولوجي أن التوليديين منذ هالي إلى ستانتلي Stanly وبوستال Postal وكيسبرث Kissebeth، أنّ بعضهم يرى القاعدة الفونولوجية بمثابة القيد، خصوصًا هالي؛ إذ تُرمّز العلاقة بين البنية السطحية والنموذج التحتي المجرد عن طريق قواعد بنية المورفيم، والتي تُحدّد، ومن ثمَّ تُقيّد، المعلومات التي تُضاف للبنية، وكيف تُضاف، وفهم المعلومات الزائدة، وكل هذه العلميات تتم بهدف منع اشتقاق نموذج غير مقبول فونولوجيا (Lacharite and Paradis, 1993). وفي المقابل، يرى بوسطال أن فكرة القيود الفونولوجيا التي تظهر في عملية الاشتقاق بين البنية التحتية والبنية السطحية غير مقبولة، ولعل السبب في رفضها من وجهة نظره راجع إلى أن تلك القيود متماثلة وكلية، ولذلك فهي تخلق مشكلة التكرار (Lacharite and Paradis, 1993).

إن الملاحظ من وجهتَيِ النظر السابقتين أن القيد الفونولوجي تظهر نتائجه في البنية السطحية، بمعنى أنه يمكن أن يكون قيدًا على النتيجة الصوتية، التي يَخلُص إليها المتكلم، غير أن تحديدهم لأن القيد يكون في الشكل الصوتي، لم يمنعهم من الاختلاف في تحديد ماهيته، وسبل تطبيقه؛ إذ لكل توجه نظري مقارباته في التطبيق.

يميل هذا المقال، كما سنرى في القسم الثاني منه، إلى أن القيد الفونولوجي هو مجموعة من الحدود، التي تُقيد اشتقاق الأصوات من بنيتها التحتية إلى بنيتها السطحية، ويعني ذلك أن القيد هو الحدود التي تسمح بتأليف الأصوات في بنيتها السطحية لتظهر على نحو صحيح، وذلك حسب القواعد الصوتية التي تفرضها لغة طبيعية معطاة. وما يميز القيد عن القاعدة الفونولوجية بهذا الصدد هو مبدأ الكلية، التي يتميّز بها القيد، بمعنى أن يسمح بتعميمه على لغات مختلفة جزئيًا، وهذا غير متاح في سياق الحديث عن القاعدة.

3.1. الفونيم موضوع للدراسة ومستوى للتمثيل الفونولوجي

اختلف اللسانيون البنيويون في تحديد مفهوم الفونيم، لكن هذا الاختلاف لم يكن عقبة أمامهم في اعتباره الوحدة التي يجب أن يركز عليها التمثيل الفونولوجي، ومن ثمَّ رصد القيود الصواتية الممكنة في التمثيل نفسه. وإذا استثنينا أعمال جاكبسون المتأخرة (أي الأعمال التي تلت كتابيه 1956، 1968 على وجه الدقة) التي عمد فيها إلى تفكيك الفونيم إلى مجموعة من السمات، فإنّ الطرح البنيوي لم يحِد عن الاهتمام بالفونيم؛ بوصفه وحدة تحليلية في الفونولوجيا. وسيكون لهذا الاختلاف الذي تميز به جاكبسون، من بين آخرين، وقع كبير في وجهات نظر أخرى في مستويات التمثيل الفونولوجي كما سنرى في الفقرات القادمة.

ينقسم تعريف الفونيم على تصورين اثنين: الأول، تصور سيكولوجي، والآخر، تصور وظيفي. وقد كان لكلا التصوُّرين مسوغات وتفسيرات داخل النسق البنيوي. يذكر دو كورتناي أن "الفونيم هو المعادل النفسي للصوت

الكلامي "speech sound" (Trubetzkoy, 1969: P37). إنّ هذا التحديد لا يمكن الاستدلال على اطّراده في لغة معطاة، ويعني هذا أنه في الإمكان أن نجد مجموعة من الأصوات الكلامية، بوصفها متغيرات، تعود للفونيم نفسه، ففي العربية مثلًا، نجد أن فونيم الجيم "ج" في نسق اللسان العربي، له تحققات صوتية مختلفة في الواقع، فنجد الجيم القاهرية، والجيم اليمنية، والجيم المعروفة في اللغة المعيار... إلخ.

وفي السياق ذاته، يلاحظ فان فايك (Van Wijk) أنّ "فونيم اللغة مكوّنٌ من المكونات اللسانية التي توجد في ذهن جميع أفراد مجموعة كلامية"(Trubetzkoy, 1939: P38). من الملاحظ أن هذا التعريف يميز الفونيم بخصائص تميز اللسان نفسه، إضافة إلى أنه يطرح المشكل الذي طرحه تعريف دوكورتناي، لكن بصيغة أخرى. ويعني ذلك، أنّ اعتبار الفونيم وحدة نفسية في اللسان يجعل دراسته صعبة دون التوسل بوقائع الصوت الكلامي، الذي اعتبره دوكورتناي معادلًا للفونيم. إنّ الأصوات الكلامية وقائع متنافرة لا تعبّر عن نسقية اللسان. وإذا أراد اللساني دراسة هذه الأصوات فإن المطلوب منه هو البحث في العلائق التي تربط بين الفونيمات، وتجاوز تقديم التعريفات الجوهرية للفونيم مبدئيًا. إنّ هذا القول يستدعي إلقاء نظرة على التصور الثاني لمفهوم الفونيم، وهو التصور الوظيفي.

يذكر دانيال جونز (Daniel Jones) أن الفونيم هو "عائلة أو مجموعة أكوستيكية، ومتمفصلة من الأصوات اللغوية المتعالقة، والتي لا توجد أبدًا في نفس البيئة الصوتية "phonic environment" .(Trubetzkoy1939: P37)

إذا كان الموقف السابق لفان وايك يفترض أن يكون للساني وعيٌ بالطبيعة النفسية للفونيم، فإن مستويات التحليل لا يمكن أن تتم إلا بدراسة العلائق الموجودة بين الفونيمات من جهة، والوعي بمقدمة مفادها أنّ الدراسة يجب أن تكون منطلقاتها تحديد طبيعة الأصوات الكلامية من جهة أخرى، فالفونيم، كما اللسان، موجود في الذهن. ويعني هذا، أن كلّ فونيم له بنية أكوستيكية محددة، تميزه من فونيمات أخرى، وله تمفصلات تحدد توظيفه في مكان دون آخر.

من الواضح، إذن، أنّ الفونيم في تصوره الوظيفي يطرح مجموعة من القرارات المنهجيّة، التي يجب اتباعها، وهذه القرارات هي التي تحدد مستوى التمثيل الفونولوجي، كالتقابل، والتعارض، والتميز. ويعني ذلك أنّ تحديد العلائق التي تربط بين الفونيمات يقتضي تحديد الإجراءات المنهجية، التي تساعد على تحقيق هذا الهدف. ولمَّا كانت دراسة الفونيم في ذاته غير ممكنة، في هذا الصدد، فإنّه من الضروري البحث في مفهوم آخر يجعل دراسة العلائق بين الفونيمات، والكشف عن القرارات المنهجية ممكنًا. إنّ دراسة الفونيم يقتضي دراسة مفهوم المتوالية الصوتية، وهذا ما يطلق عليه دانيال جونز بعائلة أو مجموعة من الفونيمات.

4.1. القيود الصواتية في النظرية البنيوية

لقد أشرنا سابقًا إلى أن التمثيل الفونولوجي في البنيوية يكون في المستويات الفونيمية. فالفونيم هو الوحدة القاعدية التي ينطلق منها التحليل، لكن المتعارف عليه في الأدبيات البنيوية خصوصًا مع أندري مارتيني (Martini André)أن الفونيم وحدة لسانية غير دالة، بمعنى أنها لا تكشف عن قيمتها في نفسها دون مقابلتها بغيرها من

المغيرات الأخرى. إن كل فونيم يقتضي فونيمًا آخر مقابلًا له ليكون له معنى ما؛ لذلك أكد البنيويون أنّ دراسة الفونيم لا تتحقق إلا في دراسة المتوالية الفونيمية بشكل خطي، ووفق ما تسمح به التقابلات أو التعارضات بين فونيمات المتوالية نفسها. وبعبارة أخرى، فإن قيمة "ك" تظهر في تعارضه مع "ت" وفي مقابلته في الآن نفسه. وينطبق الأمر نفسه على "ب" في علاقته بالفونيمين السابقين في كلمة "كتب".

من الواضح إذن أنّ كل فونيم له دلالة معينة في إطار المتوالية الفونيمية. ويمكن أن تكون هذه المقدمة أساسًا ننطلق منه لرصد القيود الصواتية في النظرية البنيوية.

1.4.1. قيود تروبتزكوي على المتوالية الفونيمية

يفرض اللسان في أي لغة معطاة قاعدة مهمة جدًا يجب على اللساني أن يعيها، ومفادها أنه يجب التعامل مع عناصره بأنها نسق يفرض عددًا من القيود، التي تسمح بتأليف العناصر وتوليفها بالشكل الصحيح. من هنا استنتج تروبتزكوي أربعة قيود أساسية في بناء المتوالية الفونيمية طبقًا لمعطيات اللسان وهي (Trubetzkoy1939: P37):

أ- **القيد الأول:** وفيه فونيمان متغيران لفونيم واحد، إذا كانا متجاورين في اللسان نفسه، وإذا كان في الإمكان استبدال أحدهما بالآخر دون أن ينتج عن ذلك اختلاف في معنى الكلمة. ويظهر ذلك في مثال الاختلافات الظاهرة في نطق الجيم في العربية؛ فالجيم القاهرية مختلفة عن اليمنية، وعن العربية، ولكن الفونيم له أصل واحد في اللسان.

ب- **القيد الثاني:** وفيه فونيمان معينان إنجازًا لفونيمين مختلفين، إذا كانا في الموقع نفسه، ولا يمكن استبدال أحدهما بالآخر دون تغيير معنى الكلمة، أو دون التعرف عليها. ويظهر ذلك في المثال التالي: نَالَ/ قَالَ/ صَالَ. فهذه الفونيمات موجودة في الموقع نفسه، لكنها مختلفة في الإنجاز، وتؤدي إلى اختلاف معنى الكلمة.

ج- **القيد الثالث:** يُعَدُّ الفونيمان بديلين توليفيين، إذا كانا متقاربين نطقيًا وسمعيًا، لكن لا يمكن أن يكونا متجاورين في السياق الصوتي ذاته. يقدّم تروبتزكوي مثالًا لهذا القيد من اللغة الكورية؛ ففيه لا يظهر r و s في نهاية الكلمة، ويمكن اعتبار الفونيمين بديلين مختلفين لفونيم واحد.

د- **القيد الرابع:** لا يمكن اعتبار فونيمين ينطبق عليهما القيد الثالث بديلين للفونيم نفسه، إذا كان ممكنًا لأحدهما أن يتلو الآخر. بمعنى، إذا كانا طرفي متوالية فونيمية، أي منفصلين.

يبدو أن القيود السابقة تحدّد لكل فونيم وظيفة محددة في سياق المتوالية الفونيمية، تبعًا للسمات التي يتميز بها. وللوصول إلى تصفيف سمات كل فونيم ليؤدي وظيفته، أو ما يسمّيه لسانيو براغ بالملاءمة، سيكون لزامًا على المحلِّل أن يأخذ بعين الاعتبار أكثر المفاهيم الإجرائية، التي استعملها تروبتزكوي في صياغة قيوده على المتوالية الفونيمية، وهي كما هو ملاحظ سابقًا: الاستبدال، التوليف، التقابل، التعارض. إنّ القيود على البنية الفونيمية هي التي تحدد الإجراءات المنهجية، التي يُحلِّل بها اللساني كل بنية، وهي إجراءات تمييزية في الأحوال جميعًا.

هذا، ويعدُّ تذكير تروبتزكوي بضرورة السمات في تصفيف المتوالية الفونيمية في لسانٍ مُعطى خطوة منهجية مهمة في سبيل التقدم نحو تمثيل فونولوجي أكثر دقة. فالمعروف أنّ قيود تروبتزكوي السابقة تغيب عنها

كفاية التفسير من جهة، وكفاية التنبؤ بمتوالية ممكنة من جهة أخرى. إن تحقيق الكفايتين السابقتين يقتضي التعاطي مع بنيات أخرى أكثر تجريدًا هي السمات. وهذا يعني أن الفونيم فقير من حيث التجريد، وقد كان هذا سببًا في عدم إمكانية رصد كل القيود الممكنة على البنيات الفونولوجية في التصور البنيوي وتفسيرها.

من الواضح أن دراسة السمات الفونولوجية سيكون أكثر دقة في رصد القيود الفونولوجية بدل الفونيم. معنى هذا أن مستويات التمثيل الفونولوجي ستنتقل من الفونيم إلى السمات. إن التحقق من هذه الفرضية في الدراسة يقتضي أمرين: الأول، دراسة مفهوم السمات عند جاكبسون في (1952)، وفي (1956) في صيغته المطورة. والآخر، دراسة طرق استثمار النظرية التوليدية وتحليلها لهذه السمات في تحديد القيود الفونولوجية في تصورها. وعلى هذا الأساس، سيكون طرح سؤال المشترك في حقل الاختلافات بين النظرية البنيوية والتوليدية في رصد القيود الفونولوجية في الأصوات مشروعًا. وبعبارة أخرى، ستمكننا دراسة السمات عند جاكبسون من إيجاد حلقة وصل بين تصورين نظريين، لكل واحد منهما قراراته المنهجية الخاصة.

2.4.1. نسق السمات عند جاكبسون

لم ينطلق رومان جاكبسون في صياغة نسق السمات الخاص به من فراغ نظري أو منهجي. بل قام باستعادة أفكار وتصورات سابقة له في حلقة براغ بطريقة مثيرة، كما هو حاله في موضوعات أخرى. والحال هذه، فإن جاكبسون أرسى دعائم نظريته في السمات على أساس ثنائي/ تقابلي. وبذلك تتميز كل سمة على مقابلِتِها بمجموعة من الخصائص. من هنا سرّ تسميتها بالسمات المميزة (Jakobson et al, 1952).

يبدو أنه من المفيد أن نسجل ملاحظة أولية بخصوص تقسيم السمات ودراستها في نسق جاكبسون. وهذه الملاحظة مفادها أن كل السمات تقوم على أمرين: الأول؛ نطقي، والآخر؛ سمعي. فالمتكلم "**أ**" ينتج فونيمات لا يكون لها معنى ووقع إلا عند المستمع "**ب**". إنّ هذا التصور يقطع مع التقليد اللساني السائد في لسانيات المعطى، الذي يقضي بأنه في إمكان اللساني التعامل مع أي لغة باستعمال الأدوات المنهجية الصحيحة في التحليل. ومن الواضح أن للقطع مع هذا التصور فائدة في التحليل، وهي تثبيت ضرورة السمع من جهة، وإقرار ضرورة المستمع الأصلي من جهة أخرى. ويعني هذا أن المستمع الأصلي هو من يستطيع التجريد بصورة دقيقة، طالما أنه يستطيع رصد الفروقات الدقيقة بين الفونيمات، وسنفصل في هذه الفكرة في فقرة لاحقة.

إنّ السمات عند جاكبسون تعتبر كلية، وتوجد في كل لغات الأرض. وقد عدّد هذه السمات في ست عشرة سمة متقابلة (Jakobson et al, 1952)، غير أنّ كل سمة تقوم على أساس تقابلين، سمعي/ نطقي؛ وترجع كل السمات إلى نوعين اثنين، هما: سمات رنينية أي جهرية، وسمات نغميّة أي نبرية. وبالإضافة إلى السمتين السابقتين، يميز جاكبسون بين السمات الأساسية: صائتي/ صامتي، والسمات الثانوية؛ +_جهر، +_همس، تفخيم رقة، +_أمامي، +_خلفي... إلخ. وهو بهذا يحدد كيفية النطق، وموضعه. غير أنّ أهم خطوة منهجية أقدم عليها جاكبسون هي إدخاله للمستوى السمعي في تحديد السمات، فبذلك تتحقق المثنوية التي يرنو إليها في التحليل.

2. القيود الفونولوجية على بينة الكلمة: منظور توليدي

يمكن أن نطرح، بدايةً، سؤالًا منهجًيا بخصوص القيود الفونولوجية في التوليدية، وهو كالتالي: لماذا قرر تشومسكي تغيير مستويات التمثيل، واعتمد على السمات بدل الفونيم؟ وهل لهذا القرار المنهجي انعكاسات في الفهم والتحليل؟

لقد مرّ المنظور التوليدي بمجموعة من التحولات الكبرى في بحثه لتطوير أفكاره النظرية، بداية بالفنولوجيا المستقلة القطع إلى الفونولوجيا المقطعية، وغيرها من القضايا (هاري فاندرهالست، ونورفال سميث، 1992). أما مستويات التمثيل الفونولوجي، فيؤكد تشومسكي وهالي (1965) أنّه إذا وضعنا القواعد (قواعد التمثيل الفونولوجي) على أساس السمات بشكل صارم، يُمكننا حينها اقتراح عملية تقييم فعالة، والتي تميز بين التعميم الصحيح على أساس المستويات الطبيعية، يعني أنّ اللساني يستطيع أن يعتمد على الحدس في هذه المعطيات، عن التعميمات الزائفة، غير المهمة لسانيًا" (تشومسكي وهالي، 1965). من أهم شروط قوة النظرية اللسانية، قدرتها على تعميم النتائج التي توصلت إليها، وهذا الهدف لم يكن ممكنًا في لسانيات المعطى، التي تعتمد على جمع المعطيات وتحليلها. إن شرط التعميم في الفونولوجيا، وغيرها، يقتضي عملية أخرى قبلها هي التجريد، وقد كان تشومسكي واعيًا بأهمية هذا المفهوم في تحقيق التعميم في النتائج المتوصل إليها. وبالعودة إلى القرار المنهجي للفونولوجيا البنيوية الذي يجعل الفونيم معيارًا للتمثيل، ومعيارًا لصياغة القيود وتطبيقها، نجد أن التجريد غير ممكن، أو محدود بصيغة أدق.

إنّ اختيار تشومسكي للسمات الفونولوجية في مستوى التمثيل، وصياغة القيود، والقواعد راجع إلى أن السمات تحقق أقصى دراجات التجريد. وكلما كان الأمر كذلك، تحقق شرط التعميم الصحيح، وتميز من التعميمات الزائفة. غير أنّه يجب التنبيه على أنّ تجاوز حدود معينة من درجات التجريد يقتضي وضع قيود وقواعد لضمان الانتقال السليم من البنية المجردة إلى البنية المنجزة. "إنّه من الضروري أن نكون واضحين إزاء الأدوار المختلفة التي تلعبها السمات المميزة في تكييف نظرية جاكبسون. فمن ناحية، تزودنا، السمات، بنظرية أصواتية كلية، والتي تحدد الخرج الممكن للمكون الفونولوجي لكل نحو توليدي... ومن ناحية أخرى، تحدد السماتُ طبقاتِ المداخل المعجمية بشكل غير مباشر"(تشومسكي وهالي، 1965).

لقد لاحظنا في البداية أن الفونولوجيا البنيوية قبل جاكبسون تركز على البنية في تحليلاتها. غير أنّ التوليدية تخلت عن هذا المفهوم، وغيَّرتْه بمفهوم القواعد. وكل قاعدة فونولوجية توضع وفق الشروط التي تقرّها السمات كما سنرى.

1.2. نسق السمات في النظرية التوليدية

لم يحد تشومسكي وهالي (1968) كثيرًا في تحديد نسق السمات عن نسق جاكبسون. ففي الفصل السابع من كتاب SPE حدَّدا خصائص السمات، ووظائفها، والمشاكل المطروحة في بناء نسق كلي تتوفر فيه الكفاية التفسيرية الضرورية لكل اللغات. إنّ نسق السمات في النسق الصوتي له وظيفتان أساسيتان، هما (تشومسكي وهالي 1968: ص 299):

أ- تصفيف السمات المتقابلة، بهدف وصف التغيرات الفونولوجية الموجودة في اللغات المختلفة. فقد نجد مثلًا سمات؛ عال high، سافل non–high، وصائت voiced، صامت non– voiced... إلخ.

ب- وصف المضمون الصوتي للقطعات المشتقة من البنيات التحتية، وذلك بإجراء القواعد الفونولوجية التي تخولها السمات.

من الملاحظ أنّ هاتين الوظيفتين تكامليتان. إن الخطوة الأولى التي يجب على اللساني القيام بها في معرض تحليله للغة معطاة هي تصفيف مجموع السمات على أساس التقابل، أو التعارض. ومن ثَمَّ، تفعيل النسق نفسه في وصف القطعات السطحية من جهة، وصياغة قواعد فونولوجية تمكن من وصف البنيات المشتقة من جهة أخرى. إنّ هاتين الوظيفتين تفرضان التعاطي مع القواعد ومستويات التمثيل الفونولوجي في التوليدية كخطوة منهجية لاحقة. وهذا يعني أنّها لاحقة من حيث الموضوع، لا من حيث الزمن.

على هذا الأساس، فإنّ نسق السمات في تشومسكي وهالي يمكن كتابته على النحو الآتي (تشومسكي وهالي، 1968):

1- *فئة السمات المميزة الرئيسة*
2- *فئة السمات المميزة التجويفية Cavity*
3- *فئة سمات كيفية التصويت*
4- *فئة السمات الأصلية*
5- *سمات عروضية*

إنّ كل فئة من السمات السابقة يندرج ضمنها عنصران أساسيان: الأول، هو موضع التصويت، أي مكان إنتاج الصوت؛ والآخر، هو كيفية التصويت. فقد نجد أنّ أهم السمات التي أضافها تشومسكي وهالي إلى نسق جاكبسون هي سمات من قبيل: +– سافل، +– عال، +– تاجي، +– أمامي، +– خلفي، +– مستدير، +– مجهور، +– رنيني، تعبر عن العنصرين السابقين... إلخ.

هذا، ويمكن أن نسجل ملاحظة أساسية بخصوص بعض الاختلافات الجوهرية بين نسق تشومسكي وهالي، ونسق جاكبسون، مفادها أنهما استبدلا سمة {+مقطعي} بسمة + صامتي، حيث يندرج تحت هذه السمة كل ما يمكنه أن يشكل المقطع، وهي الصوائت، والمائعات المقطعية، والأنفيات المقطعية، وأشارا إلى الباقي بسمة {– مقطعي} (السغروشني 1987: ص 34).

من الواضح، إذن، أنّ نسق السمات عند تشومسكي وهالي 1968، ليس الغرض منه تصفيف السمات، فقط، عن طريق التقابلات، أو التعارضات كما في نسق جاكبسون. بمعنى آخر، إنّ كل السمات عندهما تندرج ضمن سمة كبرى هي +مقطعي، أو ـ مقطعي، ولهذا التقسيم الذي أحدثاه دلالة في التحليل، ويعني هذا أن موضوع الدراسة ومستويات التمثيل لن تبقى في حدود الفونيم، ولا السمة، بل ستمتد إلى المقطع أو القطعة. إنّ كل مقطع يتكون من سمات متقابلة أو متعارضة، وتظهر دلالة التقابل أو التعارض في تحديد نوع المقطع، أي طبيعة السمات المكونة له. وبعبارة، لقد أعاد نسق تشومسكي بناء نسق السمات ليُصبحَ المقطع، أو القطعة، هو موضوع الدراسة

الفونولوجية، ويعني هذا أن القواعد الفونولوجية سيكون لها معنى في حدود تحليل القطعة، والمقطع، وتشكيلاتهما الممكنة.

2.2. موضوع الدراسة الفونولوجية ومستويات التمثيل

يلاحظ جون هاريس (John Harris) أن التمثيلات الفونولوجية تتضمن نوعين مختلفين من المعلومات أساسًا: النوع الأول، يتكون من القطعات المحددة (segments–specific) والممكنة، التي تم تحديدها بشكل مستقر نسبيًا إزاء الاختلافات في جودة الأصوات. وتتضمن أمثلة ذلك، التاجيات (Coronality)، والاحتكاكيات (Frication)، ثم الصوائت (Voicing). والنوع الآخر، يتضمن العلائق البنيوية أو العروضية[2] (prosodic) بين القطعات في السلاسل الفونولوجية المعبر عنها أصواتيًا بطريقة نسبية، خصوصًا فيما يتصل بوسائط الشدة (intensity)، الزمن (duration)، والنغمة (Tone) (Harris, 2007). لقد أشارت الفونولوجيا التوليدية في نموذجها الأول إلى أنّ التمثيلات يمكن أن تكون خطية (Linear). ويعني ذلك، أن النوعين السابقين من المعلومات مشفرة فونولوجيا بواسطة السمات.

إنّ مسألة تقييد السمات للمعلومات الموجودة في القطعات تحيل على فكرة مفادها أنّه يجب التمييز بين مفهومين: الأول، هو المقطع، وهو مستوى عروضي؛ والآخر، هو القطعة، وهو مستوى فونيمي. بمعنى آخر، ستكون "السمات مقيدة بمعلومات القطعة، بينما ستقيد معلومات المقطع بواسطة المكون البنيوي" (Harris, 2007)، فالقطعة تحددها سمات الفونيمات التي يتكون منها، والمقطع يتحدد حسب البنية التي تسمح بها اللغة في تحديد كلماتها، وهو ما يُطلق عليه مبدأ سلامة التكوين. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن نستخلص نتيجتين من مستويات التمثيل في التصور التوليدي: الأولى، هي أن البحث ينصب على المقاطع والقطعات الممكنة في اللغة، ويعني ذلك أنّ القواعد هي التي تحددها؛ والأخرى، أنّ البحث لن يبقى في حدود الفونولوجيا فقط، بل سيمتد إلى دراسة الوجاهة بين الفونولوجيا والصرف. فالبحث في المقطع هو نفسه بحثٌ في بنية الكلمة. وعليه، فإنّ موضوع بحثها هي، القطعات، والمقاطع.

على هذا الأساس، سيكون لدينا مسوغ للقول بأنّ البحث في القيود الفونولوجية في النظرية التوليدية بات ممكنًا. فقد طورت التوليدية مستويات بحثها في المكون الفونولوجي من منطلق الفونيم، ثم السمات، ثم القطعات، فالمقاطع. وفي كل مرحلة، نستكشف درجة جديدة من التجريد. ويعني ذلك القدرة على تعميم النتائج. إنّ هذا التطور مهّد للخروج من فكرة الحقل المستقل، الذي تصوره رجال البنيوية إلى فكرة أخرى، هي الحقول المتداخلة أو المركبة. وفي هذا المقام، نجد الفونولوجيا متداخلة بشكل كبير مع الصرف، وتقدم مقدّمات لدراسته.

بالرغم من تحديد موضوع الدراسة الفونولوجية في التوليدية يبقى سؤال القواعد الفونولوجية قائمًا. فالفونولوجيا في تصور التوليديين مكوّن له خصائص معينة، ووظيفة معينة في إطار النظرية التركيبية. لذلك، يرى جون مكارثي John McCarthy أنّه "يُنظر إلى الأنحاء الفونولوجية (phonological grammar)، في النظرية الفونولوجية

[2] هنالك من يترجم كلمة prosody ب "تطريز".

للتوليدية كوظيفة بين البنيات العميقة إلى البنيات السطحية. وتُعرف البنية السطحية والبينة العميقة بمستويات التمثيل، ويعتبر الاشتقاق حلقة وصل بين البنيتين" (McCarthy, 2007).

من الواضح أنّ مستويي التمثيل اللذين حددهما مكارثي يكشفان بشكل من الأشكال أنّ الانتقال من بنية عميقة للمقطع أو القطعة إلى بنية سطحية يقتضي مجموعة من القواعد والمبادئ التي تحافظ على مبدأ سلامة التكوين. فالبنية العميقة هي مستوى مجرد، يمثل الخرج الذي يولده المكوّن التركيبي، لكن هذا الخرج يحتاج إلى تخصيص صوتي في البنية السطحية. لذلك، فالقواعد تسمح بتجنب المشاكل التي تطرحها التداخلات السياقية المتنافرة والمتعارضة. وبالتالي، فإنّها تنظم عملية الاشتقاق بين مستويات التمثيل بشكل سلس، وذلك بجعل خرج قاعدة يصلح أن يكون دخلًا لقاعدة أخرى. ولتوضيح هذا، نضرب المثال التالي لاشتقاق بنية سطحية من بنية عميقة سابقة، وكيفية تسهيل القواعد لهذه العملية:

القاعدة الأولى: و ⟵ ø / a ___ a

القاعدة الثانية: aa ⟵ ā

التطبيق العملي للقاعدتين يتحقق على النحو التالي:

التمثيل التحتي (*underlying representation*) da9aw+ a

↓

القاعدة الأولى da9aa

↓

القاعدة الثانية da9ā

يتعين أن يتأخر تطبيق القاعدة الثانية عن القاعدة الأولى لأن مجال انطباق القاعدة الثانية تهيؤه القاعدة الأولى، وعلى هذا الأساس تكون القاعدة الأولى ممهدة للقاعدة الثانية. إنّ هذه القاعدة، من بين قواعد أخرى، لها دلالة واضحة، تفيد أنّ الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية ليس ممكنًا بدون تطبيق القواعد، لاسيما أنها هي التي تسهل هذا الأمر، ومن الملاحظ أن تطبيق قاعدة ليس ممكنًا إلا في سياقات وشروط معينة. ويعني هذا، أن تطبيق قاعدة ما يجب أن يكون سابقًا عن تطبيق أخرى، طالما أنّ الأولى تسهل عملية تطبيق اللاحقة. إنّ السياقات والشروط الفونولوجية تفرض قيودًا في تطبيق القواعد. بهذا المعنى، سيكون سؤال القيود الفونولوجية في التوليدية مشروعًا في سياق البحث.

3.2. القيود الفونولوجية في النظرية التوليدية

قبل البدء في الحديث عن القيود الفونولوجية في التوليدية، يمكن أن نلاحظ بعض الملاحظات الأولية، انطلاقًا من الأفكار السابقة. ومن بين هذه الملاحظات أنّ البنيوية لا تميز بين القيود والقواعد في تحليلاتها. ويعني

ذلك أن القاعدة نفسها هي بمثابة قيد على الفونولوجيا. في حين، أن التوليدية تلجأ إلى وضع القيود لتقييد تطبيق القواعد في سياقاتها المحددة. إنّ هذا الاختلاف راجع أساسًا إلى نقطتين: الأولى، هي التمييز بين مستويات التمثيل؛ والأخرى، هي اختلاف موضوع الدراسة. فالبنيوية تفترض أنّ الفونيم هو المستوى الوحيد للتمثيل، وهو نفسه موضوع الدراسة، في حين أنّ التوليدية تجعل مستويين للتمثيل: سطحي، وعميق. وموضوع الدراسة هو القطعات، والمقاطع. ومن ثمَّ، فهي تحتاج القواعد لتسهيل الاشتقاق (التحويل) بين المستويين، وتحتاج إلى القيود لتقييد تطبيق القواعد في سياقاتها الصحيحة. ولعلّه من المفيد أن نذكّر أنّ التركيب يشرف على هذه العملية في سياقاتها الكلية.

إنّ القيود الفونولوجية في النظرية التوليدية تصاغ حسب القواعد والسياقات الفونولوجية ذاتها. على هذا الأساس، ستركز الورقة على قيد واحد، هو: قيد المماثلة المحلية (Local assimilation). يلاحظ إريك باكوفيتش (Eric) (Bakovic أنّ "السيرورة الفونولوجية تُدعى بالمماثلة، إذا كانت نتيجة تطبيق قطعتين (two segments)، أو أكثر، في بنية، تقبل في قيمتها بعض السمات الفونولوجية، أو فئات من السمات" (Bakovic, 2007).

يمكن أن نستنتج من قول باكوفيتش قيدًا يكاد يكون كليًا وجامعًا لكل القيود، وهو قيد ***إذا كان، فإنّ***"، ويعني هذا أنّ كل القيود التي تتم صياغتها يفترض أن يتحقق فيها البناء المنطقي. فهذا القيد قضية منطقية من مقدمة تستدعي نتيجة بالضرورة. المقدمة يعبّر عنها بـ "إذا كان"، والنتيجة يعبّر عنها ب "فإنّ". وبعبارة أخرى، فإنّ قيد "إذا كان، فإنّ" يشترط تطبيقه وجود السياقات الصحيحة في الفونولوجيا.

وبالعودة إلى قيد المماثلة، فإنّ باكوفيتش يعني به ضرورة تشكيل السمات للبنية النووية للقطعات. ولهذا القيد دلالة في التحليل يمكن توصيفها في الآتي:

مماثلة الفتحة (a–assimilation)

a /a ـــــ {u ، i}

يمكن ملاحظة هذه المماثلة في صيغة الافتعال التي يتحول فيها صوت إلى صوت مماثل له في النطق جزئيًا، وهي على سبيل المثال: اضترب/ اضطرب، واطّتلع/ اطّلع. إنّ قاعدة المماثلة لا يمكن أن تطبق إلا وفق سياقات محددة تحددها وقائع اللغة الصرفية على وجه الخصوص. ففي المثالين السابقين، يمكن لهذه القاعدة أن تطبق على صيغ الافتعال التي تُماثل بها أصوات أصواتًا أخرى قريبًا منها وفق قيود محددة.

خاتمـــــــة:

يبدو من العرض السابق للقيود الفونولوجية بين البنيوية والتوليدية، وما يرتبط بها من موضوعات أخرى، أنّ النظريتين قد أسست أولاهما للثانية بشكل من الأشكال. فقد كان السؤال الأساسي في البحث هو الكشف عن المشترك داخل الاختلافات النظرية والمنهجية. وفي الحق أنّ المقدمات النظرية الأولى انعكست على تحديد الموضوعات، ومستويات التحليل، ومن ثمَّ الاستنتاجات. بمعنى آخر، لقد اهتمت البنيوية في دراساتها الفونولوجية بمفاهيم من قبيل: البنية الفونيمية، والإجراءات المنهجية لوصفها وتفكيكها. وعلى هذا الأساس، صاغت قيود الفونولوجيا على البنية التي تصورتها. إن القيود التي وضعها تروبتزكوي هي بمثابة قواعد تحدد إجراءات التوليف (أي التوليف بين صوتين فأكثر)، والاستبدال (أي استبدال صوت بصوت آخر لتوليف كلمة جديدة من قبل: عاد/

صاد)، والتعارض (أي التعارض بين صفات الفونيمات المتقاربة من قبيل: الجهر/ الهمس، والتفخيم/ الترقيق) بين الفونيمات بشكل خطي بسيط. في حين، كانت القرارات النظرية والمنهجية للتوليدية أكثر تعقيدا، ويعني هذا إنها انطلقت من افتراض أساسي، هو كون المكون الفونولوجي جزءًا من نظرية كليّة للتركيب، وقد كان هذا الافتراض سببًا في النقد الذي تعرضت له التوليدية من آخر البنيويين.

من جهة أخرى، ذهب البنيويون إلى أنّ الفونيم هو مستوى التمثيل الوحيد. وبذلك، فالفونولوجيا مستقلة تمامًا عن مكونات اللغة الأخرى. إنّ هذا الافتراض جعل القيود الفونولوجية في البنيوية بسيطة، ولا يمكن تعميم نتائجها على لغات أخرى. ولعل هذا ما جعل رومان جاكبسون ينطلق في صياغة نظريته للسمات المميزة. إنّ هذه النظرية كانت حلقة الوصل الممهدة لتطوير أفكار الفونولوجيا التوليدية في النسق الصوتي وما بعده. فمستويات التمثيل عندهم مستويان: سطحي، وعميق. وللقواعد دور في إعطاء تخصيصات صوتية في البنيات السطحية، للبنيات العميقة التي يولدها التركيب. بهذا المعنى، يكون للاشتقاق دور في الربط بين المستويين، وللقواعد دور آخر في تسهيل عملية الانتقال من دخل إلى خرج، وللقيود الفونولوجية دور آخر في تقييد سياقات تطبيق القواعد. وقد عبرت الورقة عن هذا بقيد المماثلة على وجه الخصوص.

المراجـــــــــع:

السغروشني، إ دريس (1987). *مدخل للصواتة التوليدية*، الدار البيضاء: دار توبقال للطباعة والنشر.

فان درهالست، هاري، وسميث، نورفال (1992). *الفنولوجيا التوليدية الحديثة*، تر: مبارك حنون، وأحمد العلوي، الدار البيضاء: دار النجاح الجديدة.

غلفان، مصطفى (2013). *اللسانيات البنيوية: منهجيات واتجاهات*، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

Anderson, S. (1985). *Phonology in the twentieth century: Theories of rules and theories of representations*. Chicago: University of Chicago press.

Bakovic, E. (2007). Local assimilation and constraint interaction. In P. de Lacy (2007). *The Handbook of Phonology* (pp335-352). Cambridge: Cambridge University press.

Benveniste, E. (1971). *Problems in general linguistics*. Cambridge: Cambridge University press.

Chomsky, N., & Halle, M. (1965). Some controversial questions in phonology. *Journal of Linguistics, 1*(2), 97-138. DOI: 10.1017/S0022226700001134.

Chomsky, N., & Halle, M. (1968). *Sound pattern of English*. New York: Harper and Row.

Jakobson, R. et al (1952). *Preliminaries to speech analysis: The distinctive features and their correlates.* Massachusetts: M.I.T. press.

John, H. (2007). Representation. In P. de Lacy (2007). *The Handbook of Phonology* (pp 119-138). Cambridge: Cambridge University press.

John, M. (2007). Derivation and levels of representation. In P. de Lacy (2007). *The Handbook of Phonology* (pp 99-119). Cambridge: Cambridge University press.

Lacharite, D., & Paradis, C. (1993). The emergence of constraints in Generative Phonology and a comparison of three current constraint-based models. *Canadian Journal of Linguistics*, *38*(2), 127-153.

Mathews, P. (2011). *A short history of linguistics*. Cambridge: Cambridge University press.

Trubetzkoy, N. (1969). *Principles of phonology.* (Baltaxe, C., Trans.). California: University of California Press.

Phonological Constraints on the Structure of Word in Linguistic Theory: From Structuralism to Generativism

Soufiane Ouaki
Linguistics researcher, Mohammad V University, Rabat
ouaki.soufiane19@gmail.com

Prof. Mohammed Marzooq
Professor of linguistics, Mohammad V University, Rabat
medmerz@hotmail.fr

Abstract
This research aims to reveal the phonological constraints on the word structure in both structural and generative theories by studying a set of their theoretical and methodological perceptions to understand the constraints that describe and explain the word structure in language. This paper is inspired by a number of theoretical and practical studies like the structural works of Jacobson and Trubetzkoy and the generative studies of Chomsky and Halle. It follows the analytical descriptive method according to which this paper is divided into two sections: the first reveals the nature of phonological constrains in structural perspectives, whereas the second deals with the same question in generative perspectives. This study also includes a brief comparison between the two perspectives. By tracing the historical developments of this research problem in both theories, a link between these theories is found and can be described as the point of connection and separation in the development of perceptions of phonological constraints on the structure of the word. Chomsky and Haley started in their (1968) reference book from the point where Jacobson stopped specifically in the theory of feature to connect the research in the same problem, but at the same time, they broke with other levels of research. In this sense, the research on the phonological constraints in these theories started from the connection to the separation in the method, perceptions and conclusions.

Paper Information
Received:02.04.2023
Accepted:21.05.2023

Keywords
phonological constraint, phoneme, features, phonological representation

النظرية من وراء التطبيق: تدريب المترجمين أم تعليم المترجمين؟

The Theory behind the Practice: Translator Training or Translator Education?

Silvia Bernardini
Professor, Department of Interpreting and Translation
University of Bologna, Italy

ترجمة أ.د. حسين علي حبتور
أستاذ اللغويات التطبيقية بقسم اللغة الإنجليزية، كلية التربية عتق
جامعة شبوة

1. المقدمة: سائقو الإسعاف وبائعو المثلجات (Ice-cream)

لمناقشة موضوع هذا البحث، وبالتحديد مناقشة العلاقة بين برامج مراحل مختلفة لمحترفي اللغة لن يتسنى لنا إيضاح ما هو أفضل من معرفة مهنة الترجمة، وكيف تبدو في عالمنا اليوم؟ وحتى يكون حديثنا أدق يجب معرفة الموقف الحالي من الترجمة وما هو مفهومها؟ وفي هذا السياق أظن أن جامبير Gambier يرى أن " كاتب اللوحات والمترجم الطبي يختلف أحدهما عن الآخر بنفس القدر الذي يختلف فيه سائق الإسعاف عن بائع الآيس كريم على الرغم من أن كليهما يستخدم السيارة في عمله" وهذا يُظهِر بجلاء موقفًا شائعًا تجاه مهنة الترجمة وبالنتيجة يُظهر موقفًا تجاه تعليم مترجمي المستقبل.

إن مضمون هذه العبارة كما أظن أن كاتب اللوحات الإعلانية والمترجم الطبي لا يواجهان مهام مختلفة في عملهما، بل القلة من ينكرون هذا، وقد قارنَّا هنا بين مهارات الترجمة العامة وآلة السيارة، وما تنطوي عليه هذه العبارة ضمنيًا من أن مهارة الترجمة من الممكن أن تُتَعلَّم بشكل تلقائي بالكيفية نفسها، والتي يتم بها تعلم قيادة السيارة. ويجب أن تتعلم هذه المهارات بمرونة (وتشرح العبارة ضمنًا بأن يتم تعلُّم هذه المهارات بمرونة؛ لأنها سهلةٌ من منظورٍ إدراكي، ولكني أدع النقاش في هذا الموضوع جانبًا في الوقت الحالي)؛ لأجل اكتساب المهارات الدقيقة الخاصة بالمهنة، أكانت كتابة اللوحات الإعلانية أو الترجمة الطبية. فالسجل المهني للمترجم، وبعبارة أخرى، هو فقط في حده الأدنى يتم من خلال مهارات الترجمة العامة: المادة العلمية، والمعوقات الوظيفية لعمله تؤدِّي دورًا مهمًّا في مهنته أكثر من المقدرة العامة على الترجمة. وخلاصة القول إنَّ ما يجب على المؤسسات المهتمة بتعليم محترفي اللغة واضح، وهو: التخصص في كل الأحوال.

لم تكن نيَّتي خوض هذا النقاش المختصر بل هي نقاش نقد جامبير الذي لم تكن وجهة نظره كما أعتقد متناقضة مع هذه الآراء التي نوقشت أعلاه. هذه العبارة المقصود منها تلخيص وجهة النظر حول الترجمة، والتي تكون أساسًا لمواقف وسياسات متعلقة بالترجمة في مستويات عدَّة، وهذا في أوروبا في أقل تقدير. ولنأخذ في الاعتبار الموقف الذي اتخذته مؤسسات الترجمة التابعة للمفوّضية الأوروبية على وجه الخصوص، في كتيب

©2023 SHABWAH UNIVERSITY JOURNAL

بعنوان: (تعدد اللغة والترجمة: خدمات الترجمة للمفوضية الأوروبية)، والذي نشرته المفوضية الأوروبية؛ إذ جاء في الكتيب أن المتقدمين لفترات التدريب والوظائف الدائمة في حد سواء لا يتوجب عليهم التمتع بخلفية تعليمية في الترجمة: ومن يودُّ أن يكون مترجمًا يتوجب عليه الحصول على الدرجة الجامعية، والمعرفة التامة بلغته الأم، والمعرفة المتعمّقة بلغتين أخريين رئيستين من لغات الاتحاد الأوروبي، متضمنة إما الإنجليزية أو الفرنسية (ص 9–11). ولم يكن هنالك ذكر البتة لخلفية تأصيلية لعلم اللغة أو لنظريات الترجمة و/ أو التطبيق.

الخبرة الاحترافية كوسيط في اللغة تعطي الاعتراف نفسه الذي يمنح للخلفية الاقتصادية والمالية والقانونية إلخ... إن التدريب الذاتي (ص 17)، يظهر لنا الصورة نفسها: الإلمام بالتخصص، ومهارات الكمبيوتر، والمعرفة اللغوية هي في حقيقة الأمر الخصائص التي يتم التركيز عليها.

وإذا كان هذا هو الحال فيما يعد ربما أجود مؤسسة وأكبرها للترجمة في أوروبا فلا غرابة فيما بعد لو وجدت الصورة نفسها في الجانب الآخر، أي المستويات المحلية. ومن خلال استبانة وزعت على رجال أعمال إيطاليين خلال دراسة أجريت حول سوق العمل للترجمة في منطقة إيميلا رومانقا، وهي منطقة نشيطة اقتصاديًا في إيطاليا، راجع تشايرو ونوسيلا (Chairo & Nocella1999, ص 365)، أظهرت قلة اهتمامات مماثلة بالمهارات التخصصية للترجمة. وقد استنتج الباحثان أن: أ) ربع من أجروا معهم مقابلات أكدوا أنهم يعيّنون موظفين ذوي خبرات متوسطة لغويًا لأعمال متعلقة بالترجمة، ب) وأن حوالي 54% من هؤلاء الموظفين في الواقع لا يوجد لديهم تعليم نظامي في تخصصات علم اللغة أو الترجمة. وعندما سئل رجال الأعمال هؤلاء إن كانوا يتفقون مع العبارة التالية: ((الترجمة سهلة إذا كنت تعرف التحدث بلغتين)) فأجاب 51 % منهم بإجابة (أوافق أو أوافق بشدة) فيما أجاب 27 % منهم أيضًا (بلا أوافق أو لا أوافق بشدة). وفي ملاحظة باعثة على التحدي فإن ثلاثة أرباع الذين تمت مقابلتهم أكدوا أن معرفة لغة الحقل الذي يختصون فيه مهمة. وقد أعرب الباحثان عن دهشتهما إن كانت الفروق الثقافية متساوية بالقدر نفسه من الأهمية، خاصة فيما يتعلق بمنتجات التسويق؛ فالأشخاص الذين كانوا في مهمة المشاركة في هذا الاستطلاع لم يكونوا مدركين لهذه الإمكانية.

يبحث أصحاب العمل دومًا عن محترفين في التخصص وبإتقان للغة أجنبية أو أكثر إلى جانب اللغة الأم وربما مع بعض المعرفة للغة المهنية للتخصص وإلمام جيد بالحقل الذي يعمل فيه ومعرفة بعض مهارات الكمبيوتر. وهذه تبدو بلا شك مطالب معقولة، ولربما تعجَّب المرء من أن الهدف الرئيس أو الأوحد للمعلمين هو تدريب طلابهم على عدد من الكفايات والمهارات الخاصة لتلبية حاجة سوق العمل. وفيما سيأتي سوف أفترض في عملهم ذلك أنهم ربما يقدمون خدمة سيئة للطلاب ولأرباب العمل المستقبليين؛ فتدريب شخص ما على نقل المعلومة هو بالمقارنة عملية سهلة وسريعة، ولكنها عملية صعبة الإنتاجية. ومن جهة أخرى فإن تعليم الطالب بحاجة إلى الوقت والجهد معًا، ولكن باستطاعتنا الثقة بأنه سيذهب للعمل، ويتعلم ما تبقى بنفسه.

لقد قدَّمت للتو شيئًا من التوجس، فكرتين رئيستين لهذا البحث، هما التدريب والتعليم. وسوف أشرع في شرح فهمي الخاص لهاتين الفكرتين خصوصًا لارتباطهما بأوليَّات برامج منهاج الترجمة في المراحل الجامعية والدراسات العليا.

2. تدريب المترجمين أم تعليم المترجمين؟

وفقًا لرأي ويدوســـن (Widdowson1984: 201– 212) يجب أن يكون هناك تمييز في ميدان تعلم اللغات بين التدريب والتعليم (وأنا من مناصري فكرة وجود هذا في كل ميادين التعليم). الهدف الرئيس للتدريب هو إعداد المتعلمين لحل المشـكلات التي يتم تمييزها سـلفًا، من خلال إجراء الامتحان القبلي pre–test، أو من خلال إجراءات مكتسبة، والتعلم من خلال التدريب هي عملية تراكمية من خلالها يتوجب على الدارس أن يستجمع معارف متفرقة في إطار واحد ضمن الحقل الذي يُدَرّبُ فيه. وهذا منهاج مناسب لعملية التدريس في ميادين كحقل الإنجليزية للأغراض الخاصـة ESP، وتحديدًا عندما تتطابق إلى حد كبير كل من الأهداف الأساسية للمنهج مع الأهداف الطويلة الأمد للعملية التعليمية للترجمة. إن أحد الأمثلة في أقصـــى مدى وبشـــكل واضـــح المثال الذي ضـربه ويدوسـن لأحسـن وضـعية للتعلم هي تعلم اللغة "لأغراض التحكم بحركة الطيران". ومن جهة أخرى فإن الهدف الأعمق للتعليم هو دعم القدرات الذهنية للفرد وتنميتها، وكذلك المواقف والميول التي تضـــعه في مكانة تؤهله للتماشـــي مع أكثر المواقف المهنية اختلافًا وتنوعًا. إن التعلم في أي إطار تعليمي ينظر إليه بأنه عملية توليدية، لا لكونه عملية تراكمية، هدفها تنمية القدرات لتوظيف المعارف المكتسبة سلفًا كحل المعضـلات الجديدة وكسب معارف جديدة كلما اقتضت الحاجة.

وبتعبير آخر فإن القدرة على اســـتخدام مصـــادر محدودة لأغراض غير محدودة هي نتيجة للتعليم لا للتدريب. وهذا المنهج صـــالح لتدريس اللغة للأغراض العامة، التي تكون فيها الأهداف قريبة الأمد للبرنامج التعليمي لا تنسجم مع أهدافه بعيدة الأمد؛ كون الأهداف قريبة الأمد تعطي المتعلم الوسائل لتحقيق الأهداف بعيدة الأمد.

إن الفرق بين التدريب والتعليم يســاعدنا في إلقاء الضـــوء على أوليات تدريس الترجمة، وكذا في التمييز بين برامج المراحل الجامعية الأولى، وبرامج المراحل الجامعية العليا. وفيما تبقى سنعرض بالشرح ما هي الأهداف (القريبة الأمد) والأهداف (البعيدة الأمد) لكل برنامج تعليمي، وهل هذه الأهداف تنســجم مع بعضـــها؟ ولأجل هذا كله يجب علينا تحديد الشـــيء الذي يحتاج إليه المترجمون المحترفون بشـكل واضـــح وما يمكنهم تحقيقه في كل مرحلة من مراحل تدريبهم.

3. الأولويات التربوية لتدريس الترجمة: إعداد مترجمين محترفين مدركين وغزيري المعرفة والتفكير

لأسـباب قد ناقشـتها في موضـع آخر وبشـكل مسـتفيض من هذا الكتاب (برناردیني 2000)، وهي ما يتوجب عليّ تلخيصـــه هنا، فإنني أرى أن المترجمين المحترفين في حاجة إلى مزيد من الإدراك والتفكير وغزارة المصادر، وأفصلها فيما يأتي:

1– (الإدراك): يجب أن ينمي المترجم المقدرة النقدية لديه، والتي "لا تتم ببسـاطة من خلال اللغة عبر النظر إلى محتوى الرسـالة، بل يجب النظر من خلال اللغة، للطرق التي من خلالها صـيغت ونسـقت الرسـالة" كارتر (Carter 1993 ص 142). يتوجب على المترجم الذهاب إلى أبعد من مجرد فهم الكلمات والنصـــوص، وأن ينظر إلى اللغة بوصـــفها شـــبكة من الخيارات المترابطة معًا وهي تتأثر بالثقافة التي تنقلها وتؤثر فيها، وهذا الوعي بمثابة الخطوة الأولى نحو موقف احترافي وأخلاقي تجاه المهنة الخاصـــة بهم، وكمتعلمين فهم

يدركون أنهم ليســوا مجرد "ناقلي شــفرة لغوية"، يقومون بإبدال كلمة مقابل كلمة أخرى، ولكنهم بناة للمعنى، ناقلون للثقافة.

2- (التفكير): من المهم جدًا للمترجم تنمية المقدرة على ممارســة إجراءات خاصــة بميدان الترجمة وتخزينها واســتخدامها. وفي تقديري لا يوجد هناك اتفاق على ماهية هذه الاســتراتيجيات، وفي الحد الأدنى فإن تحليل النص واستراتيجيات القراءة والكتابة ومهاراتها من الأشياء ذات الصلة. فإدارة المشاريع والأعمال الجماعية لديها من يؤيدها، وهناك الكثير والمتنوع مما كتب في مجال الاســتراتيجيات الخاصــة بالترجمة، راجع تشــسترمان (1998Chesterman)، كســمول (Kussmaul 1995)، وكذا ما كتب عن تأصــيل عملية الترجمة بشكل عام).

3- (غزارة المصــادر): يجب أن يكون هناك اهتمام يوجه نحو تعزيز القدرة على اســتغلال المصــادر المحدودة بطريقة أوســع وأشــمل (كالكفايات والقدرات)؛ لتتواكب مع التحديات الجديدة وغير المتوقعة، وكذا اكتســاب مصادر بشكل ذاتي كلما اقتضت الضرورة.

ربما تكون هذه القائمة المذكورة أعلاه غير شاملة ولا إجرائية، بمعنى أنه لا يزعم أحد تطبيقها في أي منهج فعلي للترجمة. وعلى أية حال فإنني أعتقد أن بها ميزة، وهي: أنها تؤكد على النقطة الأساسية التي أريد الإشارة إليها في هذا البحث، وهي بالتحديد أن أوليات برامج الترجمة يجب التعامل معها من خلال التركيز على تعزيز القدرات، لا لغرض اكتساب الكفايات. وإذا ما اتفقنا في مصطلحات فضفاضة على الأهداف الرئيسة بعيدة المدى يجب علينا عند التخطيط لبرامج جامعية للترجمة أن نضــع في الحسبان تعريف هذه الأهداف من خلال الإدراك، التفكير، وغزارة المصــادر. ومن هنا فإننا نصــل إلى أن الأهداف البعيدة المدى وكذا الأهداف القريبة المدى من خلال التعريف، لا يمكن أن تنسجم، أو بعبارة أخرى إننا نتعامل مع نمط تدريس ذي تأصيل تربوي.

ومثل هذا التدريس يأخذ قدرًا من الوقت، ولا يمكن أن يقطع بعد فترة وجيزة، من شــأنه أن يجعل مترجم المستقبل مدركًا للطرق التي على أساسها تعمل اللغة والنصوص اللغوية من خلال استخداماتها ومعانيها المتطابقة والخفية، وهو ما يدفعه لتعلم البحث عن مثل تلك المعاني في أي مهمة يواجهها، ويســتطيع بعد ذلك معرفة ما إذا كانت معلوماته أو مهاراته غير كافية، وكيف يستطيع اكتسابها بالسرعة والفاعلية المطلوبتين.

إن دور التقنية في هذا السيناريو تبدو حاسمة، ولكن ليس بالقدر المباشر كما يُعتقد عمومًا. الممارسة على اســتخدام أحدث الأجهزة الإلكترونية أو آلات الترجمة يجب ألا ينظر إليه بشــكل أســاســي بأنه تعزيز للكفايات (بمعنى كيفية التعلم على هذه الأجهزة المعنية لمعرفة كيفية اســتخدامها)، ولكن كأدوات تحقق أهدافًا تعليمية، كما ذكر أعلاه (بمعنى أنها لتطوير الاســتراتيجيات التي من الممكن تطويعها في التعلم لاســتخدام أي آلة أخرى مســتقبلًا). إن الحكمة من وراء هذه الممارســة هي عادية: إن الأجيال الأخيرة من آلات التكنولوجية لها محاســن، منها على وجه العموم سهولة التحكم بها، ولكنها سرعان ما أصبحت مهجورة؛ فهي تضاعف بشكل غير مستحب كلًا من الوقت في حجرة الدرس والجهد في أي برنامج من برامج الترجمة، وللأسف فإن أي آلة ترجمة ستستغرق شهرًا ونيفًا لإتقان العمل عليها في حين يكون المتدرب مُحفّزًا وغزير المصادر.

يشاطرنا الرأي في هذه الفكرة براين ماسوب (Brain Massop 1999) أستاذ بكلية الترجمة، جامعة يورك ومسئول مكتب الترجمة التابع للحكومة الكندية، والذي أثار الفكرة الآتية بشكل لاذع، خلال المنتدى الذي عقد على الإنترنت حول تعليم الترجمة الذي نظمه أنطوني بيم (A. Pym) في ربيع عام 2000م.

> حسنًا، ما هي القدرات التي يجب تعليمها في المدرسة، إنها القدرات التي تستغرق وقتًا طويلًا في التعلم: كترجمة فورية لنصٍ ما، وكتابة نص لمسوَّدة ترجمة متماسكة ومقروءة متلائمة مع المتلقي، وكذا البحث والتصحيح. أما في الوقت الراهن فيسمع المرء دومًا عن الحاجة الفعلية التي يريدها الطالب، وهي المهارات اللازمة للتحكم في وثيقةٍ ما، مركزة على توطين برامج السوفت وير "Software Localization"، والتحرير من خلال الكمبيوتر وغيره مما يماثله. إنني أقول إن هذا هُراء، فإذا لم يكن باستطاعتك الترجمة من خلال الورقة والقلم فليس بمقدورك الترجمة من خلال أحدث تكنولوجيا المعلومات.

لن أحمل هذه الفكرة أكثر مما تحتمل، وإنني آمل أن تجلب هذه النقاشات إلى السطح بعض الأسباب إلى النظر بعين الريبة إلى سياسات القبول للمجموعة الأوروبية للمتقدمين للترجمة، والتي على أساسها فإن خريجي الترجمة لا تتوفر لهم المكانة الرفيعة بالمقارنة مع خريجي التخصصات الأخرى، ومثل هذه السياسة مثيرة للجدل على الصعيدين النظري والتربوي؛ لأنها أولًا: تؤكد ضمنيًا أن ما شملته فترة دراسة خريجي الترجمة خلال السنوات الثلاث أو الأربع، بما في ذلك رفع مستوى إدراكهم، وغزارة مصادرهم، والمقدرة على التفكير. كل هذا من الممكن استبداله بالممارسة وبالتدريب التقني الاحترافي، ودونما أثر حقيقي على عمل المترجم. ثانيًا: وهذا الإجراء يبدو أنه يخفي وراءه مفهومًا متدنيًا للترجمة ولمهنة المترجم نفسها، ويتضمن بالفعل أن بالإمكان تدريب أي فرد لكي يترجم بالكيفية نفسها، التي يتم بها تعليمه قيادة السيارة، من خلال مقدمة قصيرة عن أدوات المهنة إضافة إلى بعض الممارسة. وهذا الوضع يعزز النظرة السائدة للترجمة بأنها نشاط ميكانيكي لإبدال كلمات من لغة ما بكلمات في لغة أخرى، وعن هذا الموضوع دار نقاش مستفيض خلال العشر أو العشرين سنة الماضية بين منظري الترجمة ومعلميها، والذي يبدو أنه كان ذا أثر قليل الجدوى.

4. متابعة الأهداف التعليمية: بعض المزالق

لقد حرفتنا مناقشات الأوليات التربوية لتدريس الترجمة عن مسارنا الرئيس وهو الحديث الذي أود الآن العودة إليه. إن لب الحديث فيما تقدم عن أن الترجمة نشاط يتطلب محترفين متعلمين لا محترفين مدربين. وبما أن التعليم في مجال الترجمة يُعد أمرًا انتظاميًا يقود الى التخصصية، وهو ما يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين؛ إذ ينبغي ألَّا يُحط من قدره إلى مصاف البرامج الثانوية وغير الأساسية. بل من المهم أن تتمحور برامج المراحل الجامعية عن الأهداف التعليمية بالتركيز على اكتساب الإدراك وغزارة المصادر والتفكير. والطرق الممكنة لتحقيق هذه الأهداف يجب أن تعطي تفكيرًا جادًّا، كما أن تعليم الترجمة لا يزال في مرحلة طفولته، وهو في حاجة إلى تنظير جوهري. وبدون الخوض في نقاش متعمق من المهم الإشارة إلى خطرٍ واحدٍ، يبدو أنه متعلق بالنقاش أعلاه، فهناك نزعة عند الممارسين في حقل الترجمة هي اعتقادهم أن الطريقة المثلى لتدريس الترجمة لطلاب المراحل الجامعية هي استنساخ مواقف مهنية محتملة. وهذا ربما يكون ردة فعل تجاه الاتهامات القادمة من سوق

العمل بأن مقررات الجامعة جافة ومنسلخة تمامًا عن العالم الحقيقي، وأكاديمية وغير مساعدة على الاحترافية، إنني أعتقد أن هذا هو رد فعل خاطئ، وأكرر مرة أخرى إنه يخفي وراءه نظرة ازدراء للترجمة. وكما أشرت في موضع آخر (2000 برناردیني) فيما يعرف (بالأنشطة الإستنساخية)، أي الأنشطة التي تحاول تقليد مواقف العالم الحقيقي داخل حجرة الدرس، التي من المحتمل أن يشارك الطلاب فيها حال تخرجهم، وهذه ذات جانب خداعي، أي وسط تعليمي، له مميزاته الزمانية والمكانية. وهناك بعض من علماء اللغة التطبيقيين يطرحون بشكل مقنع ضد الاتجاه الواسع الانتشار في إطار مذهب تدريس اللغة التواصلي، ومن بين هؤلاء ويدوسن (1984، Widdowson2000) وبرين (Breen 1985)، ووفقًا لرأي برين، فإن نشاط التعلم الحقيقي هو ذاك الذي يوظف المواقف الاجتماعية المحتملة في الحجرة الدراسية، وكذا اهتمامات الطلاب الرحالية، وليس مشاكلهم المستقبلية المحتملة. وعليه فإن رأيه هو أن "أحد الأنشطة الحقيقية في درس اللغة هو التواصل حول كيفية ما هو السبيل الأفضل لتعلم التواصل نفسه". يجب أن يتنبه المرء إلى ألَّا يخلط الوسائل بالغايات، أو أن يعتقد بأن الطلاب إذا أرادوا تحقيق هدفٍ ما، أو أرادوا أن يصبحوا قادرين على تنفيذ نشاط ما فإنه يكفي ممارسة مثل هذا النشاط، ذات الهدف المتأصل. مثل هذا الاعتقاد خاطئ من النظرتين الإنتاجية والعملية؛ لأنه أولًا: ربما لن يؤدي إلى الأثر المنشود؛ لأن الهدف الأساسي ليس حفظ إجراءات جامدة، ولكن تطوير استراتيجيات مرنة، وثانيًا: ألا توضع في الحسبان العوامل التطورية والبيئية: المتعلمون لا يزالون غير محترفين، وليسوا بالسن نفسه، ولا الخبرة نفسها، وعليه ربما يفشلون في أن يعطوا مثل هذه المهام، ولن يكونوا قادرين على تحقيقها، وعلى استنباط الدروس التي يتوقع المدرس منهم استنباطها.

وعوضًا عن محاولة المستحيل في الطلب من المتعلمين تمثيل دور المترجمين المحترفين، واستخدام الصف بمثابة منصة تمثيل، ربما من الأفضل التعامل معهم بأنهم متعلمون، وإعطاؤهم الفرصة لتطوير تلك المهارات والكفايات التي لا يمكن أن يكون لديهم الوقت الكافي لممارستها أثناء تدريبهم المهني، من خلال الأنشطة الخاصة بالفصل الدراسي، والتي سيكون حدوثها أو ظهورها في الحياة المهنية محددًا، وهي مصممة لأن تكون مناسبة تربويًا ووضعيًا. وكما يوحي الاسم فإن أنشطة أداء الأدوار هي مثل النصوص التي يطلب من الطلاب التدرب عليها في التحضير للمسرحية.

ولكن هذه النصوص ليست بالأشياء التي يستطيع الممثلون القيام بها، بل لا يسمح لهم أن يغيروا فيها كثيرًا، وهو بالتحديد ما يتطلب من مترجمي المستقبل عمله في مهنتهم، وسيكونون كتاب مسرح وليسوا ممثلين.

إنه الآن بات واضحًا لما أعتقد أن الأنشطة المستنسخة تنتمي إلى التدريب لا التعليم؛ لأنها تنطوي تلقائيًا على نظرةٍ دونية للمهنة، ويجب أن تعطي مساحة محدودة في برامج الترجمة لمراحل الإعداد الجامعي.

5. تدريب المترجمين: مثال إيطالي

يجب ألَّا تُعطَى النقاشات السالفة ضمنيًا انطباعًا بأن التكنولوجيا، والواجبات الحقيقية من واقع الحياة لا فائدة منها. أود أن أوضح أنه يجب عدم تبنيها بدون انتقاد على أساس ضغط سوق العمل غير المعزَّز تعليميًا خاصة في برامج الترجمة في المرحلة الجامعية (إن اعترافي هذا لا ينطبق، على سبيل المثال على تبني كيرالي (2000) واجبات الترجمة الواقعية (Authentic) في برنامجه الخاص بالترجمة، والذي يعد معزَّزًا بشكل كامل

بمنهج التركيب الاجتماعي التربوي التي لأجلها أعدت). ولأجل رفع إدراك المتعلمين وغزارة مادتهم وكذا قدراتهم على التفكر فإن بعضًا من تكنولوجيا المعلومات تصبح مهمة بالتأكيد، ولكنها يجب أن تُقدَّم بأنها وسائل لأجل غايات، وليست غايات في حد ذاتها. إن إدراك الميول الحالية في المهنة يجب ألَّا تعاق، وكما أسلفنا فإنها ربما تساعد المتعلمين في الشعور بالثقة أكثر بقدراتهم، وتجعلهم يشقون الطريق من المحيط التعليمي إلى المحيط المهني بسهولة، ولكن يجب ألا تصبح هذه من الأوليَّات.

وإذا ما تعلم الطلاب من خلال برنامج تعليمي قوي، (أي بمعنى أنه طويل ويتطلب جهدًا ذهنيًا وثقافيًا)، فإنهم سيكونون على استعداد قوي للترجمة عمليًا. وأعتقد أيضًا أن برامج الدراسة العليا يجب أن تهتم بهذه الخاصية من خلال مراجعة تحقيق الأهداف التعليمية التي نوقشت سابقًا، ولكن هذا يُظْهِر ضمنيًا أن خريجي الترجمة الجامعية فقط ستكون لديهم الفرصة للالتحاق ببرامج الترجمة في المراحل العليا. وهذا ليس واقعًا إلا إذا كان كلٌّ من برامج المرحلة الجامعية والمراحل العليا للترجمة قد صممت على أساس الوحدات الدراسية Modules مرتبطًا بعضها ببعض ارتباطًا قويًا. ويبدو أن نظام الجامعات في إيطاليا متقدمًا في اتجاه هذا النمط من الارتباط، متعقبًا الإصلاحات في نهاية القرن العشرين.

جرت العادة في إيطاليا أن تستمر برامج المرحلة الجامعية أربع سنوات، تنتهي بما يشبه أطروحة الماجستير، ولم يبق إلا النزر اليسير في طريق التخصصية أو مرحلة الدراسة العليا. لقد اتبعت برامج الترجمة والترجمة الفورية نموذجًا مشابهًا وهو ما يعرف بـــ (model Y) "نموذج واي": في العامين الأولين يشترك كل الطلاب، وبعد ذلك يتشعب البرنامج ويتخصص الطلاب إما في الترجمة أو الترجمة الفورية. وللأسف وكما يدعي "أنطوني بيم" في دراساته الميدانية حول معاهد تدريب الترجمة فإن هذا النموذج يعاني من "القسوة وعدم المقدرة على التكيف مع بعض أساليب الترجمة الأكثر تخصصية".

الإصلاح يعني تغيير النظام الجامعي في إيطاليا كله. وعوضًا عن برنامج المرحلة الأحادي فكل مرحلة دراسية مقسَّمة على جزئين متعاقبين، وبنهاية السنوات الثلاث الأولى يمنح الطالب درجة بكالوريوس (B.A.) عامة، ومن ثم يمكنه المواصلة للحصول على ما يشبه درجة الماجستير (M.A.)، والتي تستوجب القيام ببحث مستقل. وزيادة على هذا فالنظام القاسي القائم على أساس الامتحان، الذي انتقده انطوني بيم قد استُبدِلَ بنظام قائم على أساس الساعات؛ إذ يجد فيه كل من الطالب وكليته والوزارة نصيبًا من الخيارات. والخيارات هذه لا تشتمل على البرامج المقدمة للدراسة، بل على بدائل الخبرة القائمة على تقديم الساعات المعتمدة، مثل التدريب العملي، وبرامج التبادل الدولي... إلخ.

وفيما يخص البرامج والدرجات العلمية للترجمة والترجمة الفورية فإن درجة السنوات الثلاث في حقل "التفكر اللغوي" يهدف إلى تقديم:

- كفايات لغوية وثقافية منطوقة ومكتوبة بشكل رصين في لغتين في أقل تقدير.
- خلفية عامة في كل من حقول الاقتصاد، والقانون، والتاريخ، والسياسة، والأدب، وعلم الإنسان الاجتماعي.
- فهم جيد بميادين التخصص، التي من المحتمل للطالب العمل بها (وهذا يعتمد على الوضع الاقتصادي والاجتماعي لكل مؤسسة تعليمية مع اهتماماتها الخاصة).

- ملكة جيدة للتواصل بوسائل تكنولوجيا المعلومات.
- تطوير المهارات الاجتماعية – الثقافية المطلوبة في العلاقات الدولية ولكل ميزة لغوية داعمة للأعمال التجارية.
- المقدرة على العمل ذاتيًا، وكذا التكيف بسهولة مع مختلف ظروف العمل.

وتشكل شهادة التعامل مع فروع علم اللغة المتطلب الرئيس للحصول على شهادة في ترجمة المؤتمرات أو الترجمة الأدبية / التقنية أو في مجال اللغات الأجنبية التطبيقية، وهذه التخصصات مجتمعةً تؤهل الطالب وتعده إما لمهنة مترجم فوري (للمؤتمرات والأحاديث المتعاقبة ولكن مع خيارات على سبيل المثال للجمهور والترجمة في المحاكم)، أو مترجم أدبي أو تقني (وذلك يتطلب منه على التوالي كفايات في كل من التحرير على الكمبيوتر، الأدب / التاريخ / الثقافة / والتحكم في المصطلحات / لغات التخصصات وغيرها)، أو متخصص في العلاقات (وهذا يتطلب منه فهمًا دقيقًا في لغتين أو ثقافتين أو أكثر والعلاقات الدولية، وإدارة الموارد، والعلوم الاجتماعية والسياسية، وتكنولوجيا المعلومات... إلخ)، وفي كل الحالات المذكورة سابقًا هناك حاجة ماسة لعدد من المتطلبات لتعزيز نمو المقدرة على التعاون مع الأقران نحو هدفٍ ما، وتبني المواقف المهنية الصحيحة نحو العمل. تم التركيز على كلٍ من مهارات البحث والتدريس؛ لأن هذه الشهادات لن تعد المترجمين الفوريين المحترفين والمترجمين التحريريين ومتخصصي اللغات المستقبليين فقط ولكن تعد أيضًا مدرسي الغد في تخصصات الترجمة الفورية والترجمة التحريرية واللغة.

6. ثمة درسٍ يجب تعلمه؟

إن تفضيل برامج الدراسات العليا القصيرة في مرحلة الماجستير يخفي بحق نظرة تدريبية متأصلة، وما يتضمنه ذلك، فهو في حين إتقان مهارات اللغة (وهذا ما يجب إنجازه في مرحلة البكالوريوس) فالقيمة الإضافية الخاصة بالترجمة من الممكن اكتسابها في سنة أو سنتين في الأكثر– وكما رأينا سالفًا – فمن غير المحتمل أن تكون هذه الحالة دومًا غالبة. وزيادة على هذا فأنا أود الاعتراض على وجهة النظر القائلة: إنه من الممكن التعامل مع مهارات اللغة ومهارات الترجمة كمتغيرين منفصلين: أولًا تعلم اللغة ثم تعلم كيف تترجم، بل إنه من الممكن لأحدٍ ما أن يتعلم اللغة لكي يكون مترجمًا وليس خبيرًا اقتصاديًا أو سياسيًا: يجب أن تكون معرفة اللغة ومهاراتها من الضرورة بمكان متماسكة مع مهارات الترجمة، لكي يعزز كلٌ منهما الآخر. وهذا التماسك في الاهتمام الحاصل بين تدريس اللغة وتدريس الترجمة وبعض مجالات المعرفة في التدريس تبدو متطلبات جوهرية لتعليم المترجمين، وهو الذي لا يمكن تحقيقه في نظام يعتمد على برنامج تعليم لغة عام وطويل بعض الشيء متبوعًا ببرنامج تدريب المترجمين المتخصص والقصير.

انتهج النظام الإيطالي مسعًى لفهم حاجات سوق العمل وتحقيقها من التخصص والمرونة، وفي الوقت نفسه يواجه ضغوطاته، وهو لم يتخلَّ عن الالتزام الأخلاقي لتعليم مترجمي المستقبل؛ كي يكونوا ذوي حسٍ وإدراك ذاتي، ومن ثم يصبحون أفرادًا محترفين وناجحين. أما نجاح البرنامج من عدمه فتلك قضية أخرى.

7. الخاتمة: التعليم والتدريب وأقماع المثلجات

لتلخيص وجهات النظر التي طرحت في هذا البحث فإنني أقترح أن يُعد المترجمون من خلال توازن زمني ومنطقي بين كلٍّ من التعليم والتدريب، وهذه الفترة التعليمية عالية الجهد هي متطلب مهم إذا ما أردنا خلق محترفين منافسين، ويجب أن تنظم هذه في فترتين دراسيتين.

يجب أن تركز برامج المرحلة الجامعية للترجمة بحزم على التعليم، وتتبنَّى مناهج تدريس وطرائق تأخذ في حسبانها المتطلبات المهنية الدقيقة لمتخصصي اللغة، وتزوِّد المتعلمين بالوعي، وغزارة المادة، والتفكير، التي سيحتاجون إليها بشكل كبير مهما كانت بيئتهم العملية والمهنية المستقبلية. إن المنهج التربوي الذي تم تبنيه في البرامج المختلفة سواء أكانت الترجمة النظرية أو التطبيق، اللغة وعلم اللغة، أو برامج الاقتصاد أو القانون يجب أن تكون ثابتة ومتأصلة تجاه هدف تطوير (فيما يخص الترجمة) القدرة بكل ما تعنيه الفكرة. يجب ألَّا يُحكم على المنهج كله، وكذا نجاح أي برنامج للمترجمين في المرحلة الجامعية من خلال المنتج، ولكن من خلال العملية: كيف يقرأ الدارسون النصوص؟، والتحقق من انطباعاتهم الأولى، وهل هم منطقيون في ترجماتهم أم لا؟ وهل هم جادُّون في البحث عن الحلول؟ وهل هم قادرون نوعًا ما على تقييم مصداقية موادهم المرجعية وفاعليتها، ويعرفون حدودهم، ومتى يطلبون المساعدة؟ وهل هم قادرون على التعاون مع غيرهم... إلخ.

إن دقة المنتج (النصوص المترجمة) يجب أن ينظر إليها بأنها مقياس غير مباشر لهذه العمليات وليست غاية في حد ذاتها (كيرالي 2000)، ويجب أن تكون أهداف برامج الترجمة في الدراسات العليا منسقة مع تلك التي وضعت فيما سبق وإن اختلفت عنها. وإذا كانت برامج الدراسات الجامعية ناجحة، فإن الطلاب قد أمضوا فترة سنتين أو ثلاث في الأقل، خُصصت لتعزيز الأفكار، ورفع مستوى الإدراك، وتعزيز النشاط الذاتي، والتي من خلالها يوطنون أنفسهم مع مهارات عدة داخلة ضمن الترجمة، والمراجعة، والبحث، إلخ... ويكتسبون فهمًا واسعًا للثقافة. إنهم الآن جاهزون لتعميق هذه القدرات والكفايات، ويحرزون بفاعلية تخصصية المهنة، وكذا مهارات البحث والتدريس التي تجعلهم في مقدمة النظام. من الممكن إذًا أن تكون برامج الدراسة العليا أقصر وقتًا (تمتد ما بين سنة إلى سنتين)؛ لأنها قد بنيت على أرضية خصبة، وتهتم بالمهارات والكفايات التي يكون عبؤها التعليمي أقل إجهادًا وأوسع خيارًا؛ لأنها تنتج نخبة محترفي اللغة.

ولكي أختم، فأنا أعتقد أن المترجمين يمكنهم العمل بدون تدريب، ولكن لا يمكنهم ذلك بدون تعليم، وبإمكانهم العمل دون الحصول على درجات جامعية عليا، ولكن يجب أن يمنعوا من العمل بدون الحصول على دراسة جامعية أولية في الترجمة؛ لأن التدريب يمكن أن يأتي مع الخبرة، ولكن التعليم لا يتم بالطريقة نفسها. وعليه فأنا أقترح أن نتوقف عن النظر إلى هذين الأمرين بوصفهما طريقتين بديلتين للحصول على مؤهل في الترجمة كما هو الوضع عليه الآن، وأن نبدأ النظر إليهما كعنصرين متداخلين، وككليتين متتابعتين أحداهما أساسية وتأتي أولًا والأخرى ثانوية وتأتي بعدها.

وبالعودة إلى كاتب الإعلانات والمترجم الطبي، واللذان قد بدأنا النقاش فيهما، وأتمنى أن أكون قد وفقت في توضيح السبب الذي يجعلني أعتقد بأنهما لا يختلف أحدهما عن الآخر، مثلما أنه لا يختلف سائق الإسعاف

عن بائع المثلجات، وأنهما يشـــتركان أكثر من مجرد كونهما وســـيلة. فأدوات كتابة الإعلانات، والمفردات الفنية، والسـيارات، كلها وسـائل. إن مهارات الترجمة هي جوهر الترجمة بعينها وكذا مهنة الترجمة: إنها الأشـياء الشـائعة في المهنة وهي ما يجب أولًا وأخيرًا أن نعلمه لمترجمي الغد.

المراجع:

Bernardini, S. (2000). *Competence, Capacity, Corpora — A Study in Corpus-Aided Language Learning*. Bologna: Clueb.

Breen, M, P. (1985). Authenticity in the language classroom. *Applied Linguistics, 6* (1), 60-70.

Carter, R. (193). Language awareness and language learning. In M. Hoey (Ed.) *Data, Description, Discourse*. London: Harper Collins.

Chesterman, A. (1998). Communication strategies, learning strategies and translation Strategies. In K. Malmkjaer (Ed.) *Translation and Language Teaching, Language Teaching and Translation*. Manchester: St. Jerome.

Chiaro, D. & Nocella, G. (1999). Language management in Italy. In S. Bassnett, R. M. Bollettieri Bosinelli, & M. Ulrych (Eds.) *Translation Studies Revisited* [Special issue of *Textus*], *12*(2), 35 1—368.

European Commission (2000). *Multilinguismo e traduzione — II servizio di traduzione della Commissione europea*. Luxembourg: Ufulcio delle pubblicazioni ufficiali delle Comunitb europee.

Gambier, Y. (2000). Les dells de la formation: Attentes et realites. Paper presented at the *translation theory and practice seminars*. Luxembourg and Brussels: EC Commission translation service. Online: http://europa.eu.int/comm/translationftheory/lectures/ 200QJp.gambier.pdf [visited 23.09.041

Kiraly, D. (2000). *A Social Constructivist Approach to Translator Education*. Manchester: St .Jerome.

Kussmaul, P. (1995). *Training the Translator*. Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins

Mossop, B. (1999). What should be taught at translation school? In A. Pym (Ed.), *Innovation in Translator and Interpreter Training — An online symposium*. Online: http://www.fut.es/--apym/symp/mossop.html [visited 23.09.04]

Pym, A. (1995). List of training institutions by Country. Based on M. Caminade & A. Pym (1995). *Les formations en traduction et interpretation. Essai de recensement mondial.* Paris: Société Française des Traducteurs. Online: http://isg.urv.es/tti/tti.htm [visited 23.09.04]

Widdowson, H. G. (1984). English in training and education. In *Explorations in Applied Linguistics* 2. Oxford: Oxford University Press.

Widdowson, H. G. (2000). On the limitations of linguistics applied. *Applied Linguistics, 21* (1), 3-25.